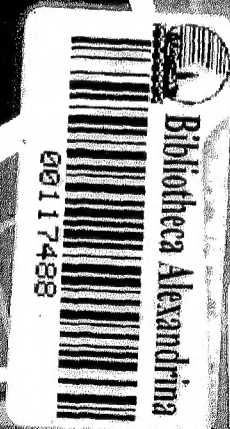


كتاب الأملال
قسط ٣٦

ترجمة : عمر عاشور



ألف يوم من الثورة

كتاب الأهل

رقم ٣٦ / أكتوبر ١٩٩١

مجلس التحرير : د . ابراهيم سعد الدين / اوسيف يوسف / حسين عبد
الرازق / د . عبد العظيم انيس / عبد الغفار شكر / د . محمد احمد خلف الله
الادارة والتحرير : ٢٣ شارع عبد الخالق ثروت شقة ١٨ القاهرة ج . م .
ترسل جميع المراسلات باسم رئيس التحرير
الاعلانات : يتفق بشئونها مع الادارة
الاعداد السابقة توجد نسخ محدودة من الاعداد السابقة من السلسلة
ترسل لمن يطلبها خارج القاهرة او خارج جمهورية مصر العربية بالبريد
المسجل ويحسب سعر الكتاب على اساس ان الجنيه يعادل (دولار)
امريكي ويضاف جنيه مصري داخل مصر على ثمن الكتاب نفقات البريد كما
يضاف « دولار » واحد خارجها الى الثمن وتحول اثمان الكتاب بحوالة
بريدية باسم الاهالى .

كتاب الاهالى سلسلة كتب شهرية تصدرها جريدة الاهالى -
حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى - مصر

اما وقد صممت مدافع الامة عن الدفاع . وحول العدون نيران مدافعه الى جبهة الوعى والانتماء فقد
كان لابد وان يصدر كتاب الاهالى ليكون بعض جهدنا المتواضع فى المعركة التى تدور على جبهة العقل
ليساهم فى اعادة بناء الجسور المنهارة بين الطليعة والشعب وبين المواطن والوطن وبين الوطن والامة
وبين هؤلاء جميعا والكثير الذى نعيش فيه .
ولاننا نعيش فى عصر ثورة الاتصالات الذى يؤدى تدفق معلوماته الى تشوش فى اليقين فان حاجتنا الى
العودة للتبشير بالبيدهيات واعادة احياء الذاكرة الوطنية لانتقل عن حاجتنا الى التعمق الذى يحيى
اليقين لا الذى يشوش اليه .
وانا كان منطق الحركة السياسية اليومية يحتل المساومة والوسطية فان جوهر دور اليسار على
صعيد الوعى والانتماء هو التهدم والبناء ذلك ان الامر هنا امر تكوين وتأسيس يتجاوز ضرورات الحاضر
وقيوده الى افاق المستقبل واحلامه .

كتاب الأهلالي

ثقافة الهدم والبناء

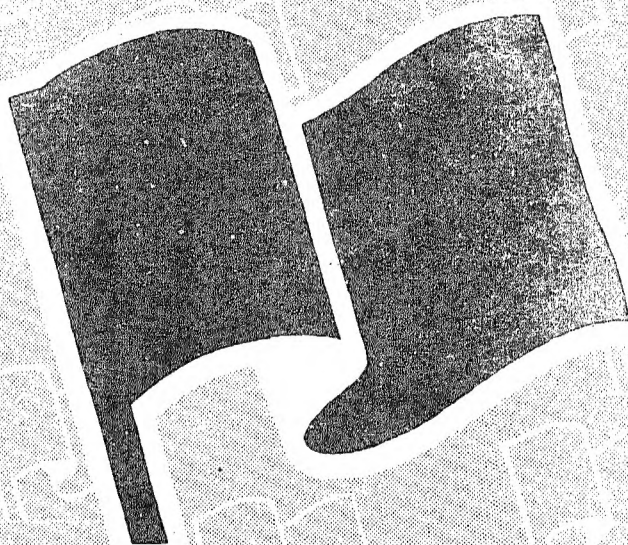
الامين العام : خالد محيي الدين
رئيس مجلس الادارة : لطفى واكد
رئيس التحرير : صلاح عيسى

◆ الآراء الواردة في كتب السلسلة لا تعبر بالضرورة عن رأى التجمع ◆

يقبل كتاب الاهالي نشر جميع الكتب المؤلفة والمترجمة التي يرغب اصحابها في نشرها طالما تخدم الهدف من اصداره ويقبل التبرعات والهبات التي يقدمها المهتمون بنشر الثقافة والراغبون في تحمل جزء من نفقات اصداره بهدف تخفيض سعر بيعه للجماهير ويشير الى ذلك اذا طلب صاحب الشأن

كتاب الأطلال
ترجمة : عبد القادر ياسين
الهيئة العامة لكتبة الإسكندرية
1993

ترجمة : عبد القادر ياسين



الفكر يوم من الثورة

الهيئة العامة لكتبة الإسكندرية

تقديم : عبد القادر ياسين

933,0646

رقم التصنيف

933,0646

رقم التسجيل

مدخل ضرورى

في العام ١٩٦٩، نجحت القوى التقدمية التشيلية فى بناء ائتلاف يسارى عريض، حمل اسم «الوحدة الشعبية»، التى نجحت فى حمل مرشحها، سلفادور الليندى، إلى مقعد رئيس الجمهورية التشيلية، بعد أن حصل على ٣٦.٣٪ من أصوات الناخبين التشيليين. وإذا كان انتزاع السلطة أمراً صعباً، فإن الاحتفاظ بهذه السلطة يظل أشد صعوبة وتعقيداً، ويتطلب مهارات وقدرات سياسية وتنظيمية فائقة، تعبر عن نفسها فى الأداء، والتحالفات، والتكتيكات، والأساليب الكفاحية، ناهيك عن العلاقات الداخلية فى الائتلاف اليسارى نفسه.

ولم تكن «الوحدة الشعبية» هى الجبهة اليسارية الأولى المنتصرة فى تشيلى، فقد سبق للقوى التقدمية وتلك المعادية للفاشية هناك أن تمكنت، فى العام ١٩٣٦، من تأسيس «الجبهة الشعبية فى تشيلى»، مما أهلها، فى العام ١٩٣٨، للفوز بمقعد رئيس الجمهورية، وتشكيل الحكومة. وكانت «الجبهة الشعبية» قد ضمت، آنذاك، كلاً من الراديكالى، والاشتراكى، والراديكالى الاشتراكى، والديمقراطى الليبرالى، والديمقراطى، والشيوعيين اليساريين «الترائوسكين»، وجبهة الوحدة النقابية، فضلاً عن الشيوعيين.

وغنى عن القول إن هذه الجبهة قد تشكلت بعد اشتداد الإحساس بالخطر الفاشى، الذى حقق نهوضاً ملموساً فى كل من ألمانيا وإيطاليا، بمجرد وصول أودلف هتلر إلى سدة الحكم فى ألمانيا، مطلع ١٩٣٣. ومن هنا كان اتساع تلك الجبهة، فى ما ضمت «الوحدة الشعبية» دائرة أضيق، نسبياً، وأوقفت على القوى اليسارية فى البلاد. وكان لهذا الضيق ما يبرره، إذ هو استجابة

لاحتياجات المرحلة الشورية، المختلفة عن نظيرتها في الثلاثينات، في غير وجه، فقد قامت جبهة الثلاثينات من أجل التصدي للخطر الفاشي الداهم، وفي سبيل إشاعة الخبرات الديمقراطية في تشيلي، والمزيد من المكاسب للطبقة العاملة والكادحين الذميين. في حين كانت «الوحدة الشعبية» ضد الإمبريالية الاحتكارية، وفي مواجهة الرأسمالية الكبيرة المحلية.

واتسمت التجربتان بازدواج السلطة في البلاد، حيث أمكن اليسار أن ينتزع مقعد رئاسة الجمهورية في التجربة الأولى، في ما بقيت أغلبية مقاعد البرلمان في أيدي القوى اليمينية، حيث لم يحز اليسار سوى على نحو ٤٧٪ من أصوات الناخبين، في انتخابات ١٩٣٧. بينما حاز مرشح اليسار برئاسة الجمهورية، لطفى سيرادا على ٥٠٪ من مجموع أصوات الناخبين في انتخابات الرئاسة التي جرت في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٣٨. وكانت القوى اليسارية التشيلية قد أفضلت محاولة رجعية لإثارة حرب أهلية في تشيلي، عشية انتخابات الرئاسة. وعرقل ازدواج السلطة هذا، الإجراءات الديمقراطية للحكومة. وحظى الطرف اليميني في السلطة بدعم خارجي قوي من الاحتكارات الأجنبية في ما أغرقت البرجوازية الكبيرة التشيلية البلاد بالأزمات الاقتصادية حيث عمدت إلى تقليص الكميات المستخرجة من مناجم المصان والمختلفة، وبخاصة النحاس، وأغلقت بعض المصانع، وتجاهلت إجراءات الحكومة، وبخاصة تلك التي لم ترق لها. وتناغم الإقطاعيون مع البرجوازيين الكبار التشيليين، فقلصوا البذار، وأتلفوا نسبة المحاصيل، ونصبوا العقبات في وجه الشعب، حتى صعبوا عليه الحصول على احتياجاته المعيشية والأساسية.

ومع هذه المصاعب كلها فإن الحكومة اليسارية نجحت في تحقيق بعض المكاسب، داخلياً وخارجياً. كما أحبطت مؤامره فاشية، سنة ١٩٣٩، للاستيلاء على السلطة، وظهرت الجيش من قيادته الرجعية وجهاز الدولة من ركائز الفاشية.

على أن الجبهة الشعبية سرعان ما ضُربت من داخلها. ذلك أن الجناح اليميني في الحزب الاشتراكي التشيلي شن هجوماً لا مبرر له ضد الحزب الشيوعي ووجد ذلك صدى في الحزب الراديكالي التشيلي، الذي تنافس جناسه اليميني مع طروحات صغرى في الحزب الاشتراكي. وبدا انهيار «الجبهة الشعبية» في العام ١٩٤١. ولعل الأهمية التاريخية لهذه الجبهة هي في تحويلها دون وصول الفاشية إلى السلطة في تشيلي، وفي دعمها أسس الصناعة الوطنية، وإضعافها - إلى حد ما - المرجوزية الكبيرة، وبخاصة قطاعها الكومرصادوري، المرتبط بالاحتكارات الأجنبية، فضلاً عما حقته هذه الجبهة من مكاسب ذات وزن للطبقة العاملة.

* * *

وحتى أواخر الستينات كانت مياه كثيرة قد جرت في تشيلي والعالم، فممنذ سقوط الفاشية في العالم، صحف ١٩٤٥، وما تلاه من تحول الاشتراكية إلى نظام عالمي، بعد أن كانت محصورة في بلد واحد، لاكثر من ربع قرن - كادت معه أن تختنق. الأمر الذي شد من أزر الطبقة العاملة في العالم، ومن جهة أخرى كان حلول الإمبريالية الأمريكية محل الإمبرياليين البريطانيين والفرنسيين في مستعمراتهما، وفي موقع طليعة المحسكر الامبريالي العالمي.

وفي أجواء الاستقطاب الطبقي، ولد في تشيلي سنة ١٩٦٩، قطب يساري موحد في تشيلي، نسيجة ائتلاف قوى، حمل اسم «الوحدة الشعبية»، وضم كلا من أحزاب، «الشيوعي»، و «المسيحي الديمقراطي»، و «الحركة من أجل العمل الشعبي الموحد»، و «العامل والفلاح»، و «الراديكالي»، و «الاشتراكي»، و «العمل الشعبي المستقل». ودخلت «الوحدة الشعبية» ميدان اللعبة الديمقراطية، بقوة فانتزعت، في ١٩٧٠/٩/١٤ منصب رئيس الجمهورية لرشحها، سلفادور أليندي، وتحلى نفوذ «الوحدة الشعبية» في أوساط الطبقة العاملة التشيلية، عندما أنشئ

«المركز العمالي الموحد»، سنة ١٩٧٢، حيث صب ٣٢ر٥٪ من العمال التشيليين أصواتهم لصالح الشيوعيين، فى ما أعطى زهاء ٢٦٪ منهم أصواتهم للاشتراكيين. عدا ما ناله كل من مرشحي الراديكاليين والحركة من أجل العمل الشعبى. مقابل ٢٥ر٩٪ من الأصوات العمالية لحساب المسيحي الديمقراطى.

وكان وصول اليسار إلى رئاسة الجمهورية منعطفاً بين مرحلتين. فبعدهما جاءت مرحلة الحفاظ على السلطة، وتوجيه الضربة القاضية للاحتكارات الأجنبية وأدواتها فى تشيلى، وتطهير أجهزة الدولة والجيش من العناصر الرجعية. الأمر الذى لم يتم، فأبقى حصان طرواده فى أمان، وأمكن للأعداء توظيفه والاستعانة به، فى اللحظة التى قرر الأعداء التحرك ضد الثورة.

ومن جهة أخرى، فإن اليسار لم يعمل من أجل كسب صفار ضباط الجيش، اعتماداً على وهم وقوف الجيش خارج دائرة الصراع الحزبى، واحترامه لإرادة الناخب التشيلى.

وفى موازاة هذا التقصير، كان تجاهل ضرورة كسب الفئات الوسطى فى التشيلى، مما جعل هذه الفئات فريسة للقوى المضادة للثورة.

ومن داخل «الوحدة الشعبية» أطل الانحرافان، اليسارى واليميني، برأسيهما فجعلاً فى قصف عمر الثورة. ولطالما التقى هذان الانحرافان فى نقطة واحدة، وموقف مشترك عن غير قصد. مجددين التأكيد على أن نقطة أقصى اليسار تتطابق مع نقطة أقصى اليمين، فوق دائرة المواقف.

وقد افتقرت قيادة «الوحدة الشعبية» إلى الحد الأدنى الضرورى من التجانس السياسى. مما أفقد اليسار قيادته الموحدة، فى مواجهة قيادة يمينية موحدة، تعرف هدفها الاستراتيجى، وتبين طريقها إليه.

وهكذا تضافرت عدة عوامل ضد الثورة: فمن الاحتكارات الأمريكية، التى تضررت من إجراءات «الوحدة الشعبية»، إلى الرأسمالية الكبيرة التشيلية، إلى أخطاء وتقصيرات «الوحدة الشعبية»، والتى نجحت فى

حشد قوى اجتماعية ضدها .

ونجحت هذه العوامل ، من خلال المخابرات المركزية الأمريكية وأدواتها فى قيادة الجيش التشيلى ، فى اغتيال الثورة ، وإقامة دكتاتورية عسكرية غاشمة ، فاقت الفاشية فى أساليبها الشرسة ففرضت الأحكام العرفية على البلاد ، واضطر للخروج إلى المنفى أكثر من مليون شخص (زهاء عشر مجموع السكان) هرباً من بطش الشرطة السياسية السرية التشيلية .

وهكذا قفز أوغستو بينوشيه إلى سدة الحكم ، عبر انقلاب عسكري فى ١١ أيلول/ سبتمبر ١٩٧٣ ، واغرق البلاد فى بحر من الدماء . فقتل خلال الأشهر الأربعة الأولى التالية للانقلاب ، المئات واعتقل الآلاف . وغدا كل انسان تشيلى معرضاً للاعتقال ، أو القتل ، وصودرت أدنى مظاهرات الحريات الديمقراطية ، وخيم على البلاد - منذئذ - ليل قاتم طويل .

على أن السنوات الثلاث التى قضاها اليسار التشيلى فى سدة الحكم ، لم تمر دون أن تخلف خبرات ودروس ثورية ثمينة ، عمدت قيادة الحزب الشيوعى التشيلى إلى تسجيلها فى تسع دراسات عميقة ، تضمنت نقداً ذاتياً شجاعاً ، عدا النقد المسؤول للحلفاء . والأهم من هذا وذاك أنه نقد يفضى إلى الأمل فى المستقبل القريب ، ويجدد العهد على مواصلة الكفاح ، لإنزال الضربة القاضية بحكم بينوشيه الفاشى . وقد تعهد هذا الكنز الثورى رجل من قلب العمل الثورى الفلسطينى هو المناضل عمر عاشور ، فأخرجه فى ترجمة قوية ودقيقة لتليق بكراس جيب لكل المناضلين من أجل التوزيع العادل للثروة والسلطة والمعرفة .

* * *

رد الشعب التشيلى على الانقلاب بالمقاومة ، منذ لحظة اغتصاب الفاشية الحكم . ولم تفقد الطبقة العاملة وحزبها الشيوعى الاتجاه ، ولم يقعوا فريسة اليأس . بل عمدوا إلى إعادة النظر فى برنامجهم ، وتحالفاتهم ، وتكتيكاتهم ، وأدائهم .

وتعددت أساليب الكفاح ضد الفاشية التشيلية، طوال سنوات حكمها وأخذت الأرض قيد من تحت أقدام بينوشيه، وبدأ البساط ينسحب من تحته. إذ سرعان ما اكتشفت الفئات الوسطى الخدعة، بعد أن أسلمها الانقلاب الفاشي إلى أزمة اقتصادية خانقة، فتقلص النمو الاقتصادي في تشيلي، سنة ١٩٨٥، وحدها بنسبة ١٤٪، وقفزت نسبة التضخم إلى ١٠٪، وبلغت الديون الخارجية زهاء ١٩ مليار دولار، بفوائد سنوية قدرها ٣٥ مليار دولار. حتى أن أكثر من نصف مجموع شعب تشيلي قبع تحت خط الجوع، وأشهرت زهاء خمسة آلاف شركة إفلاسها، وفقدت الطبقة العاملة النسبة الأكبر مما حققته لها «الوحدة الشعبية» من مكاسب، ووقع ٣٥٪ من مجموع الطبقة العاملة أسرى البطالة. وعلى الضفة الأخرى تلقى الانحرافان، اليساري واليميني، في التحالف اليساري درساً من الصعب تجاهل دلالته.

وبعد خمسة عشر سنة من نجاح انقلاب بينوشيه، عمد هذا الدكتاتور إلى تنظيم استفتاء شعبي في تشيلي، للتصويت، بنعم أو لا، على بينوشيه رئيساً للجمهورية التشيلية، لضمان سنوات أخرى. ووعد بينوشيه بالتخلي عن السلطة في حالة عدم حصوله على أكثر من ٥٠٪ من مجموع أصوات الناخبين التشيليين.

ورغم كل أساليب التزوير، إلا أن أغلبية الناخبين التشيليين صوتت ضد التجديد لبينوشيه، حيث أعلنت المعارضة التشيلية أن ٨٣٪ ٥٧٪ قالوا «لا» لبينوشيه، وأن ٣٩٪ ٨٧٪ قالوا «نعم» ما اضطر الحكومة التشيلية إلى تقديم استقالتها الجماعية، بمجرد إطلاعها على نتائج الاستفتاء، لكن العزة بالإثم استبدت لبينوشيه، فرفض قبول استقالة الحكومة.

التزامه بحكم الأغلبية، واحترامه لهذا الحكم. ومن المثير للضحك أنه أكد: «في خدمتي العسكرية، وفي ممارسة أعلى سلطة في الدولة، تعلمت قبل أي شيء آخر، احترام إرادة الشعب والمؤسسات الرئيسية في الجمهورية» ومع نزيف العواطف هذا، فإن بينوشيه تشبث بمنصبه رغم إرادة شعبه.

وبينوشيه الآن. أمام تحدد مصيري، إذ أمامه أن يسمح بإجراء انتخابات رئاسة الجمهورية، في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٩، بعد أن تنتهي مدة رئاسته التي زور نجاحه فيها، في استفتاء هزلي، أجراه في العام ١٩٨٠، إلى جانب الاستفتاء على دستور استبدادي. وهو الذي يعطى صلاحيات واسعة لكبار ضباط الجيش، حتى في حال قيام حكم مدني في البلاد، في المستقبل.

ورغم أن الحزب الشيوعي التشيلي لا يحيد الاغتيال السياسي. إلا أن ذراعه المسلحة «الجهبة الوطنية»^١ مانويل رودريغز، حاولت اغتيال بينوشيه، غير مرة، أهمها تلك التي حدثت في السادس من أيلول/ سبتمبر ١٩٨٦، ومحاولة ٢٢ شباط/ فبراير ١٩٨٩. فاغتيال الجنرال هنا هو مجرد خطوة شاملة لتفجير الثورة، والإطاحة بالنظام الفاشي، ورد الجيش إلى ثكناته، وإعادة الاعتبار للحريات الديمقراطية. ولا يكون مثل هذا الاغتيال المحطة الوحيدة في العملية الثورية، بحيث تسنح الفرصة أمام جنرالات الجيش كي يختاروا بينوشيه آخر، محل الجنرال المقبور.

إننا نعيش أياماً تعيد إلى ذكرياتنا آخر ما قاله الليندي، مودعاً شعبه، بينما دبابات الخونة تحاصره في القصر الجمهوري «... إعلموا أنه قريب ذلك اليوم الذي تفتح فيه الطرق الواسعة من جديد، ليسير فيها الانسان الحر، كي يبنى مجتمعا أفضل...»

ومرة أخرى فإن الفجر سيزغ فوق تشيلي !
دمشق ١٩٨٩/٧/٤ عبد القادر ياسين

* زعمت مصادر الحكومة التشيلية أن ٥٥٪ صوتوا ضد استمرار بينوشيه، مقابل ٤٣٪ صوتوا لصالح استمراره ١

التحليل النقدي الأول

رينه كاستيلو

عضو القيادة الوطنية

للحزب الشيوعي فى تشيلى

|||||

(١)

جاء الانقلاب العسكرى الفاشى، فى ١١ أيلول ١٩٧٣، الذى أتاح بالحكومة الشعبية للرئيس سلفادور اليندى، كصدمة عميقة للتقدميين فى كل مكان. فأصبحت الحملة العالمية الواسعة والقوية للتضامن مع الشعب التشيلى، إحدى التجليات الأكثر حيوية للأهمية فى تاريخ الحركة العمالية. وفتحت، هذه الحملة، زخماً متزايداً، بسبب موجة القمع الوحشى الذى لا نظير له، فضحاياهم يقدرون بعشرات الآلاف من القتلى والمعتقلين، وأصبح مئات الآلاف على القائمة السوداء. فيثور ضمير البشرية على رؤية فظائع كهذه، وتدوى أصوات الديمقراطيين، فى جميع أرجاء العالم، بموجة عارمة من الإحتجاج. وهناك سبب آخر لاكتساب حركة التضامن مثل هذا القدر من الإهتمام العالمى بالتجربة التشيلية، بنجاح الطبقة العاملة والحركة الشعبية، التى فازت فى انتخابات سنة ١٩٧٠، وشكلت حكومة شعبية، ومهدت الطريق إلى السلطة، دون أن تلجأ للسلاح.

فالطبقة العاملة وملايين الناس كانوا مهتمين، بشكل عميق، بنجاح العملية الثورية فى تشيلى. مع أن التجربة التشيلية لم تكن، بالطبع، مثلاً يجب محاكاته بشكل أعمى، إلا أنها بينت للجميع كيف نرى فى عصرنا أن الطبقة العاملة والشعب يستطيع التقدم نحو السلطة ضمن إطار الدولة البرجوازية، وحتى فى ظل حكم رجعى. ولكن ذلك لن يحدث، فقط، إلا بوجود حركة ثورية قادرة على الفعل بتحالفها مع مختلف فئات المجتمع، فاتحة الطريق لمقرطة الحياة

السياسية، وتعزيز الحريات الديمقراطية، وتحقيق توازن فى القوى قادر على منع الرجعية من عرقلة الثورة، بمنهجها المسلح.

فالمعملية الثورية فى تشيلى ضربت على الوتر الحساس للثوريين والديمقراطيين فى كافة أرجاء العالم، خصوصاً فى أمريكا اللاتينية. فمملت الامبريالية، لمجرد هذا السبب، كل ما فى وسعها لتفشلها ولتوقفها. وعلى خلفية انتشار عدوان «اليانكى» الاحتكارى، الهادف لإدامة سيطرة الأمريكين على ما يعتبرونه «بوابتهم الخلفية» لأمريكا اللاتينية، أصبحت تشيلى، هدفاً لهجمات وحشية، بشكل خاص. فبالرجوع إلى الوراء، لسنة ١٩٧٠، اجتمعت «مجموعة عمل» لمجلس الأمن القومى فى واشنطن، لترسم خطة تفصيلية للعدوان على شعبنا.

أعطت الامبريالية دعمها التام لإثارة الفتن، ولنكن أكثر دقة، للمحاولات الانقلابية العديدة ضد حكومة الوحدة الشعبية. فأصبح الغرض من هذا الدعم واضحاً من خلال الحملة الصحفية الرجعية الشريرة التى تلت الإطاحة بالحكومة الشعبية.

فصحيفة EL Mercurio، لسان حال الامبريالية والبرجوازية الكبيرة، كانت تؤكد، باستمرار، المغزى العالمى لهزيمة الشعب التشيلى. فكتبت معبرة عن أفكار وخطط الرجعية: للانقلاب مفهوم ضمنى عالمى واسع، لأن تشيلى برهنت على إمكانية مراجعة العملية الثورية الماركسية، التى هى كقاعدة لا رجعة فيها. فالشيوعية تعانى الهزيمة... لقد سحقت فى جبهتها الاستراتيجية الثانية، فى ١١ أيلول فشل الطريق الشرعى فى تشيلى.

مفارقة عجيبة !! فالمدعون لأنفسهم أنهم «أبطال» «القانون والنظام» يتباهون بتدمير المؤسسات الديمقراطية، ويرقصون طرباً فوق حمام دم أراقوه،، مأساة سدد ثمنها، بالنسبة لهم.

بالتأكيد، إن الأحداث فى تشيلى هزيمة مرة، حتى ولو كانت مؤقتة. لذلك فمن الطبيعى، أيضاً، بروز عدد من الأسئلة، يجب أن يقدم الثوريون إجابة لها .. ماذا فعل الشعب والقيادة الثورية لتتلافى الانقلاب؟؟ لماذا كانت الدكتاتورية الفاشية

قادرة على التماسك لأيام قليلة، بينما المقاومة المسلحة، المبررة والضرورية في نفس الوقت، أثبتت عدم فعاليتها؟ هل تعنى هزيمة الوحدة الشعبية، أن الفرضية التي تقول إنه يمكن الوصول إلى السلطة بدون الكفاح المسلح، غير صالحة، على العموم، ولأي مستوى ينطبق هذا على تشيلي؟ هذه بعض الأسئلة القليلة. ولا يعنى تقديم الإجابة عن الأسئلة، فقط، الاستعداد لتحمل المسؤولية لما كان قد حدث (هذا واجب على الثوريين في بلادنا وعلى الطبقة العاملة العالمية)، بل يجب، أيضاً، تحليل ورسم اتجاه هدفنا الأساسي اليوم، وهو الإطاحة بالديكتاتورية الفاشية، واجتثاث الفاشية من بلادنا، مرة وإلى الأبد.

بالطبع، سوف لن يكون أي تحليل نقدي نهائياً. إذ ستظهر، باستمرار حقائق ووجهات نظر جديدة حول مسائل مختلفة. ولهذا فإن هذه المساهمات لم تكن تعنى أنها تتضمن المناظرة المطلوبة، التي هي يمثل هذه الأهمية بالنسبة للحركة الثورية. فكان انتصار الشعب التشيلي، سنة ١٩٧٠، هو بمثابة تنويع لفترة من المعارك الجماهيرية المكثفة على جميع جبهات الصراع الاجتماعي. وكان الانتصار ممكناً، لأن الشعب حشد قواه وراء سياسة حددت، بصواب، بطبيعة الثورة التشيلية، وفرزت الأعداء الأساسيين: الامبريالية والاحتكارات وطغمة مالكي الأرض. وكان ذلك الاتجاه الرئيسي للهجوم. حيث شكلت الطبقة العاملة جبهة سياسية اجتماعية، تحالف الوحدة الشعبية، وطرحت سياسة صحيحة كلياً، ساعدت في المنعطفات الحاسمة على كسب تعاون القوى الاجتماعية الأخرى ضد المخططات الرجعية. وهذه السياسة هي التي جعلت من الممكن تشكيل حكومة، بمعنى أنها اكتسبت أكثر عذ'صر القوى السياسية دينامية وأهمية. ومن هذا الموقع المتميز، وموقف طبع بالمواجهة المبررة مع الطبقات السابقة الحاكمة، حيث شرعت الحركة الشعبية بعملية التغيير الثوري في المجتمع التشيلي، وكانت التغييرات تشتت برنامج الوحدة الشعبية المنسجم مع طابع وخصوصية المرحلة الثورية. إذ كانت الحاجة الأولية تقتضى التغلب على التخلف والفقر، والقضاء على السيطرة الأجنبية وحكم الأقلية. (*)

(*) Oligarchy حكم الأقلية.

وكان هذا يتطلب وحدة أوسع، وفي نفس الوقت، تقديم الأساس للتعاون مع قوى متقدمة من خارج كتلة الوحدة الشعبية. حدد لويس كورفالان - الأمين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي - في تشيلي سنة ١٩٧٠ - التوقعات كما يلي:-

«الآن، المهمة الأولية هي تعزيز وحدة الشعب، التي يمكن ويجب أن تصبح قوة لا تقهر في تقدم الثورة التشيلية، ومصالح مختلف طبقات وفئات الناس، وعزل الرجعية والإطاحة بخططها التخريبية، ومنع التدخل الأجنبي، والتصدي للضغط الامبريالي، وتعزيز الدعم الواسع للحكومة الجديدة. هذه مهمة حاسمة ويجب تحقيقها في المستقبل القريب».

فإجراءات مثل، تأمين المناجم الكبرى لصناعة النحاس، وخلق قطاع عام من خلال تأمين الاحتكارات الكبرى، وتحويل البنوك إلى وكالات للدولة، وإعادة تنشيط الإصلاح الزراعي، وتوزيع الدخل لصالح الشعب العامل، والتقدم في بناء المنازل، والتقدم في مجال الصحة العامة والتعليم، وسياسة خارجية مستقلة، خصوصاً، المساهمة الشعبية الواسعة في تشكيل مستقبل الأمة، من خلال حركة نقابية موحدة وقوية، كل هذا يشهد، بشكل عميق، على الطابع الوطني والشعبي والثوري للإدارة التي كان على رأسها سلفادور الليندي. وبالرغم من الهزيمة المؤقتة، فستبقى هذه الإنجازات تراثاً نفيساً للشعب التشيلي، ومع أنها دمرت، الآن بواسطة الطغمة العسكرية، إلا أنها سوف تبقى، وللأبد، مثلاً ملهماً للشعب العامل وللامة.

لماذا عانت هذه العملية من الهزيمة، مع أنها تسير، موضوعياً، مع مصالح وتطلعات أغلبية الناس؟

أولاً: لأن الرأسمال الأجنبي والأقلية المحلية، التي كانت تتمتع بكل الامتيازات التي تفوق التخيل لمدة أكثر من ١٥٠ عاماً متصلة، فأى إيقاف قصير الأمد لهذه الامتيازات، سوف يعنى فقدان السلطة والثروة إلى الأبد، توقعاً رفضوا التسليم به.

أكدت الأحداث في تشيلي، تماماً، الفرضية الماركسية التي تقول، إن الطبقات

المحتضرة لن تتخلى عن السلطة بحض إرادتها هي، بل بالعكس، سوف تحارب بأسنانها وأظافرها. ولاحتى حقيقة أن الطبقة العاملة التي تكتسب جزءاً من السلطة السياسية بكفاح غير مسلح تغير من ذلك. ويجب ألا ننسى ما كتبه لينين، في كتابه الثورة البروليتارية والمترد كAUTSKY، حول جهود الرجعيين الذين يعانون الهزيمة: «... بعد الانقلاب بزمان طويل، يحتفظ المستثمرون، لامحالة، بجملة من المزايا الفعلية الهائلة، يبقى لهم المال .. وبعض الأموال المنقولة، غالباً ما تكون كبيرة القيمة، تبقى لهم علاقات وعادات مكتسبة في التنظيم والإدارة، ومعرفة جميع أسرار (عادات، وأساليب، وسائل، إمكانيات الإدارة) ... وتبقى لهم تجربة الفن العسكري أكبر بما لا حدود له (وهو أمر على جانب كبير جداً من الأهمية) ... فإن المستثمرين المقلوبين، الذين لم يكونوا يتوقعون، إطلاقاً، إسقاطهم، ولم يكونوا يصدقونه، ولم تخطر على بالهم فكرته، يندفعون إلى المعركة، إثر أول هزيمة جدية، ويخوضون غمارها، بعزيمة مضاعفة، عشرات المرات، وسورة جنونية، وحقد اشتد مئات المرات، من أجل استعادة «الفردوس» المفقود» (*).

وينطبق هذا، تماماً، على بلادنا. إذ كانت الأمور أكثر تعقيداً، ففي الواقع كان الرجعيون يتبعون مراكز في جهاز الدولة، والبرلمان، والقضاء ووسائل الإعلام الجماهيرية.

فشنا حرباً شاملة، مستفيدين من هذه الامتيازات جميعها، ضد الحكومة الشعبية، حرباً حتى خاتمتها المريرة. فاستخدامهم لجميع وسائل الصراع في أكثر الدروس عبرة لشعبنا، ونأمل أن تكون لشعوب أخرى. وههنا بعض الأمثلة:-

لقد وقف الرجعيون في معارضة القوى الشعبية، وعلى وجه الخصوص، في مراجعة الشيوعيين والاشتراكيين، تحت راية الحرية والديمقراطية. ولما كان الصراع الطبقي قد اكتسب كثافة واسعة، فإن الرجعيين داسوا بالنعال جميع المؤسسات الديمقراطية، التي تصادمت مع مصالحهم، فإذا كانت هذه المؤسسات هي التي

(*) لينين الأعمال الكاملة مجلد ٢٨ ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

سمحت للشعب بأن يستولى على السلطة أو يكسب جزءاً من السلطة السياسية، فإنها ستندم وتشوه بواسطة المدافعين السابقين عنها. فالبرجوازية تستنكر الإرهاب «مبدئياً»، حينما تكون فى السلطة، ولكنها على استعداد لنشر الرعب، أو تجعده سياستها، إذا كان ذلك يلائم أغراضها.

وتبين التجربة التشيلية، بشكل مقنع، أن الطبقة العاملة والشعب قادرون على الاحتفاظ بالمؤسسات الديمقراطية وتطويرها، ففى عصرنا، تشكل العملية الثورية، والتقدم نحو الاشتراكية الضمانات الأصلية الوحيدة للديمقراطية السياسية. فالنضال من أجل الديمقراطية لا ينفصم عن التطور الاشتراكي.

وحينما تكتسب السلطة بدون الكفاح المسلح، تبحث الطبقات التى كانت حاكمة عن «المزايا» الشرعية فى حربها ضد الثورة. ولكن هذه هى نفس «الشرعية» التى تعطى المبررات للحكومة الثورية فى أعين قطاعات واسعة من الجمهور. وتصبح عاملاً يسهل، بدرجة معينة، إحداث التغييرات الثورية وتنظيم القوى. ولما كانت هذه مرحلة انتقالية، فإن الاحتفاظ بمؤسسات الحكومة القديمة، يصبح مؤقتاً. ولكن يجب ألا يغيب عن بال الحركة الثورية حقيقة أن المؤسسات الديمقراطية الموروثة من النظام السابق، ذات طبيعة طبقية، والتطور الديمقراطى يتطلب حتماً تغييرات فى الطابع الطبقي للدولة. ذلك هو الطريق الوحيد لتأكيد تقدم الثورة. إذ يحاول العدو استغلال هذا الوضع باستخدام مؤسسات الحكومة، حيث ما زال يسيطر عليها، ليقضى على أولئك الذين ما عادوا يعززون سيطرته الطبقية. وهنا ارتكبت حكومتنا عدداً من الأخطاء مكنت الرجعية من استغلالها، مستفيدة من الحريات الديمقراطية لخلق الظروف لانقلاب فاشى، ألغى الديمقراطية كلياً. هكذا، فإن النظريات المثالية عن الديمقراطية والتوجه نحو حل القضايا دون الرجوع إلى أسس الصراع الطبقي كان من أكثر العوامل سلبية. وكانت النتيجة أن تشجع الفاشيون لتسامحنا مع نشاطهم.

فالمواجهة الأيديولوجية ذات أهمية خاصة فى الصراع الذى يتضمن كسب جزء من السلطة السياسية فى إطار نظام الدولة البرجوازية، إذ تستمر أفكار الطبقات المزاحمة فى تأثيرها أكثر، من أجل أن تسيطر على الجماهير. بالإضافة لذلك يملك

الرجعيون وسائل الدعاية لأفكارهم، من صحافة، وإذاعة، وتليفزيون، وسينما، ومدارس. وكل هذا يعتبر سلاحاً قوياً للبرجوازية الرجعية. فإذا أرادت القوى الشعبية النجاح فلا بد لها من أن تسحق العدو في هذه الجبهة، أيضاً. ونحن هنا لم نكن قادرين على محو اختلال التناسب بين وسائل الإعلام الجماهيرية التقدمية ونظيراتها الرجعية. إذ لم نستفد، بالإضافة إلى ذلك، بشكل صحيح، من الفرصة التي كانت لدينا، بينما كان العدو سريعاً في شن حملة ذم وتشهير وتضليل قطاعات واسعة من شعبنا.

منذ لحظة انتصار الطبقة العاملة والشعب، يصبح النشاط الاقتصادي والسياسي حاسماً في تقوية وتوسيع مراكزها في الصراع من أجل السلطة. أما من الناحية الأخرى، فيعمل الرجعيون، الذين فقدوا السلطة السياسية، كل ما في وسعهم لزعج البلاد في حالة من الفوضى. لهذا، شنت الاحتكارات من مالكي الأرض، حالياً، حملة من التخريب الاقتصادي، لم يردعها الضرر الذي ستوقعه في البلاد، أو حتى بمصالحها الخاصة (التي هي أكثر أهمية لها من مصالح البلاد الخاصة). وكان الهدف من ذلك هو خلق صعوبات للحكومة في كل خطوة تخطوها.

وتفاقمت المشكلات الاقتصادية الموروثة من الماضي (دين خارجي ضخم، تخلف زراعي، بنية تحتية غير متطورة)، بسبب مناورات الرجعية هذه. وأيضاً، كنتيجة للعملية الثورية ازداد الطلب - خصوصاً - على البضائع الاستهلاكية، وذلك نظراً لازدياد حاجات المجتمع، مع أن هذا الطلب كانت تحدده، في السابق، العلاقات الرأسمالية، وتطابق التوزيع مع الدخل.

كانت لدى القيادة الثورية مهمة تحسين ظروف معيشة الكادحين، وذلك بزيادة الإنتاج، ورفع إنتاجية العمل، وتبني انضباط راع في العمل من قبل الطبقة العاملة. فحل هذه القضايا يجعل من الممكن إصلاح الخراب، الذي يتسبب أثناء مقاومة الرجعية، بالمقاطعة والتخريب، والمضاربة والإجحار في السوق السوداء، وما هو أكثر حسماً، هو تحسين ظروف الجماهير.

كانت هذه المشكلات حادة جداً، في بلد متخلف اقتصادياً، مثل تشيلي،

ولأننا برهنا بأننا لم نكن قادرين على حلها بنجاح، فقد استطاعت الرجعية الداخلية والخارجية أن تسبب الفوضى وتشير أزمة اقتصادية حادة، تفاقمت بسبب أخطائنا وضعفنا، وهذا ما يفسر سبب هزيمتنا بدرجة كبيرة.

فاستخدم الرجعيون كل الوسائل التي في حوزتهم لمجابهة الحكومة الشعبية وأصبح معروفاً، بشكل واضح، وجود مركزين متعارضين للسلطة في البلاد. وكانت تدور، في جميع جبهات الصراع الطبقي، حرب مريرة بين الطرفين، لحسم الصراع على السلطة

كان من الجوهرى حتى ينتصر الشعب في هذه المواجهة، أن تصعد الطبقة العاملة في نشاطها الثوري، وأن تظهر، في الوقت نفسه، مقدرة فائقة من أجل التحالف مع القوى الأخرى. فمهما كانت الظروف السياسية، فإن الحاجة الأولية هي كسب الأغلبية الساحقة من الشعب، حتى يتم عزل الأعداء الأساسيين ولن يأتي هذا إلا من تجربة كسب العملية الثورية، تجربة الانتصارات المكتسبة فعلياً.

فنجاح سنة ١٩٧٠، يجب أن ينظر إليه من وجهة نظر أوسع مما لو كان مجرد نجاح في صناديق الاقتراع. لقد حاز تحالف الوحدة الشعبية، فعلياً، على ٣٦.٣٪ من أصوات الناخبين. وهذا ما جعل تحالف الوحدة الشعبية القوة الرئيسية في المجتمع، هذا من زاوية محدودة الديمقراطية البرجوازية بشكل خاص، التي تمنح الطبقة العاملة والشعب من المشاركة الواسعة في الحياة السياسية. ولكن ما حصلت عليه الوحدة الشعبية ما زال، يشكل أغلبية.

وتعزز النصر الانتخابي، من خلال المعارك الجماهيرية المريرة، في أيلول وتشيرين أول ١٩٧٠، التي أكدت أن الليندى، الذي جمع أكبر عدد من الأصوات، كان قادراً على القسم كرئيس للجمهورية. فاستطاع تحالف الوحدة الشعبية، اعتماداً على التقاليد القومية الديمقراطية، وبلاستفادة من التناقضات بين الجماعات البرجوازية المختلفة، أن يحقق عملاً مشتركاً مع القوى الديمقراطية الأخرى، خصوصاً المسيحيين الديمقراطيين. فاستطاعت الحركة الشعبية في هذه المعارك أن ترجع كفة الميزان لصالح الثورة، وتحشد معظم الشعب ضد الأعداء الأساسيين. وهذا جعل من الممكن إفشال محاولة الانقلاب، في ٢٢ تشرين أول

التي اغتيل فيها رئيس هيئة الأركان، الجنرال سشنيدر "Schneider".
بهذا المعنى كان نصر ١٩٧٠ هو انتصار للأغلبية، ليس فقط لأن الوحدة
الشعبية قتلها، أو تدافع عن مصالحها (التي هي طبعا، حقيقة لكل الطبقة
العامة، والحركة الشعبية)، بل، أيضاً، لأن تلك الأغلبية ربطت نفسها بالأهداف
السياسية للوحدة الشعبية في ظروف محددة، وساعدت على إنجازها، فلولا هذا
النصر لكان إنجازها مستحيلاً.

فكسب الأغلبية، وتثبيت نجاح الثورة التشيلية كان يعنى لف أوسع قطاعات
الجماهير حول الطبقة العاملة، التي يعتبر تحالفها مع الفلاحين حاسماً في أية
عملية ثورية. ولكن مع أن التعجيل بالإصلاح الزراعي، أضاف متانة للتحالف
(الذي هو مجرد عامل ضعف في تاريخ الصراع الطبقي في تشيلي) إلا أن قوته
بقيت غير كافية في الصراع من أجل السلطة.

ففي الظروف التي تسود في بلادنا، كان من الضروري، أيضاً، لف الفئات
الوسطى الواسعة حول الطبقة العاملة، بشكل أو بآخر، وكسب مختلف المجموعات
البرجوازية غير الاحتكارية، خصوصاً البرجوازية المتوسطة والصغيرة. وحينما
نبحث في تحقيق الوحدة مع هذه الفئات أو أغليبتها، وجذبنا للعمل على أساس
شعارات وأفعال ملموسة، أصبحنا قادرين على إنجاز انتصارات ثورية حاسمة.
وكان أول هذه الانتصارات هو صعود الحكومة الشعبية إلى السلطة.

ومع ذلك، كانت، في ذلك الوقت، تقييمات متناقضة للموضع وهذا ما منع
وجود قيادة سليمة للحركة الشعبية التي أصبحت، في النهاية، عاملاً حاسماً في
هزيمة ١١ أيلول.

تعتقد أحزاب الوحدة الشعبية وحركاتها أن الهزيمة ترجع، أساساً، لغياب
القيادة الموحدة التي تتابع السياسة المبدئية، وتتحاشى السقوط في الانحرافات
الانتهازية اليمينية واليسارية. ففي هذا المجال تكون الوحدة الصلبة بين
الشيوعيين والاشتراكيين حاسمة. وهي الضمان للوحدة المتراصة للطبقة العاملة
والجبهة السياسية، ككل.

تعود الوحدة، في تشيلي، بين الشيوعيين والاشتراكيين إلى عشرين عاماً.

وقد تعززت، بشكل راسخ، فى السنوات الثلاث الأخيرة للحكومة الشعبية، ومازالت حتى اليوم قوية. ولكن بقيت صعوبات وثغرات، تم تضييقها من قبل الحكومة الشعبية، دون إحداث أضرار فى الحركة، ولكن فى بوتقة الصراع الطبقي، التى تلت انتصار الشعب، أصبحوا يشهرون بألم أكبر، لوجود مشكلات أصعب يجب معالجتها، فاستفاد العدو من كل ثغرات خلافتنا.

فكلا الحزبين يتحمل المسؤولية عن الصلابة غير الكافية بوحدتهما. فنحن لا نكر نواقصنا الفتوية الذميمة، فى صفوفنا، خصوصاً، فى فروعنا المحلية، وهذا ما منع النقاش الأخوى والاتفاق على عديد من المسائل. فالطابع الطبقي لحزبنا، والإمكانيات التنظيمية الأفضل، كانت تفرض علينا مسؤوليات أكبر فى مواجهة الفتوية التى يروج لها خصومنا.

إن الحزب الشيوعى فى تشيلى هو حزب الطبقة العاملة، ومع ذلك، فإن قيادتنا للبروليتاريا والشعب، والقيام بدورنا الطبيعي، تفرض علينا مسبقاً التعاون مع الحزب الاشتراكي، الذى له، فى نفس الوقت، مواقع مهمة فى صفوف الكادحين. وهذا توجه صحيح، وتعبير عن وحدة القوى الثورية فى بروليتاريا وبرجوازية صغيرة. وهناك حقائق وافرة تحمل هذا المعنى. ولكن هذا لن يحول، قليلاً أو كثيراً، من التصريحات السياسية الواضحة والصريحة، أينما وحينما يكون ذلك ضرورياً، للتعبير عن وجهات النظر الأساسية للطبقة العاملة. كنا نناقش الأمور على مستوى القيادة ونشرح موقفنا الطبقي. ولكننا لم نكن نفعل الكثير على مستوى الفروع، بين الناس.

هذا العمل كان يستطيع منع انتشار التطرف البرجوازي الصغير الذى قاتل ضد وحدة الشيوعيين والاشتراكيين، ضد العملية الثورية ككل. وكان التخريب المستمر الذى يقوم به اليسار المتطرف ضد التحالف الاشتراكي الشيوعى والوحدة الشعبية، هو فى الواقع عامل التخريب ضد القيادة الموحدة. فكان هدمهم هو خلق المجاهرة بالعداء للشيوعية «كقطب ثرى» بديل للقيادة الإصلاحية، التى فرضت، بشكل غير شرعى، بواسطة حزينا. ووجدت وجهات نظرهم مكاناً لها من بعض أعضاء الحزب الاشتراكي.

كانت الجماعات البرجوازية الصغيرة، الزائفة الثورية، تروج المفهوم الدوجمائي، إن كل من هو ليس بروليتارياً أو شبه بروليتارى فهو عدو. فالبرجوازية جميعها، دون استثناء، أدينت «كطبقة حاكمة». وهذا كان يتجاهل حقيقة واقعية جداً، وهى أن البرجوازية الاحتكارية والزراعية حلفاء الامبريالية، كانت تلعب دوراً مهماً فى المجتمع التشيلى. وحملت البروليتاريا عبئاً ضاعطاً، وكذلك حملت ذلك لمجموعات معينة من البرجوازية، ولقطاعات واسعة من الفئات المتوسطة المدنية والريفية. فأهمل هذا المفهوم الدوجمائي، أيضاً، الطابع التابع للرأسمالية التشيلية، وتركز رأس المال. لدرجة أن كلتا هاتين السمتين المميزتين للامبريالية، تخلقان تناقضات اجتماعية، يجب على الطبقة العاملة أن تأخذها فى الاعتبار، عندما ترسم طريقها السياسى، وتختار حلفاءها الضروريين والممكنين.

هذه المفاهيم اليسارية المتطرفة أحدثت تخريباً خطيراً فى الحركة الشعبية، علاوة على ذلك، أصبحت الأساس للسياسة البدائية اليسارية المتطرفة التى تواجه الحكومة، وجهاً لوجه. ففى كل مكان كانوا يشيرون الصدامات مع المستثمرين الصغار والمتوسطين، ويحرضون بالاستيلاء على معامل وعقارات ليس لها أهمية اقتصادية فعلية. وتبنوا موقفاً فئوياً تجاه الفئات الوسيطة. ونتيجة لذلك كانت الطبقة العاملة تجبر على العزلة، وأصبحت الفئات الوسيطة، موضوعياً، حليفة للأعداء الأساسيين للبلاد. وفى الصراع من أجل السلطة تطور، بشكل غير ملائم، توازن القوى بالنسبة للوحدة الشعبية.

وكان اليسار المتطرف يرفض كل المساومات والتحالفات، والمثال النموذجى على نشاطهم ووجهات نظرهم، هو الصورة المشوهة، كلياً، عن المسيحيين الديمقراطيين، كحزب سياسى جماهيرى، حصل فى انتخابات ١٩٧٣، على ٣٠٪ من الأصوات (مع ٨٥٪ من السكان النشيطين اقتصادياً، الذين ذهبوا إلى صناديق الاقتراع). ومثل المسيحيون الديمقراطيون عدة طبقات، وامتد نفوذهم إلى جزء من البروليتاريا والفلاحين، وإلى جزء من البرجوازية الاحتكارية، وكان الحزب قوياً بين الفئة الوسطى. وبالرغم من كل هذا، فقد عومل الحزب ككتلة رجعية خالصة. فهذه العداوة وفرت فرصة للبرجوازية الرجعية وقائدها. الرئيس السابق Frei فرى

فساعدتهم على توحيد حزبهم فى مواجهة الحكومة الشعبية. وهذا، بالمقابل، ساعد الانقلابيين، الذين كان يتعاون معهم فرى ومجموعته، صراحة، على أمل استعادة جزء من سلطتهم المفقودة، على الأقل.

وكان هناك تجللى آخر لفشوية اليسار المتطرف، وهو الإصرار على رفض التحالف مع القطاع الوطنى من الجيش، الذى بقى موالياً للدستور وهذا ما أضعف موقع هذا القطاع من الجيش، وسهل للفاشيين كسب فئة الضباط، وفى النهاية، توقفت جميع أنواع المقاومة داخل القوات المسلحة.

وقد وجدت الدوجمائية تعبيرها الأيديولوجى، فى الإنكار الفعلى لمكاسب الحكم الشعبى. فكانت حكومة الليندى توصم بعار الإصلاحية، ووجهت نداءات للتضال الجماهيرى ضدها وسقطت شريحة من العمال فى هذا الفخ، بواسطة دعاية، عبارة عن سك خليط من العبارات الاقتصادية والثورية الزائفة.

ومع ذلك، يمكن القول، بأن بعض القضايا - خاصة فى التعليم، على سبيل المثال - عولجت بشكل خاطئ. وهذا ما عقد علاقات الحكومة بالكنيسة، التى اتخذ أكثر رجالها نفوذاً موقفاً موضوعياً، وكانوا يتعاطفون مع الإصلاحات الاجتماعية للحكومة، وهذه حقيقة ذات أهمية بالغة.

ونعلم من التاريخ أن مثل هذه الأفعال تؤدى إلى إنتاج تربة خصبة لمشاعر المعارضة ويدفع البرجوازية الصغيرة والفئات الوسطى الأخرى إلى أحضان الفاشية.

وأثبتت التجربة التشيلية، من جديد، بأن اليسارية المتطرفة هى نعمة للامبريالية والرجعية، التى تتعهد بها بالرعاية، كوسيلة لهزيمة الشعب. وظهر الجوهر الانتهازى «ليسارى بكين»، بكل عريه الفاضح، فى تشلى - حتى فى أعين البرجوازيين الصغار الزائفى الثورية. وقضى على اليساريين، بمجرد أن مدوا أيديهم للانقلابيين الفاشيين.

ولم تفسح سلبيات القيادة - التى ذكرت أعلاه - المجال، فقط، إلى اليسارية المتطرفة، بل أفسحت المجال، أيضاً، إلى تجليات الانتهازية اليمينية. ففى الواقع يأتى هذان الانحرافان الأيديولوجيان، غالباً، من نفس المركز الاجتماعى

السياسى.

وكازت الاقتصادية، إحدى السمات الأكثر تعبيراً عن الانحراف اليميني، التى غرست جذورها عميقاً بين أكثر فئات الكادحين تخلفاً، من الناحية السياسية. فبالنيابة عن حزينا، كان أمينه العام قد أعلن أنه بوجود حكومة شعبية فى السلطة «لا يعتمد رفاه العمال، فقط، على نجاح الأفعال التى تدعم مطالبهم بدرجة كبيرة، بل على مصير حكومة الوحدة الشعبية، فى تحقيق أهدافها».

كانت الأحزاب البرجوازية تحت العمال على التقدم لطلبات زائدة، على أمل أن تتآكل القاعدة الاجتماعية للحكومة. وكان اليساريون المتطرفون هم الأكثر سوءاً فى هذا، بالإضافة إلى العناصر الفعلية فى الوحدة الشعبية ذاتها، والذين خضعوا لتأثيرهم - وكانوا يعملون فى نفس الاتجاه. فكانت تصاغ الطلبات بفصاحة ثورية زائفة، وكانت القوى التى تقف وراء هذه الطلبات، تركز، فقط على مصالحها الخزية الضيقة، من أجل توسيع نفوذها. ولم يهتموا، ولو قليلاً، بأنهم بتحريضهم لفئات من الكادحين ضد الحكومة، كانوا يدعمون الانقلابيين.

رفضوا الاعتراف بضرورة إخضاع النضال الاقتصادى المطلبى للصراع من أجل السلطة. كما كان متوقعاً، أتت الاستجابة، فقط، بشكل رئيسى، من العمال غير الناضجين سياسياً، العاملون فى المشاريع الصغيرة والمتوسطة، ذوى التقاليد الضعيفة أو فاقديةا. لهذا ساعدت الأشكال المختلفة للاقتصادية على ابتعاد الفئات الوسطى.

كل ذلك أثر على موقف تلك الفئات من العمال فى معركة زيادة الإنتاج والإنتاجية العالية. تلك المعركة التى كان يجب أن تكسبها الحكومة، لتقوية مواقعها ولتحل قضية السلطة لصالحها. ولكن اليساريين المتطرفين كانوا يخبرون العمال بأنه «يجب أن لا تأخذ المشكلات الاقتصادية الأولية بالنسبة للصراع الطبقي» وأن، «البرجوازية الكبيرة هى التى يجب أن تسعى إلى نمو الإنتاجية». ففى هذا المناخ التحريضي للمقاطعة والتخريب، كان اليساريون يحشون الجماهير على التخلي عن كل هذه الجهود لحل هذه المعضلة الصعبة، التى كانت، فى التحليل الأخير، سوف تقرر مستقبل البلاد. فلم يكونوا يكثرثون بالمهام

الرئيسية، التي كنا نضعها. فكان اهتمامهم الوحيد هو كسب شعبية رخيصة، بالتزلف إلى الجماهير. وهكذا برزت كل من الانتهازية اليسارية واليمينية. وكانت العملية الشورية فى تشيلى، قد تضررت، أيضاً، بواسطة تجليات البيروقراطية، ورواسب المواقف غير البروليتارية فى جهاز الدولة، والافتقار إلى الإيمان بالشعب. كان هناك اتجاه محدد لاستيعاب جزء من جهاز الدولة الذى كسبناه، بعد انتصار انتخابات ١٩٧٠ - استخدام دون إجراء أى تغيير، مهما كان. وهذا كان يتناقض مع محاولات إعادة بناء الماكينة الحكومية، وخصوصاً إعطاء الشعب أكبر جزء فى إدارتها.

وغنى عن القول، فإنه لم تكن أية حكومة تشيلية سابقة تسمح للطبقة العاملة والشعب بأى شئ مشابه للفرص التى قدمناها، من أجل تخطيط ورقابة شئون المجتمع. دون أن تخوض فى النواقص، يجب أن نسأل إلى أى مدى كان يتطابق الإنجاز هذه المهمة مع متطلبات العملية الشورية، والتغيير السلمى للطابع الطبقي للمؤسسات الحكومية.

تبدأ الحكومة البرجوازية، وتنتهى بالبيروقراطية. فتمتلك نحن الشوريين احتياطات هائلة لمضاعفة قوتنا، وتجعل عملنا أكثر فعالية. وهذه الاحتياطات هى العمال، حينما يُجندون لإنجاز وظائف الحكومة، وإقامة «نظام بالغ الدقة والتعقيد لعلاقات تنظيمية جديدة، تمتد لتصل إلى الإنتاج المخطط، وتوزيع البضائع اللازمة لمعيشة عشرات الملايين من الناس» (*).

وكان الإنجاز المستمر لهذه الأحاديث، يستدعى الإيمان العميق بالجماهير وأيضاً النقاء الطبقي. ولمحو البيروقراطية، وضع الشيوعيون بنداً يقول إن موظفى الحكومة يجب ألا يتمتعوا بأية امتيازات. فكان يدفع لموظفينا المعدل الوسط للأجور، وكل زيادة على ذلك، تعود إلى خزانة الدولة. ولقد طرحنا، أيضاً، قواعد صارمة لمنع الفساد، أو أى نزوع طبيعى لكسب الامتيازات، استغلالاً لمركز رسمى. فوضع مئات العمال فى مراكز تنفيذية، وفعلنا كل شئ من أجل إعطاء

(*) لينين المجلد ٢٧ ص ٢٤١.

الطبقة العاملة والشعب النصيب الأكبر في إدارة البلاد.

مع ذلك كانت النتائج غير مُرضية، فارتكبنا الأخطاء. ولناخذ على سبيل المثال، نظام مساهمة العمال في الإدارة، الذي يعمل بالموازاة مع نقابات العمال. هذا النظام الذي أنشأه العمال، ولكنه كان يعنى شيئاً آخر، ولدرجة معينة، وظيفة مخالفة. وهذا ما خفف من الاندماج الفعلي للعمال في الإدارة، وأدى إلى بروز ميل - ضار داخل النقابات. التي كان دورها يختزل آنذاك، إلى تقديم الطلبات الاقتصادية، ولم يكن لها أي دور مهما كان، في الإدارة. وحين بدأنا نضع الأمور في نصابها، كان الخراب غالباً قد اتخذ مجراه.

وبإيجاز، مارست جميع هذه الضروب في الانتهازية اليمينية واليسارية تأثيراً محدداً، وفي حالات كثيرة كان تأثيراً حاسماً، على الحركة الشعبية، وأضعفت المواقع التي اكتسبتها، أثناء المعركة من أجل السلطة.

قال حزينا في بيانه الأول الموجه للشعب بعد الانقلاب الفاشي: إن الحزب الشيوعي يثق، بشكل مطلق، بأن سياسته في الدفاع الكامل (بدون تحفظ) عن حكومة الوحدة الشعبية، وخطوته للتفاهم المتبادل مع القوى الديمقراطية الأخرى، وخصوصاً على المستوى القاعدي، وجهوده لنشر الثقة في الفئات الوسطى، وكفاحه لتوجيه الضربة الرئيسية ضد الأعداء الأساسيين، وهم الامبريالية والرجعية الداخلية، ومشايرته على تعزيز تحالف الشيوعيين والاشتراكيين، ووحدة الطبقة العاملة، والتفاهم المتبادل بين أحزاب الوحدة الشعبية، ولنضاله لزيادة الإنتاج ورفع الإنتاجية، ووضع إدارة معامل الدولة على أساس الدفع، وحملته للانضباط العالي في العمل، كل هذه كانت مكونات لسياسة عامة صحيحة تماماً. ولكن يجب ألا يفهم بأنه لم يكن هناك سلبيات وأخطاء.

ومع أن سياستنا اكتسبت قبولاً واسعاً، ومع أن جزءاً كبيراً في الطبقة العاملة والشعب عمل بتفان لتحقيق أهداف الثورة، إلا أننا لم نستطع توحيد الحركة الشعبية كلها على هذا الأساس.

في الواقع، لم تكن الوحدة الشعبية قادرة على منع عزلة الطبقة العاملة، أو كسب أغلبية السكان، الذين كانت مصالحهم الحيوية مرتبطة، بشكل لا ينفصم

لنجاح الحكومة الشعبية. وهذا ما حدد مسبقاً انتصار الثورة المضادة فى المعركة من أجل السلطة. لقد تكبدنا هزيمة عسكرية وسياسية (وسبب هزيمتنا العسكرية هو هزيمتنا السياسية). لقد هزمنا لأن الطبقة العاملة كانت معزولة عن حلفائها. ومع العمل، بالاتصال الوثيق مع الرئيس الليندى، والحث المتواصل من أجل وحدة جميع المشاركين فى الوحدة الشعبية، بذل حزيننا كل جهوده لحل قضايا السلطة، دون اللجوء للصراع المسلح. وكنا نعمل على أساس أنه، فى جميع الأحوال، إن الطريق إلى السلطة يفترض، مسبقاً، التعبئة النشطة للجماهير. فنجاح العملية الثورية لا يمكن تصوره دون نضال. وهى تستمد قوتها من الجماهير، التى تخمد مقاومة القوى الرجعية، المتصدية، دائماً، لشعب يعمل على تحقيق أهدافه. إنها تستمد قوتها من الجماهير لثمن العنـف الذى يقوم به الجسد الحقيقى، أو المحتمل للسلطة الرجعية. فإمكانية النجاح فى الطريق غير المسلح للسلطة (أحياناً يشار إليه بالطريق السلمى، ولكن هذا ليس تعريفاً سليماً، بشكل تام)، يقتضى قدرة الجماهير على أن تستخلص وتبحث عن محاولات لتجريد الرجعية من عنفها المسلح. وتبرز الإمكانية فى مجموعة محددة من الظروف التاريخية، وتزداد إذا أصبح توازن القوى يميل لصالح الشعب، وإذا ما تم عزل القوى الرجعية بشكل كبير.

ونستطيع أن نتمنى فى معظم الانتصارات التى كانت تعمل نحو هذا الهدف. فنتذكر انتخاب د. الليندى، ومحاولة الامبريالية وحكومة الأقلية منع تنصيبه. وحينما فشل ذلك، حاولوا الإطاحة بحكومته. وعلى مدار سنوات ثلاث، قضى الشعب على مؤامرات CIA و ITST (تشرين أول ١٩٧٠)، الميجور مارشال Magor Marshall (آذار ١٩٧٠)، والجنرال كناليس Canales، وإضراب أصحاب الشاحنات، وإضراب أصحاب الخوانيت وأعضاء المهن الحرة (تشرين أول ١٩٧٢)، والانتقال الفاشل للكونلونيل سوبير Souper (حزيران ١٩٧٣). كان انتصار الشعب فى كل هذه الحالات على المتأمرين ممكناً، بسبب انحياز القوى الاجتماعية الذى خلقه نشاط الحكومة والأحزاب والجماهير المؤيدة للوحدة الشعبية.

وبالمقابل، كان انقلاب ١١ أيلول ممكناً، لأن الامبريالية والرجعية الداخلية بنت جبهة عريضة معادية للحكومة. وكانت تتشكل، طبقياً، من البرجوازية الاحتكارية والاوليجاركية الزراعية، التي تشكل لبها ومحتوى الجبهة، أيضاً، على أغلبية البرجوازية المتوسطة والصغيرة، ومعظم الفئات الوسطى، والعناصر المتخلفة فى الفئات الاجتماعية الأخرى. أما تكوينها السياسى فيتضمن الانقلابيين، الذين كسبوا معظم المسيحيين الديمقراطيين الذين يقودهم Frei فرى (بجانب الأحزاب السياسية الأخرى) والعناصر اليمينية التي إنشقت عن الحزب الراديكالى أما تكوينها العسكرى، يضم الانقلابيين، الذين كانوا قادرين على لف الأغلبية الساحقة رجال الخدمة السرية والشرطة، وعملياً منع أى عمل للدفاع عن الحكومة الديمقراطية.

وأصبح هذا واضحاً بعد ساعات قليلة من وقوع الانقلاب. ففى البدء، نظمت المقاومة الشعبية فى أماكن عدة، فكثير من أعضاء الحزب الشيوعى وأعضاء الأحزاب الأخرى فى الوحدة الشعبية، قد سقطوا فى الصراع البطولى، مقاتلين بأية أسلحة توافرت فى أيديهم، ولكن الطبقة العاملة والشعب، وقيادة الأحزاب الثورية والرئيس اليندى أدركوا بأنه من الجنون النزج بكل قوانا واحتياطاتنا فى هذه المعركة غير المتكافئة.

لقد أخبر الرئيس الشعب بقراره وأسبابه: «فى هذه المحنة الكبيرة سوف أرفع حياتى وفاء للشعب. فالقوة إلى جانب العدو، ويستطيع أن يفوز. ولكن لا القوة ولا العمل الإجرامى تستطيع إيقاف العملية الاجتماعية. فعلى الناس أن يدافعوا عن أنفسهم، ولكن يجب ألا ينتحروا، ولا يستطيع الناس أن يسمحوا لأنفسهم بأن يداخوا، أو يدمروا، ولكنهم لن يسمحوا لأنفسهم بأن يذلوا وسوف تعيش هذه الساعة المقيمة والمريرة فى أذهان الآخرين. وأنا على ثقة بأننى لا أقدم حياتى عبثاً».

إنه لمن الصعب التعليق على العزة فى هذه الكلمات، أو التفانى الثورى الذى عبرت عنه ولكنه من المهم أن نفهم أن الرئيس كان قد اعتبر أن الموقف السياسى غير ملائم، بشكل كبير، بالنسبة للقوى الشعبية.

وبهذا المعنى، نقيم هزيمتنا بأنها سياسية أولاً، ومن ثم يمكن اعتبارها بعد ذلك، فقط، هزيمة عسكرية. فعزل الطبقة العاملة عن حلفائها، مكّن الرجعيين من القيام بانقلابهم. هذه العزلة هي التي تحكممت بإمكانية رفع السلاح بالنسبة للطبقة العاملة والشعب. كان يمكن أن نعلن، رسمياً، بأنه كانت هناك مثل هذه الإمكانية، ولكن، فقط، إذا كنا نريد السير إلى الانتحار الجماعي.

والخلاصة التراجيدية لهذه المرحلة من الثورة التشيلية تتطلب، أيضاً، تحليلاً لموقفنا من القوات المسلحة. فقد بين انقلاب ١١ أيلول، أن الانقلابيين قد أجبروا القوات المسلحة التشيلية بأن تتخلى عن تقاليدھا التي حافظت عليها، لزمن طويل، وهو عدم التدخل في السياسة، أو خيانة الواجب المهني، والولاء للمؤسسات الديمقراطية.

اعتمدت الحركة الشعبية على هذه التقاليد، حينما اختارت طريق الثورة الذي ستسلكه. لقد اتبعنا هذا الطريق، حينما كانت الحكومة الجديدة في السلطة، وسعينا إلى تحسين التقاليد الديمقراطية للجيش، وتعزيز طابعه المؤسساتي، وقطع الطريق على المحاولات الفاشية لتحويل العسكريين ككلاب تجرى وراء الرجعية. لقد اعتمدنا، بشكل كبير، على «احترافية» الجيش، واحترامه للحكومة المنتخبة، وسعينا لزعج القوات المسلحة في العمل من أجل التطور الاقتصادي، دون أن نقلل، بأية طريقة، من الطرق من استعدادها القتالي. لقد عملنا في وقت الأزمة، نحن وحلفاؤنا والقطاع الوطني من الجيش الموالي للدستور، وهذا ما لعب دوراً حاسماً في إحباط مؤامرة أكتوبر ١٩٧٢. وكان يمكن لهذا التحالف أن يتطور، لولا انتشار مفاهيم اليسار المتطرف.

وفي نفس الوقت، واصل الانقلابيون تأمرهم. فكان يُعزل الضباط الصادقو الولاء للحكومة الشعبية، وبسلسلة من الأعمال الخيانية، كان الرجعيون ينصبون في المناصب القيادية الرئيسية. وكانت أساليب لمحاجهم، جزئياً، موضوعية، إذ كانوا قادرين على تنفيذ خططهم، مستخدمين أيديولوجيتهم الرجعية، التي حققت بها القوات المسلحة، بشكل رئيسي، كنتيجة للتغلغل الامبريالي، والتركيب، الطبقي لسلك الضباط. وبينما كانت تنمو هذه العوامل، كانت تزداد عزلة الطبقة العاملة

عن حلفائها. فكان التخريب كبيراً، ومنتظماً، بحيث تحولت إلى خطة عملية، بدئاً بتنفيذها، منذ سنة ١٩٧٢، هذا طبقاً لاعتراقات بينوشيت الأخيرة. حتى توج كل هذا بالانقلاب الفاشي.

ولم نكن قادرين على بناء قاعدة ملائمة لتأييدنا بين ضباط الصف والجنود الذين بفضل أصولهم الطبقية، ينجذبون إلى الحكومة الشعبية. وكان هناك تناقض، وبدرجة معينة، بين جهودنا لتحسين الطابع الحرفي لقواتنا المسلحة، وعملنا في تفسير ما هي الحكومة الشعبية، وماذا تعنى بالنسبة للمستخدمين. ثم كان هناك، أيضاً، كثير من الأوهام حول ولاء الجيش إلى واجبه «الحرفي» وإلى الدستور. وكحزب ارتكبنا أحد أخطر أخطائنا في تقديرنا المبالغ فيه للطبيعة الديمقراطية للنظام الحكومي. ولم نتخذ خطوات آنية لإعادة تنظيمه. وهذا ينطبق، أيضاً، على القوات المسلحة.

هذه بعض دروس الأحداث المأساوية في بلادنا.

(٢)

إن الديكتاتورية الفاشية، التي صعدت إلى الحكم بواسطة الانقلاب العسكري، أرجعت البلاد إلى السيطرة الامبريالية والاحتكارية وأوليغارشية مالكي الأرض. فتشلى تحت حكم رجعي، حاقداً، لا يرحم، ولا يكبحه دستور ولا قانون. يحتفظ بالسلطة بقوة السلاح، فسياسته هي تعبير عن طابعه الطبقي وأيديولوجيته الفاشية (٣).

اغتصبت الطفمة العسكرية السلطة، مستفيدة من الوضع السياسي، الذي لم يكن لصالح الحركة الشعبية، فمعظم السكان لم يكونوا مهئين للدفاع عن الحكومة الشرعية. ولكن بعد ستة شهور من حكم الطفمة، بدأت قاعدتها تتفكك، لأن سياستها تلحق الضرر بمصالح أغلبية الشعب، هذه السياسة التي يرفضها الشعب. والآن لا أحد يعاني من الأوهام.

سياسياً، دمرت الطفمة جميع أشكال الديمقراطية. فسياستها هي قمع الجماهير، والخرق الفاضح المتواصل لمبادئ حقوق الإنسان، والتدمير المتعمد والمستهتر لجميع الحريات الديمقراطية.

فقد أزالبت الطغمة الدولة الدستورية، وأبدلتها بالدولة البوليسية، فأكد حزينا أن الانقلاب العسكري قد دمر جميع المؤسسات، تاركاً قضاءً عاجزاً، و«مدعى عام» دموية. فكلها مجرد ديكور، فالقضاء يصدق على الأحكام التي تصدرها المحاكم العسكرية، والمدعى العام يختم الأوامر العسكرية ليمطّرها «قوة القانون».

في الثقافة والأيدولوجيا، على السياسة أن تبحث الماركسية وجميع المذاهب، وهي، من وجهة نظر الطغمة، يجب أن تؤدي إلى إلغاء الماركسية، أو حرقها. تلك الصيغة التي جرى بها في الماضي أناس معينون، ونعرف الآن ماذا حدث لهم.

فالفاشية لا تستطيع بحجرة قلم أن تُلغى التقاليد الديمقراطية، التي تولدت خلال سنوات طويلة وشاقة من النضال. ولا تستطيع أن تخنق حب الشعب للحرية ولا تقاليد الديمقراطية، التي أصبحت جزءاً لا ينفصل عن الطابع القومي. فالشعب، وفي المقدمة الطبقة العاملة الكثيرة العدد، والصلبة، والمنظمة، لن تتخلى بسهولة، عن حقوقها. فتشيلي لديها تراث قوى من المنظمات الشعبية، وخصوصاً نقابات العمال والأحزاب السياسية، التي تعبر عن إرادة الشعب. واليوم، هذا التقليد هو العامل الأساسي في الوحدة من أجل التجديد الديمقراطي. فموقف الكنيسة من القمع للإنساني ذو دلالة كبيرة، وأهمية بالغة. فلقد اتخذ عديد من المطارنة والقساوسة موقف الدفاع عن المحكومين، حتى أنهم أقاموا شبكة من لجان الإغاثة الخاصة بهذا العمل، ودعوا في تجمعاتهم للمشاركة فيها.

وجهت السياسة الاقتصادية للطغمة الرجعية ضربة مرعبة لأغلبية شعبنا. فحملتهم تكاليف الأزمة الاقتصادية، التي كان سببها، بشكل رئيسي، المقاطعة والتخريب الرجعيين، خلال فترة الحكومة الشعبية، وتفاقم الوضع أكثر، نتيجة لأزمة الرأسمالية العالمية.

وترفع الأسعار بحيل خيالي، وتنحدر القوة الشرائية بحدة. وأدت سياسة تشجيع صرف الناس من أعمالهم إلى زيادة البطالة، التي هي ذاتها نتيجة للأزمة الاقتصادية. وقتئذ، البطالة إلى الفئات الوسطى من حرفيين ورجوازين صغار. وأعطت هذه المسألة الأفضلية لشمركز الاحتكارات وتسارع التراكم الرأسمالي، من خلال الاستغلال المكثف للعمل وإفقار الجماهير، وهذا يعنى

انكماش السوق الوطنية. « فالمشاريع الفاسدة » التي لم تستطع مجاراة مستوى الإنتاجية في البلدان الرأسمالية المتطورة، أزيلت، وتسارعت العملية بواسطة إلغاء تعريفات الحماية، وتقليل تسهيلات الاعتبارات. وهذا كله أدى إلى ازدياد « المنافسة الحرة ». وباختصار، تركت البلاد تحت رحمة الرأسمال الاحتكاري المحلي والأجنبي.

إن أسوأ ضربة هي التي وجهت للطبقة العاملة. إذ صاحب الأزمة الاقتصادية الراهنة الانقضاض على النقابات، ومنع الإضرابات، حتى في مواقع العمل وجرت محاولات لتصفية الحركة النقابية... وهلم جرا. وتوجهت سياسة الطفمة، أيضاً، ضد الفلاحين حيث فقد الآلاف منهم الأرض التي كانوا قد منحوها في السابق، وحكم على عمال المزارع بحياة الفقر.

ووجدت الفئات الوسطى نفسها تكسب قليلاً، وتدفع كثيراً في الضرائب، لتمول التوسع الاحتكاري. وأخيراً، أدت سياسة الطفمة إلى جعل التناقضات حادة بين البرجوازية الاحتكارية والبرجوازية غير الاحتكارية، وأدت « المنافسة الحرة » إلى خراب معظم الاستثمارات الصغيرة والمتوسطة. وليس لسياسة أو نشاط الطفمة الحاكمة ما هو مشترك، ويشكل مطلق حتى مع الإصلاحية البرجوازية. فليس هناك أي قاعدة اقتصادية لسياسة شعبية لأن الاحتكارات أحكمت سيطرتها الكاملة.

فتجبع الطفمة « بالقومية » يتجلى بشكله النموذجي في الاضطهاد الفاشي للأجانب (اللاجئين السياسيين، والمثقفين، والعمال). وهذا لا يمكن أن يلفى أو يحجب حقيقة أنها تستجيب، بشكل مطيع، لما يقلبه إمبريالية الولايات المتحدة. والدليل على ذلك: تجريد ثروتنا القومية من قوميتها، والرقابة على الاقتصاد بواسطة صندوق النقد الدولي يعطى مراقبيه الأوامر، وعلى « القوميين » تنفيذها. ففي الوضع السياسي بعد الانقلاب، بقي التناقض الأساسي بين الشعب التشيلي من جهة وبين القوى الموحدة للامبرياليين والأوليغاركية الاحتكارية ومالكي الأرض من جهة أخرى، فالأعداء الأساسيون بقوا كما هم، وتغيرت، فقط، أساليبهم، فهم يستخدمون الفاشية بغرض إستعادة الامتيازات، التي فقدت خلال

السنوات الثلاث من عهد الحكومة الشعبية، وليعيدوا بناء سيطرتهم الطبقية. فى الوضع الجديد، اتخذت جبهة العدا للامبريالية وحكم القلة شكل جبهة العدا للفاشية، التى تتكون من جميع الذين يهمهم ثروة الأمة والقيم الديمقراطية التى تسهى الفاشية إلى تدميرها. وستنضم هذه القوى إلى جبهة العدا للفاشية، لأن مصالحها الاجتماعية والاقتصادية، أيضاً، فى تناقض صارخ مع السياسة التى فرضتها الفاشية. وستؤدى الظروف الملموسة إلى ظهور النضال من أجل الديمقراطية، بجانب النضال من أجل التغيير الثورى.

ويجب على الحركة الثورية الشعبية أن تقيم سياستها بناء على تجربتنا، وتحليل انتصاراتنا وأخطائنا، وتحاشى الفتوة التى أعاقت الطبقة العاملة، منذ زمن، فى تشكيل تحالفاتها. حلاوة على ذلك، فإذا ما كانت الفتوة خياراً للطريق الثورى، فإنها كمن يضع الحنطة فى طاحونة الفاشية.

وفى الوضع الراهن، فإن وحدة الشيوعيين والاشتراكيين هى أساس لوحدة الطبقة العاملة، وقوى الوحدة الشعبية والشرائع الواعية سياسياً من السكان. وأعلن الحزب الشيوعى، فى بيان صدر فى كانون أول سنة ١٩٧٣. «فى نفس الوقت، يجب أن نمضى بعيداً تجاه وحدة الأفعال مع قطاعات من الشعب، لم تكن على وفاق مع الحكومة الشعبية. وفى التفريق بين الشعب وأعدائه، يجب أن ننظر إلى المستقبل، لا إلى الماضى. لأن خط التقسيم ليس بين الحكومة والمعارضة، كما كان الوضع قبل الانقلاب، بل بين الغاصبين الفاشيست وأولئك الذين يعانون فى سياستهم الرجعية، وعلى استعداد للعمل من أجل التجديد الديمقراطى والتغيير الاجتماعى التقدمى، والاستقلال القومى».

تستطيع الوحدة الشعبية أن تلعب دورها، إذا كان هناك تفاهم متبادل وثيق، ضمن صفوفها، يتم تحقيقه من خلال الحوار الأخوى، على أسس مبدئية. إنه لأمر حاسم التغلب على الأخطاء السابقة، ورسم استراتيجية وتكتيك موحدين، وقيادة مشتركة للقوى الثورية. هناك، ضمن الوحدة الشعبية، ميلاً محدداً للتفاهم الوثيق المبنى على السياسة المبدئية، ضمن الأحزاب المختلفة ذات التقارب المبنى على الحاجة من أجل تنظيم وتوحيد الجماهير. تلك هى القاعدة الثابتة

الوحيدة لتطور الحركة المتراصل.

وهناك مسألة حيوية أخرى، بخصوص المشاركة الأنشط للمسيحيين الديمقراطيين في الجبهة ضد الفاشية. فهناك اتجاهان ضمن الحزب المسيحي الديمقراطي: - أحدهما يقدم النقد باستمرار للطغمة، ولكنه فقط يستعشها على أن تتخذ موقفاً أفضل تجاه المسيحيين الديمقراطيين، لدرجة إشراكهم في إدارة البلاد. ولكن هناك إتجاهاً آخر، الفئات الديمقراطية الشعبية، التي تشمن الحاجة إلى التغيير الاجتماعى، وتشارك بمشاعرها الليبرالية، وقيل إلى التفاهم مع القوى اليسارية. فأى من هذين الاتجاهين سوف يسود، يعتمد كلياً على المسيحيين الديمقراطيين أنفسهم. فمشاكلاتهم الحزبية الداخلية لا تعيننا، مباشرة. فما يعيننا هو الحاجة لتحاشى الفتوية، التي تصبح لعبة فى أيدى الرجعيين، فبالكفاح من أجل الوحدة، لدرجة أن يصبح المسيحيون الديمقراطيون أعضاء كاملى العضوية فى الجبهة المعادية للفاشية. ويمكن تحقيق ذلك على الأسس الموضوعية المتاحة. التي تزداد بسبب أفعال الأعداء المشتركين.

فالْحزب المسيحي الديمقراطي محظور، وصحافته مغلقة بواسطة الضغط الاقتصادي وضغط الرقابة، وهذا ما يولد عداً للطغمة التي تسعى لاضطهاد بواسطة قمع أكثر.

ويجب أن تكون الجبهة المعادية للفاشية مفتوحة أمام المنظمات اليسارية غير الملتزمة بنا، ولكن يجب أن يكون هناك اتفاق على البرنامج، وأسلوب النضال، وعلاقات أخوية فى جميع النشاطات المشتركة.

ولا يمكن استرجاع الديمقراطية دون النضال. ونحن نفهم أن المقاومة النشطة تعنى العمل مع الجماهير الموحدة ضد الديكتاتورية. ومثل هذا العمل بدأناه حالياً: - فيعيد تنظيم العمال والحركة الشعبية، وتحارب فئات من العمال من أجل حقوقها. بالطبع ما زالت هذه الأعمال بدائية متقطعة، ولكنها مهمة، إذا أخذنا بالاعتبار التراجع العام لحركة العمل بعد الانقلاب. وتعتبر المقاومة، أيضاً عن تضامننا مع ضحايا الاضطهاد وعبر الصلات الجديدة تعيد الناس للعمل معاً، مرة ثانية، وبالتدرج.

فبناءً على وجهة النظر هذه ضد الطغمة ليس سهلاً إذ يجب تجديد وجهات النظر المشتركة، وإيجاد الحلول العملية للقضايا المطروحة. وبسبب ما يجري تطور الجبهة المعادية للفاشية، يجب وضع مسودة لبرنامج الحكومة:- تدمير الدولة الديكتاتورية البوليسية، وخلق البديل، دولة يحكمها القانون، والديمقراطية المعادية للفاشية القومية، دولة شعبية، تمثيلية تبعث الديمقراطية وتعتبر الفاشية، وتقوم بالتحويلات الثورية، وتؤكد استقلال البلاد.

ويؤكد البيان الذي أصدره حزبنا، بعد فترة قصيرة في الانقلاب، في تشرين أول ١٩٧٣ أنه «سيمود الشعب إلى المملطة، ولكنه بالطبع، سوف لن يجبر على إعادة بناء جميع المؤسسات القديمة. فسيمود الشعب دستوراً جديداً، وقوانين جديدة، وينشر مراسيم جديدة، وينشئ إدارات ومؤسسات حكومية جديدة، كجزء من دولة يحكمها قانون ذو نطق أعلى من ذلك الذي خلقه الانقلابيون. وسوف تكون دولة تحترم فيها حرية التفكير، طبقاً لجميع المبادئ الإنسانية، ولكنه لن يبقى مكاناً لقوانين تترك ثغرات ومنافذ للتهب، والتخريب الاقتصادي والفاشية» ويلقى زمن المحنة في تشيلي بظلاله على مستقبلها. فالمؤسسات التي كان يؤمن بها الكثيرون بشكل أعمى، يجب أن تلقى في مزلة التاريخ. حقاً، من سيحترم النظام القضائي القديم، أو البرلمان الذي وقع شهادة وفاته بنفسه؟

وهكذا، حينما نتكلم عن التجديد الديمقراطي المعادي للفاشية، فإننا لا ننزع ضمن اعتباراتنا فقط مجرد إعادة بناء أمور الدولة التي كانت قبل الانقلاب، بل، أيضاً، تطويراً واسعاً وشاملاً للديمقراطية. وسوف تؤكد المؤسسات الجديدة بشكل فعال وجود حكومة الأغلبية، وسوف تلفظ منها جميع العناصر الفاشية، سواء كانت مدنية أو عسكرية، وسوف تملك الوسائل لسحق أية محاولة لعودة الفاشية. فالدولة الجديدة المعادية للفاشية، سوف تتضمن بنية حزبية متعددة ونشاطاً شريعياً لجميع الأحزاب الديمقراطية. نريد حكومة من أحزاب متعددة، حكومة الشعب، حتى أكثر تمثيلية من حكومة الوحدة الشعبية السابقة. فيجب أن تكون حكومة ثورية قوية، لتؤكد الديمقراطية الراسخة، والتقدم الاجتماعي السريع. وما زال أمام الجبهة المعادية للفاشية قضية مهمة أخرى يجب حلها، وهي

الإصلاح الجندري للقوات المسلحة، إذ بدون ذلك لا يمكن أن تكون هناك دولة ديمقراطية.

فالقوات المسلحة، التي أخرجت تطور البلاد بالطريقة الأكثر وعشية، تخدم الآن الامبريالية والاوليجاركية الرجعية. فالجنرالات والضباط الذين ساعدوا على توريط الجيش في المؤامرة ضد تشيلي وشعبها يتحملون مسؤولية جسيمة أمام التاريخ. وسوف يستندون للحساب على جميع الجرائم وحمامات الدم التي ارتكبوها. لقد مرغوا شرف وهيبة القوات المسلحة في الوحل أمام أعين شعبنا والعالم كله. لقد داسوا على أنبل التقاليد التشيلية، وأحالوا القوات المسلحة كجلاء للشعب. إنهم مدانون بالجريمة الكبرى، وهي خيانة بلادهم.

وغنى عن القول، بأننا لم نر، أبداً، أن الصراع الاجتماعي هو مواجهة بين المدنيين والعسكريين. فكثير من المستخدمين كانوا مخلصين لواجبهم الوطني، ولكنهم كانوا عاجزين عن إيقاف الإرهاب ضد الشعب. وأولئك الذين رفعوا أصواتهم ضد الانقلاب الفاشي والاضطهاد، قد عانوا على أيدي الطغمة. فبعضهم قد أعدم بعد محاكمة سريعة، أو حتى بدون محاكمة. والآن، يحاكم عشرات الجنود وضباط الصف والضباط، وهناك حملة عامة لانتفاذ حياتهم.

إن تشيلي في حاجة إلى قوات مسلحة، لا تقف في المستقبل ضد الشعب، مهما كانت الظروف، ولا تصبح كالكلاب الراكضة خلف الامبريالية والاوليجاركية. ويتضمن بيان حزينا، الذي ذكر أعلاه، في هذا المجال «بعد كل ما حدث، إن للشعب التشيلي الحق في تنظيم جيش وشرطة من نمط جديد. وطرد جميع العناصر الفاشية، وعلى كل المستويات، من الجيش، والشرطة، ووكالات المباحث، والاستخبارات، وذلك من أجل منع تكرار المأساة الحالية».

هذا هو الهدف، وهو مهم جداً، بحيث يشارك في تحقيقه، أيضاً، الجنود والضباط ذوو العقلية الديمقراطية والمخلصون لواجبهم المهني.

فالتطورات السياسية، من الناحية الأخرى، ضمن القوات المسلحة والشرطة يمكن أن تثبت بأنها العامل الحاسم في تشكيل طابع وأشكال المقاومة المعادية للفاشية. فالطغمة تريد جيشاً ذا توجيه فاشي ومجرد من أي مذهب ولكن

التقاليد الديمقراطية والوطنية، التي انتهكت خلال الانقلاب، ما زالت حية، إذ تجد عملية نشر الفاشية مقاومة متزايدة. هذه هي خلفية الاستياء العام في سياسة الطغمة، وعدم الثقة بالمستقبل.

وقد أعلنت الحركة الشعبية عن تصميمها على إحياء التقاليد الديمقراطية والوطنية، ومواجهة سياسة الطغمة، وتحريرتها، في أعين الشعب. ويحاول الفاشيون، بياس، تقوية مركزهم، برشوة الضباط برواتب عالية (أعلى فعلياً من أجور العمال، بالإضافة إلى علاوة، باسم علاوة «الحرب الداخلية»، تقدر بحوالى ١٥٪). فالجيش يتوسع، وهذا يعنى ضرائب أكثر. حتى أننا بتنا مقتنعين، بشكل ثابت، بأن الفاشيين لن يسيطروا على الشعب.

كما ذكر أعلاه، فقد تزاوجت المعركة من أجل ديمقراطية أوسع، مع معركة التحولات الاجتماعية. ولا يمكن أن يكون هناك فاصل بين المعركتين، حينما تكون القضية هي قضية الطبقة العاملة، قائدة الجبهة المعادية للفاشية.

ولكن قيادتها يجب أن تكون مبنية على الوحدة الوثيقة. لذلك يكون تنظيم جبهة المعادة للفاشية عبارة عن عملية من الوحدة والصراع، فانتصار الثورة سيكون مؤكداً، فقط، إذا ما اتبعت الطبقة العاملة سياسة مستقلة، تشرحها بعناية للفئات الاجتماعية الأخرى، ولكنها لا تفرضها على أحد. فالتناقضات داخل الجبهة تطور منطقى، ولكن يجب ألا يسمح بأن تصبح ذات طابع تنافرى. وتستطيع الطبقة العاملة أن تلعب دوراً قيادياً إذا ما كسبت جزءاً كبيراً في المجتمع. ولكن هذا، بالمقابل، يتطلب تحالفاً أوسع مع الفئات الاجتماعية. حينئذ، تستطيع الجبهة المعادية للفاشية أن تعمل، فقط، من خلال التفاهم المتبادل. وسيكون هذا أكبر وأقوى، كلما تعاظم النشاط الثورى للطبقة العاملة.

فالثورى يجب أن يساعد على تعميق التناقضات الاجتماعية، ليس في بعض أشكالها المجردة، بل في سياق جعل التناقض الأساسى هو الأكثر حدة. فبالعمل بهذه الطريقة نستطيع أن ندمج النضال من أجل الديمقراطية بالنضال من أجل التغيير الثورى، ومن أجل تحالف أوسع، وجعل الطبقة العاملة في مركز الوحدة، والقوة المحركة والضامنة للتغييرات الثورية البعيدة.

وما هو حاسم هنا، هو قدرة الطبقة العاملة على استخدام الشعارات، وأشكال النضال، التي توحد كل القوى الديمقراطية، وقدرتها على إتباع سياسة مبدئية، تقيد الانتهازية اليمينية واليسارية، على حد سواء.

فالوضع الثوري يمكن أن تحدثه، فقط، الحركة الجماهيرية، التي تأخذ في الحسبان القضايا الملموسة التي تواجه الشعب. فتبرز أشكال النضال في مجرى هذه العملية، التي تنظمها، وتعمقها، وتطبقها القيادة الثورية، بدون تجاهل مستوى النضج السياسي للجماهير. مهما كان، وأيضاً، العلاقة المتبادلة بين القوى والحاجة إلى تحسينها، في كل خطوة تخطوها.

ويجب أن تتطابق الشعارات، تماماً مع الأهداف التكتيكية لكل مرحلة، في حشد القوى الثورية، ويجب وضع الشعارات أمام الجماهير. والتمييز بين الدعاية الاستراتيجية والتكتيكية، والشعارات التحريضية. ودائماً تأخذ في الاعتبار بأن الارتباط المتبادل (تداخل) بين مختلف الشعارات لا يترك الجماهير أبداً.

وهذا يعنى أن الإرهاب والمغامرة والتأمر الفردي يجب أن ترفضها الحركة الشعبية. وكل الدلائل تفيد بأن الفاشيين سيكونون سعداء جداً، فقط، لرؤية أفعال من هذا النوع، وذلك كمبرر للقمع الذي يعتمد على سلطتهم. ففي الماضي كان الإرهاب والاستفزاز يستغلان بلباقة من قبل أعداء الشعب، فكانوا يستطيعون أن يسببوا حتى تخريباً أكثر. مع الأخذ بالاعتبار طبيعة الحكم الحالي، معظم قوة الوحدة الشعبية، خصوصاً الشيوعيين والاشتراكيين قد أعلنوا وجهات نظرهم في هذه المسألة.

ومن الناحية الأخرى، يعتقد حزينا بأنه يجب ألا يكون هناك إطار جامد، ومبنى بسرعة في المعركة ضد الفاشية ومن أجل الحكومة الجديدة هذا لن يسهم في العملية الثورية. ولكننا نعتقد أن تعليقاً معيناً يجب أن يقال:-

أولاً، يجب أن نتأكد بأن تجربة الصراع الطبقي في تشيلي - ويتضمن هذا الهزيمة الراهبة المؤقتة - أثبتت أكثر مما دحضت، النظرية الثورية التي صاغتها الحركة العمالية. فبالرغم من إدعاءات الرجعية ومثلثي ثورية البرجوازية الصغيرة الذين هم صدى الرجعيين، فإن موضوعة الوصول إلى السلطة بالطريق غير المسلح

فى بلدان معينة، وفى ظل ظروف معينة، لم تبطل بواسطة الانقلاب الفاشى فى تشيلى. وينفس المنطق فإن الهزيمة المؤقتة لحركة وطنية تسعى للوصول إلى السلطة عبر الكفاح المسلح لا تعنى بأن هذه الثورة محكوم عليها بالفشل.

ففى تشيلى، قد اختلفت بشكل واضح، إمكانية كسب السلطة بالطريق غير المسلح، وذلك بالمقارنة مع الوضع قبل ١٩٧٠. فالانتخابات كوسيلة للنضال من أجل السلطة السياسية قد أصبحت غير واردة، لفترة غير محددة.

وهى الناحية الأخرى، فإن رد الفعل الأكثر احتمالاً للدكتاتورية الفاشية على الاستياء الشعبى المتصاعد سيكون محاولات لإبقاء الشعب خاضعاً، حتى ولو كان الشعب عرباً أهلية ويمكن للدكتاتورية الفاشية أن تتشن مثل هذه الحرب ضد الحركة الجماهيرية المتصاعدة الواعية لإسقاط الحكم، ويؤكد هذه الفرضية وعشوية الدكتاتورية التى لا تقارن. ففى مثل هذه الحالة سيصبح العمل المسلح من قبل الشعب ضرورياً. وأشكال هذا العمل المسلح يمكن أن تتنوع، وهذا يعتمد بشكل رئيسى، على الطبقة الحاملة. ومع ذلك، فإن الانتفاضة الواسعة للأمة هى الإمكانية الأكثر احتمالاً من حرب العصابات.

فالفرضية الواسعة المتحالفة أمام الطبقة الحاملة مفتوحة، وبالتحديد لأن البلاد تعيش فى ظل حكم فاشى، وهذا ما يخلق الشروط المسبقة لانعياز القوة لصالحنا وستكون مضامرة الرجعيين صعبة، إذا ما استخدموا السلاح ضد هجوم القوى الشعبية.

ومع أن الديمقراطية قد ألغيت، إلا أن الحرب الأهلية ليست الشكل الوحيد لمثل هذا الهجوم. بل إن الإضراب السياسى العام، المدعوم فى الأغلبية الساحقة من السكان، يمكن أن يشل يد أولئك الذين يرغبون فى استخدام العنف الرجعى... وكانت تلك الحالة حينما تخلص الشعب من الدكتاتورية العسكرية، سنة ١٩٣١.

بمعنى آخر، إن حزينا يتوق إلى تحاشى الأحكام الدوجمائية، التى تفرض، فقط، بعملية حشد القوى، وعملية التجديد الديمقراطية. ولكننا، أيضاً، نوافقون إلى تحاشى الصيغ البرجوازية الصغيرة الزائفة الثورية، مثل: «تنجى السلطة من فريضة

البهائية « فالسلطة تنبع من الجماهير، ومع ذلك تلعب البهائية، بشكل واضح، دوراً، أيضاً، كما نعرف من تجربتنا، أيضاً، بأن البهائي تطلق النار اعتماداً على قوة الشعب أولاً. فإذا كان الشعب قوياً، موحداً، ومستعداً للمضال فإنه يستطيع الوسيلة لمنع العدو من إطلاق النار. وقد أثبتت ذلك، أيضاً، بالتجربة الثورية.

والذي نؤكد، مرة تلو الأخرى، بأنه ليس مبعاً أي طريق للشورة تخترار، بل إن الشئ الأساسي هو التهيئة الواسعة والكاملة للجماهير والاستفادة التامة من كل فرصة لشحن الصراع في كل جبهة ولف قري، أكثر فأكثر حول الطبقة الصاملة. فيمكن إنجاز ذلك بسهولة أكثر، إذا ما أكدت القوى الشورية الارتباط الوثيق بين الأهداف الديمقراطية والنضال الاشتراكي للشورة التشيلية. وهذا ما سيؤدي إلى عزل الفاشية في جميع قطاعات الجبهة.

والشئ الأساسي هو العمل اليومي، والملموس، والصغير بين آلاف العمال، والنساء والشباب، وبين جميع التشيليين. وذلك هو مفتاح النصر لأي نضال.

ولا يمكن لأي عملية ثورية أن تسيير إلى نهايتها الظافرة، ما لم تحصل على دعم الجماهير. فالعنف جزء من كل طريق للسلطة، يسيير عليه كل من الطبقة الصاملة والشعب، ولكن العنف لا يحتاج اللجوء الفحال للسلح. فإن هذا سوف يعتمد على طابع المقاومة التي تقوم بها الرجعية، والأكثر تحديداً طابع المقاومة التي بمقدورها القيام بها. وسوف تعتمد، أيضاً، على نشاط البروليتاريا في درجة عزلها لأعدائها، وعلى العمليات الخارجية داخل القوات المسلحة وعلى الوضع الدولي ... إلخ. وحيث أن هذه الخطوط الحريضة لا يمكن تحديدها مسبقاً، فإنه سيكون من الخطأ سحب مسودة المخططات: لأنها سوف تفقد كل قيمتها، حينما تنطور الحركة الشورية.

وتوجه الرفيق الرئيسى اليندى قبل وفاته بدقائق قليلة، إلى الشعب وللمرة الأخيرة. وعبر عن إيمان عميق يقوى الطبقة الصاملة والشعب، الإيمان الشورى الصلب، فقال: «إننى مقتنع بأن البذور التي يذرناها في عقول ملايين التشيليين لا يمكن تدميرها. فاستمروا في عملكم، علماً بأنه، عاجلاً أم آجلاً، سيفتح ثانية رجال ذوو قلوب طيبة وشجعان الطريق لمجتمع أفضل».

فالشبيوعيون مقتنعون بذلك، لأنه لا توجد قوة على الأرض تستطيع إلغاء العملية الثورية، بشكل دائم، بالرغم من الصعوبات والتراجعات المؤقتة. فنحن مدركون، بعمق مسؤوليتنا أمام الحركة العمالية العالمية. واليوم فإن حملة التضامن القوية التي لم تحدث في السابق أبداً حيث انضم، من كل مكان، أناس ذوو اتجاه ديمقراطي، وهذا ما عزز تصميمنا على أن نتقدم بالتعاون والوحدة مع جميع الاتجاهات الثورية من أجل النصر على الفاشية فحزبنا مستعد لبذل كل ذرة من الطاقة، وأن يقدم كل تضحية في الحرب ضد الفاشية.

وتحور الطغمة، باتقان، كل الحقائق، في محاولتها للظن بوطنية الشبيوعيين ويستخدم الفاشيون كل صنوف الوحشية لتحطيم صمود السجناء من أعضاء الحزب والديمقراطيين النشطاء. فالأسلوب الاعتيادي هو جعلهم يعترفون بأنهم قد ارتكبوا جرائم. وكل ذلك يحدث حتى ينسف القدرة النضالية للطبقة العاملة والشعب. ولكن لا شيء يمكن أن يحطم مقاومتهم.

ولا يستطيع الفاشيون إلغاء حقيقة أن الشبيوعيين يواجهون جماعة الإعدام بإطلاق النار بثقة راسخة بأن البلاد والحزب وقضية الطبقة العاملة والشعب سوف تنتصر. حتى عملاء الرجعية وجدوا أنفسهم مضطرين للاعتراف بأنهم فشلوا في تدمير الحزب الشيوعي، وهم يحشون على قمع أكثر فأكثر. فجميع محاولاتهم لتدمير الحزب الشيوعي حكم عليها بالفشل، بما فيها مزاعم مشبوهة تقول بأن حزبنا قد انشق. فوحدة الشبيوعيين أصبحت أقوى مما كانت عليه وهناك بنیان مرصوص، وسد منيع ضد عملاء العدو والتخريب الفاشي. فآلاف الشبيوعيين التشيليين يعملون بين الجماهير لثقوية حزبهم، صلهمين بالعقيدة الماركسية اللينينية الخالدة. فحزبنا الذي تدرب بواسطة ركابارين، لافيرتي، جونزالدياز، فُنسيكا نيرودا (Recabarren, Laferte, Gonzalez Diaz, Fonseca Neruda) وآلاف الآخرين، هو حزب لا يقهر.

فروح القتالية وجدت تعبيرها في كلمات الأمين العام، لويس كورثالان «أنا مقتنع، بشكل راسخ، بأننا سنخرج من هذا النفق المظلم لإعادة إقامة الحرية، مهما طال الزمن، سوف يحتل الكادحون مكانتهم في التاريخ التي تليق بهم، تماماً».

هوامش:--

(١) كتبت هذه المقالة بعد انقلاب الثورة المضادة، بوقت قصير، وهى أولى المحاولات الشيوعية التشيلية لدراسة إنجازات الثورة وأسباب هزيمتها المؤقتة، أما المقالات الأخرى فى هذا الكتاب فقد كتبت فى ١٩٧٧ (المحرر).

(٢) تشيلى «انتصر الشعب» (المجلة الماركسية العالمية ١٩٧٠ World Marxist Review).

(٣) تقييم وضع البلاد الذى قدم فى المقالة حتى تاريخ كتابتها، صيف ١٩٧٤ وتم صياغة مهمات الشيوعيين طبقاً لها. وفى المقالات التى كتبت بعدها، كما ذكرنا، سنة ١٩٧٧، تم تحليل الوضع بشكل متقدم، ومنها حددت مهام الحزب. (المحرر).

* * *

مرة أخرى حول الأحداث

فولوديا تيتوبويم

عضو الهيئة السياسية

الحزب الشيوعي في تشيلي

////////////////////////////////////

كان

لينين قد قسّم، بعناية، دروس كميونة باريس وثورة ١٩٠٥-١٩٠٧ في روسيا، حتى أنه طور على أساسها الاستراتيجية والتكتيك اللذين أديا، في سنة ١٩١٧، إلى ثورة أكتوبر الظافرة. بالنسبة لنا كتشيليين، فإنه لجوهري، أن نقوم بالدراسة العميقة لألف يوم من حكم الوحدة الشعبية، مع كل تنوع عواملها وسماتها، النموذجية والشاذة منها، ونستخلص منها استنتاجات نظرية وعملية صحيحة. وتحليلنا للمعطيات ذات القيمة البالغة التي في حوزتنا - كعالم اجتماعي صغير ومحدود، وضمن حدود بلد صغير بعشرة ملايين نسمة - نستطيع أن نؤكد خصوصيات الدراما السياسية ذات الأهمية الشاملة، ونستطيع أن نقدم تقييماً واعياً للإنجازات والحسابات الخاطئة للحركة الشعبية، حركتها الصحيحة، وأخطائها. والدليل الذي أصبح لدينا، يجعل من الممكن ومن الضروري، أيضاً، دراسة أساليب وخداع العدو، وحيله، لدرجة أن نؤلف كتيباً يقدم عرضاً حقيقياً للكيفية التي تستطيع ثورة مضادة، في أيامنا هذه أن تقضى على ثورة.

وللتأكيد، فإن القيمة السياسية الوحيدة لمثل هذه الكتيبات، هي أنها تشير إلى مثال محدد، محكوم بالقوانين العاملة، وبجميع خصوصيات المكان والزمان التي تميز كل ثورة وثورة مضادة.

وسنبذل جهدنا لتفحص الماضي، بنزاهة موضوعية وينقد ذاتي، مستوحين تصحيحات في نشاطنا، كاشفين الخطوط العلنية والسرية في عمل العدو، وهذا ما سيقدم توضيحات كثيرة لنا، في مجال استراتيجيتنا وتكتيكنا، وأيضاً في مجال

استراتيجية وتكتيك العدو، وسيكون هذا فاتحة لتقديم التصحيح فى نشاطنا وتحويل هزيمة الشعب إلى نصر.

ونرى أحداث تشيلى تشيلى إلى أنه من الممكن أن يتحقق من خلال الانتخابات، أكثر مما هو اعتيادي، وحتى نصر انتخابى هائل، أو أقل بكثير من القوة الواقعية، نصل إلى هذا الاستدلال، بالتحليل الأخير للأحداث فى تشيلى، بتحليل ظروف محددة معينة ناتجة عن المجرى المعقد للتطور التاريخى، والبناء المباشر للقوى، وتوحيد جميع الفئات المكافحة من أجل التغيير الاجتماعى. وبينت هذه الأحداث، أيضاً، بأنه لا يوجد نصر انتخابى يحمل الضمان لتعزيزه. ويمكن لهذا النصر أن يكون تقدماً ملحوظاً فى طريق طويل شائك، ملئ بالمنحنيات، والنقاطات الخطرة، وغالباً ما تنتهى بجرف ذات حافة حادة خطيرة. ولكن ما لم يتبع هذا النصر الانتخابى بهجوم واسع من قبل أغلبية الشعب فلا يمكن تحويله إلى سلطة واقعية، تكون الجماهير راغبة وقادرة على الاحتفاظ بها والدفاع عنها ضد جميع الصعاب، وضد جميع محاولات الأعداء داخل الوطن وخارجه، تجاهل وإلغاء هذه السلطة، وألا يمكن أن تكون النتيجة، أو تقيل إلى الهزيمة.

حقاً إن النصر الانتخابى يقدم السلطة جزئياً فقط، بكونها بداية لمرحلة جديدة من العملية الثورية، ومتممة للمراحل السابقة، وإنها لم تأت بين عشية وضحاها، بل كنتيجة للعملية الثورية ككل، ونمو الأزمة البنيوية للبلاد، المتفرعة من تفاقم الأزمة العامة للرأسمالية. إنها النتيجة النهائية لتراكم عوامل قهيدية، تعكس الأشكال المتنوعة والفاضحة للصراع الطبقي.

وبين ذلك كيف تشكل الوضع ما قبل الثورى فى تشيلى. إذ كان الحزب الشيوعى يعتبر الانتخابات شكلاً للعمل فى النضال من أجل تغيير المجتمع. الأمر الذى يتطلب كسب تأييد الأغلبية.

وتعنى «الأغلبية السياسية» شيئاً ما أكثر متانة وكمالاً من الأغلبية النسبية، أو المطلقة للأصوات. وهى درجة أكبر من الأغلبية الحسابية (والرياضية)، إذ يجب أن تكون تعبيراً عن وجود قشيل للكتلة الاجتماعية للجزء الأعظم من السكان. ويجب أن تكون، علاوة على ذلك، أغلبية نشطة، ولا تفعل ذلك،

باستمرار فقط (وهى نموذج لأي حركة تتطور باطراد)، بل تجسد الحاجة للتمسك بالمكاسب التى أنجزت بكافة الوسائل الممكنة.

حتى خلال تنامى العملية الثورية فى تشيلى، كانت أشكال النضال (تعتبر أهدافاً لهذه العملية. فكان يرفع الشكل لدرجة الجوهر، وكان هذا المطلق يصبح هو الطريق الوحيد. وكان هذا، بلا شك، خطأً. وذلك لأنه حينما يتغير الوضع الملموس، فإن الجماهير تجد نفسها مقيدة اليدين. بينما كان التطور السلمى للثورة يجارى الظروف السائدة، ويعبر عن إرادة الحركة الشعبية، وكان بعيداً جداً عن الانسجام مع عدو على استعداد لوقف الثورة بغض النظر عن التكاليف وبكل الوسائل، مهما كانت، إلا السلمية منها. وهذا ما يجب تذكره فميل العدو للقتال والعدوانية، يجب أن يكون، أبداً، مفاجئاً للثوريين. إذ سيبدل العدو كل جهوده ليخمد المقاومة. وسيتحين كل الفرص لرفع السلاح ضد الشعب.

فكل ظاهرة، أو تطور، تتأثر، جدياً، بالعوامل المتنوعة. وكل حقيقة ملموسة لها جوانبها الأساسية والثانوية. فعلى ضوء الأحداث الأخيرة فى تشيلى، نعتبر أن العامل السياسى بالتأكيد هو الذى يلعب الدور الأساسى فى عملية تداخل العوامل السياسية والعسكرية.

فالعامل الأخير هو جزء من العامل الأول، ولكنه عامل جوهري. ومن هنا تأتى الأهمية الفائقة للسياسة العسكرية للحركة الشعبية. إنها لا تتضمن، فقط، مجرد تبني موقف محدد، تجاه الجيش، وإقامة تحالف متين مع القسم الديمقراطي الموجود داخله، بل تتضمن تشكيل قوة تكون قادرة على الدفاع عن القضية العامة، ضمن جهودها، وبالاتشارك، بالدرجة الممكنة، مع القطاع الموالى للثورة من الجيش.

وبينت التجربة أن تقدمنا يجب أن يساند ليس، فقط، بالتأييد الشعبى بل، أيضاً، بالتأييد العسكرى الملائم. والشرط المسبق لذلك هو السياسة البناءة لهذه المسألة (بالنسبة لنا كشيوعيين نتحمل مسؤولية خاصة، بالطبع).

لذلك فالرجوع إلى الثورة (مفهومنا عنها)، طبيعتها الجدلية العالية، ذوأهمية حيوية، يذكرنا، دائماً، بأنها عملية يمكن تغييرها، اعتماداً على مجرى الصراع، وأنها تتسارع فى فترات من تطورها، حتى تصل إلى نقطة قلى علينا أشكالاً

جديدة من النضال، كما كانت الحالة في روسيا ١٩١٧. بمعنى آخر، ألا نجعل هذا الطريق أو ذاك - طريق الثورة - مطلقاً، ولا نعتبر اختيار ذاك الطريق نهائياً، لا يمكن مراجعته، أو حتى ذاك المبدأ هو ذاته الذى يجب أن يستخدم، دون تغيير، خلال فترة طويلة من التاريخ.

فالتحول فى شكل للنضال إلى شكل آخر، فى البلدان الأخرى، لا يمكن أن يحدث بنفس السرعة التى جرت فى روسيا، فى الشهور القليلة التى سبقت ثورة أكتوبر. ولكن تجربتنا السلبية توحى بأنه من الخطأ، عموماً، أن نعزو طابعاً غير متغير إلى أى شكل خاص للنضال، ونتعامل معه كشكل ثابت، وجعله ممكناً دون اعتبار التغيرات فى الوضع، التى غالباً ما تكون فجائية، يسببها، بشكل خاص، الأزمة السياسية والتناقضات المتنامية.

مصطلح «الطريق السلمى» مصطلح صحيح، فقط، بالدرجة التى يتجنب فيها الحرب الأهلية. ولكن بسبب الثقلات العديدة، فإنه لا يغفل من القانون الذى يقول بأن العنف هو «قابلة» التاريخ. ويجب أن نضع نصب أعيننا ونتذكر، أن نفس عملية تغيير الطريق يفترض مسبقاً «تفسير الأحصنة»، مع الاستمرار فى تقدمنا. وإنه لمن الصعب تغيير الأحصنة فى وسط التيار. ولكنه سيكون أكثر صعوبة إذا لم نرتب استعداداتنا بشكل مسبق. وبغض النظر عن كيف تتجسد الضرورة للتغيير، بشكل واضح، فنفس هذه الإمكانية للتغيير، وكذا إمكانية تنفيذه، يجب أن تكون مضمونة، بشكل مؤكد. وهذه قضية لا يمكن بحثها فى لحظة التغيير، بل تتطلب استعدادات مسبقة، يمكن أن تستمر حتى لسنوات، وهذا ما فشلت الحركة الشعبية التشيلية فى فعله. فعلى الطليعة التى تسير على رأس الجماهير أن تكون مستعدة لتبنى - إذا كان ضرورياً - أكثر الإجراءات حيوية ضد انقضاى الرجعية.

وما كان قد حدث فى تشيلى فى ظل حكم الوحدة الشعبية هو أن كثيرين اعتبروا الاستعدادات للتغيير النهائى لطريق وأشكال النضال، مرفوضة بشكل مطلق. ودرس آخر تعنسته الوحدة الشعبية هو أن مناخ الشرعية الدستورية يمكنها من التطبيق الصارم للقوانين، وهذا ما يعطى القوى الثورية قوة أكبر، ويمكن فى

النهاية، مساعدتها على التقدم بسرعة، ولكنه في حالات محددة يمكن أن يقدم للمهدو خططاً للتمرد أو الانقلاب. وما لم يفهم هذا بشكل صحيح فإنه يمكن أن يستخدم الشرعية ذاتها لتكبييل الشعب، بحيث تصبح حتى إمكانية ممارسته حقه في الدفاع الشرعى عن نفسه أكثر صعوبة. وليس هناك من سبب ليشعر الشعب بأنه مقيد اليدين والقدمين بواسطة الشرعية، مثل «جيلفر». إذ يجب أن يعتبر الشعب الشرعية سلاحاً من المفيد التمسك به من أجل قضيته العادلة، وليس، بدأً، فخاً أو خدعة.

كان الرجعيون والفاشيون، لتنفيذ آلية مؤامرتهم، يعزفون على وتر الاتهامات الزائفة ضد حكومة الوحدة الشعبية، مدعين أنها انتهكت حدود الشرعية وبعد ذلك، داسوا هم هذه الشرعية بأقدامهم (كما لو كانوا يطورون، بطريقتهم الخاصة، تصريح Odilon Barrot أوديلون باروت. «الشرعية تقتلنا») وقد شرعوا بتنفيذ شعار «لنقتل الشرعية». وبينت التطورات، بوجه خاص، أنهم حولوا قانون الرقابة على الأسلحة، كفع للشعب، لتجريده من السلاح، وسحقه.

كل هذا يثبت الحاجة لاحترام المطلب الأساسى، وهو الاعتماد على الجماهير. ولقد قلنا إن الطريق السلمى يكون عملياً، فقط، إذا استحوذت فكرة الثورة على عقول أغلبية الشعب، وحرصتهم على العمل. حيثما تحقق القوى تغييراً مقبولاً بالتفوق الساحق، فإنها لن تترك الفرص لنهوض الرجعية، أو لنجاحها. وفكرة الأغلبية التى اعتبرها لينين بالغة الأهمية («أغلبية الشعب لنا» قال هذا فى أيلول ١٩١٧)، تبقى هذه الفكرة ضرورية لمطلب النصر، مهما كان شكل النضال. وبالتالي، فإن اصطفاى القوى، ذو أهمية حاسمة. إذ يجب علينا، دائماً برأى، أن نفهم أن جبهة المدافعين عن التغيير أقوى من خصومها، وهذه الأفضلية ذات اعتبار، من الناحية العددية والتنظيمية، وكذا بالنسبة للنشاطات السياسية، والأيدىولوجية، والثقافية، والدعائية، وكذلك جميع النشاطات الأخرى. بمعنى آخر، يمكن أن تكون هذه الجبهة العريضة أكثر قوة، اعتماداً على نوعية، وصلابة التحالف، وديناميكية وتأثير أعماله الموحدة. ويجب أن يكون برنامجها، أيضاً، برنامج القاسم المشترك لجميع الأطراف والعناصر والقوى المشكلة لها. وعلى هذه

القاعدة، يجب أن يعمل الحلفاء هنا بنمط تنسيقي، على أساس المبادئ التكتيكية والاستراتيجية الموحدة، حيث يواجهون ضربة مشتركة للعدو، وفي نفس الاتجاه الواحد. وبهذه الطريقة، فقط، حيث يتم العمل كائتلاف رافع، مع تحاشي بروز أقطاب معارضة، أو أعمال غير موحدة داخل الحركة، ويتطور خط البرنامج المشترك، يمكن هزيمة العدو. فصيانة وتوسيع مجال وقوة الجبهة وتصلب الأغلبية، كما بينت التجربة، عامل فائق الأهمية من أجل تقدم العملية الثورية. وأكرر، بأن العدو سوف يستخدم القوة، طالما كان باستطاعته. وأن الثورة يمكن أن تقوم بدون حمام الدم، وذلك إذا كانت الأغلبية قادرة على فرض هذا، والأقلية غير قادرة على منعها. لقد كان هذا صحيحاً، في فترة مرت بها البلاد خلال الأشهر الأخيرة من سنة ١٩٧٠، وجزئياً سنة ١٩٧١. ومع ذلك سوف يبذل العدو، دائماً، معظم جهده لاستعادة سلطته. لذلك ليست المسألة، فقط، لحظة الخطر، لأن الخطر سيبقى طالما توجد الرجعية، ويزداد الخطر حينما تنجح الرجعية في استعادة المبادرة لصالحها.

وبالنتيجة، فإن قضية توازن القوى تجعل من الضروري الأخذ بعين الاعتبار عدم تواصلها، وتغيراتها المحتملة. فهي لن تبنى مرة واحدة وللأبد إلا حينما تعزز الثورة مواقعها، وتتغلب على تناقضها الداخلي، وتقضي على الطبقات المتناحرة، وتبنى مجتمعاً لا طبقي.

فعلى مدار فترة حكم الوحدة الشعبية، كانت تشيلي تعيش في ظل نوع من السلطة المزدوجة، الذي لا يمكن، بالطبع، مقارنته بالوضع في روسيا سنة ١٩١٧. ففي تشيلي كان هناك حكومة شعبية شرعة، ومن الناحية الأخرى. لسلطة الرجعية غير الشرعية، المدعومة من جميع أولئك الذين كانوا يسيطرون على المجتمع. فبالإضافة إلى المفاتيح الاقتصادية المعينة والمحافظ المالية ووسائل الإعلام الجماهيرية تحكمت السلطة الرجعية بجزء كبير من جهاز الدولة. فاستغلت، بمهارة، الحسابات الخاطئة و عدم التآلف في الوحدة الشعبية، ووجود ميول مختلفة فيها، بحيث تُجذب البرجوازية الصغيرة بكل جهدها لتنفيذ الرجعية. هذه الفئة الاجتماعية الكبيرة، التي هي، في الغالب، متأرجحة تلتصق بقيمها الخاصة،

وترتعد خوفاً من القصص التى تروجها ماكينة العدو الخاصة بالإرهاب السيكلوجى. فيعرف العدو، تماماً، أنه لن يحصل على موطن قدم، ما لم يفز بتأييد الفئات الوسطى، ويؤثر على الجماعات غير المتجانسة من الناس، المختلفة فى وعيها السياسى، وأيديولوجيتها، وسلوكها الموضوع فى مناخ هستيرى لثيم، خلُق من خلال جهود وكالة المخابرات المركزية CIA. فإذا ما توصلت الأوليغاركية إلى مكاسب معينة، من خلال استراتيجيتها لكسب الجماهير، فذلك فقط لأنها حازت على تأييد الفئات الأخرى، التى لا تنتمى لطبقتها. فإنها تكون قد نجحت، لأنه لم يوجد فعل مضاد ملائم من الجانب الآخر، وذلك، يعنى، أن الحركة الشعبية ليس لها سياسة مرتبطة ببرنامج للحركة، يفرى الفئات الاجتماعية الوسطى، بثقة، على أنها يجب أن تحتل مكانها فى المجتمع الجديد.

فالعامل الحاسم من أجل سير النضال لصالح الشعب، هو، دون شك، وجود القيادة السليمة للحركة الشعبية، قيادة قادرة على تقديم الإرشاد السليم للجماهير، وتواظب على توعيتها، وتعبئتها لهذا العمل الضرورى أو ذاك، وتجعل هذه الأغلبية السياسية مدركة لمسؤولياتها، وتحولها بكليتها إلى قوى واعية، سياسياً، وموحدة. وغنى عن القول، بأن حزينا الشيوعى قد لعب دوراً أساسياً فى هذا المجال، كما فعلت، أيضاً، أحزاب الجبهة الشعبية الأخرى.

فالحركة الشعبية، دون شك، إنجازات تاريخية فى رصيدها، وأظهرت، أيضاً، مبادرات خالقة، خلال فترة حكم الوحدة الشعبية. حيث طورت الأشكال البدائية للحكومة الديمقراطية، التى نبعت من شعب صمَّم على تغيير الطبيعة الطبقيّة للدولة، ذلك ما يجب أخذه فى الحسبان، فى المستقبل كسابقة مفيدة لحكم ديمقراطى أصيل، قادر على السيطرة على الفوضى.

ومع ذلك فإن فرضية اليندى حول الرئاسة لن تستطيع بذاتها تبديل الطبيعة الطبقيّة للدولة، وطابع القوات المسلحة، والشرطة والآلة الإدارية. ولهذا السبب، نشدد على أهمية اصطفااف القوى العسكرية لصالح تطور الثورة فى أية عملية ثورية، تتبع الطريق السلمى. هذه مسألة أساسية.

وقد وجهت الوحدة الشعبية بحاجة ماسة لتفعيل التغييرات. بحيث تضع

جهاز الدولة تحت الرقابة المنظمة للشعب، حتى وضعه فى خدمة الشعب، تدريجياً. علاوة على ذلك، كان لزاماً علينا زيادة النشاط الديمقراطى الذى يتضمن المشاركة الفعالة للجماهير، بالمعنى الواسع للكلمة، وتجريد الرجعية من محاولات سيطرتها، وتحويل كل السلطة الفعلية للشعب العامل والفئات الاجتماعية التقدمية.

ولا ننكر بأن حكومة الوحدة الشعبية، خلال سنوات ثلاث من وجودها فى السلطة، قد اكتسبت تأييداً نشيطاً من الجماهير. مع ذلك، كان هناك إرباك حول الأهداف - هل هى أهداف ديمقراطية أم اشتراكية - وطرح أفكار مغايرة للبرنامج، أو مبنية على طوباوية جامحة، جعلت من المستحيل، فى أية لحظة، أن تسيّر مبادرات الجماهير فى الاتجاه الصحيح، وتأمين تأييد الأغلبية فى حل كل مشكلة، كما كان الحال بالنسبة لقضية وطنية، وإجراء مفهوم للجمع، وهو عملية تأميم مناجم النحاس.

ولنشدد على أن النتيجة المحزنة لهذا الفصل فى التاريخ يجب ألا تقلل من المغزى الواضح لحقيقة ما حدث فى الماضى، وهو أنه فى أقل من ثلاث سنوات حققت حكومة الوحدة الشعبية تقدماً هائلاً، مسجلة مكاسب قيمة تعيش فى ذاكرة الشعب، وهى جزء من التراث السياسى الباقى (حتى ولو أنها دُمرت بعد ذلك بواسطة الحكم الفاشى)، وقد أصبحت تراثاً سوف يلعب، ثانياً، دوراً معبئاً مهماً، حينما تتخلص البلاد من حالتها الحاضرة. وأنه لمن الخطأ ادانة هذه التجربة. إذ يجب علينا أن نطرح تقديراً جدياً للمغزى الإيجابى الواسع، والمساهمة البناءة العظيمة للحركة الشعبية، التى حُطمت بشكل تراجيدى.

ومع ذلك، نصر بأنه لولا أن الجماهير تتعلم، باستمرار، من خلال النشاط السياسى ومن خلال تقييم الوضع السياسى، فإنها لن تستطيع بعفويتها، النهوض إلى مستوى الإدراك الاجتماعى اللازم لهزيمة القدو، والمشاركة الواعية فى صنع التاريخ. حينئذ، فإن واجب الطليعة السياسية الماركسية اللينينية، أى الشيوعيون العاملون فى الوطن وخارجه، أن يقدموا للطبقة العاملة والحركة الشعبية قيادة علمية، فى أية لحظة، حتى فى الظروف القاحلة للحكم الفاشى. فعلى الحزب الشيوعى، من أجل إنجاز مهمته الأساسية كحزب قائد مع الأحزاب

الأخرى من حلفائه، ومن أجل تطور العملية الثورية، أن يحل المعادلة الجدلية المكونة من عنصرين: نوعية وحدته مع القوى الأخرى للحركة الشعبية ليست خالية من التناقضات، التي يمكن في أوقات تنمو وتتطور إلى مستويات خطره، ودوره المستقل في هذه الحركة، كحزب يستطيع في ظل غياب ظروف مواتييه، وحتى وسط الخلاف، أن يقوم بواجبه من أجل أن يطرح سياسته للشعب والبلاد، من وجهة النظر التي تقوى الوحدة ولا تضعفها.

كانت تنسف مواقع مثلى المعسكر الشعبي، خطوة خطوة، وأصبحت، في النهاية، هذه الخطوات واضحة، تماماً، حتى أدت إلى نجاح الانقلاب الرجعي، هذا بجانب السبلات التي كانت في تطبيق سياسة الطبقة العاملة في التحالفات وتوازن القوى، في كل من المجالين السياسى والعسكرى، اللذين تدهورا، بشكل واضح، في الأشهر الأخيرة. ومع ذلك، لم تكن الخاتمة السلبية، لهذه الفترة في الثورة التشيلية، تعزاً، كما قيل، إلى إرادة الشعب، بل نتيجة التدخل القسرى المقيت والتغير العنيف الذى طرحه الانقلاب الفاشى.

إنه لمن الضرورى دعم العملية الثورية من الأغلبية الشعبية. ومن الناحية الأخرى، بينما هذا العامل ضرورياً، إلا أنه لن يضمن نجاح الثورة، التي يمكن أن يقلب تقدمها رأساً على عقب، وتلفى مكاسبها، ما لم تكن الحركة الشعبية قادرة على دعم عزيمة الأغلبية، من خلال إجراءات دفاعية فعالة.

ونحن لا نعننى بالسلاح وحده، فقط، بل هناك مجالات أخرى تخوض الصراع فيها. فمثلاً شنت الامبريالية والرجعية المحلية، لتحقيق النتائج السياسية، هجومها قبل كل شئ، في المجال الاقتصادى ككل، ذلك المجال الذى كانوا هم أقوياء فيه، بشكل خاص، وكانوا قادرين على فعل ما يريدونه بسهولة. وقد ترافق الهجوم الاقتصادى بالإرهاب الفردى، الذى أصبح، الآن يمارس، يومياً، بشكل واسع، بواسطة الرجعيين السياسية فى أمريكا اللاتينية. والواضح الناجم عن ذلك كان فوزى مطلقة، وصفها البعض بأنها منظمة جداً. نظمتها CIA، التي لم تتردد فى استخدام هجوم دعائى شامل لهذا الغرض. ولربما كانت المرة الأولى التي تستخدم فيها الثورة المضادة وسائل الإعلام الجماهيرية، بهذا الشكل الصائب،

وبهذا المدى الواسع، ويمثل هذه القوة. هذه صفحة أخرى من التاريخ، تستحق الدراسة، بعناية أكبر. وازدادت المخططات الرجعية، عندما سقطت الحكومة، وذلك من أجل تنسيق وتنظيم الإجراءات المضادة. فوجود خطين متوازيين داخل الوحدة الشعبية ساهم في نجاح المؤامرة الرجعية. بالإضافة لذلك كان المتآمرون يستفيدون، باستمرار من. أحاديث الشوريين المتطرفين حول القوات المسلحة، التي لم يكونوا يملكونها.

وما نحاول قوله هنا هو إن الحرب التي تطلق فيها البنادق نيرانها تتطلب سياسة عامة واضحة تماماً ويجب تقديمها بشكل متواصل إلى الجماهير. وأنها ليست مجرد مسألة استخبارات، أو استخبارات مضادة منظمة، بشكل سليم. فالمهمة هي القيام بنضال سياسى شامل موجه لتشتيت القوى المركزية للتآمر من قمة رأسها إلى أخمص قدمها. وفي كل المجالات - اقتصادياً، سيكولوجياً، شعبياً، وأى مجال آخر، ولكن في مقدمتها المجال العسكرى.

ألقت هذه الأحداث ضوءاً ساطعاً على دور القوات المسلحة. فسوء تقدير هذه المسألة ترجم ذاته في مأساة جديدة للشعب. وما شهدناه لم يكن مجرد تكرار للماضى، أو تأكيد على دروس فترة بعيدة من التاريخ. وتتوق الامبريالية وحلفاؤها المحليون، أكثر من أى وقت مضى، لإخراج الجيش من ثكناته. ويرجع هذا للاعتراف الضمنى بأن تطور ونمو قوة الحركة الشعبية أصبح أكثر مما يجب. لدرجة أنها تشكل خطراً على سيطرة الامبريالية والرأسمالية على المجتمع والدولة. ولم تعد المسألة، بشكل واضح، عبارة عن أعمال عسكرية، مثل التي كانت كثيرة العدد على مدار المائة وخمسين عاماً من تاريخ جمهوريات أمريكا اللاتينية، أى بمعنى مؤامرة يقوم بها مغامر من ذوى المقامات العليا، حيث يتم ببساطة، إسكان فرد متعطش إلى السلطة، فى القصر الحكومى. وكقاعدة، أصبحت مسألة عمل صريح ضد الحركة الشعبية، ينفذ حينما لم تبقى أية وسيلة فى أيدى الرجعية لمنع انتصار القوى التقدمية أو إلغاء مكاسبها.

وهذا يحثنا على إعادة تقييم المسألة العسكرية من وجهة النظر الراهنة ولن نجد أى مدخل جديد مقنع بالنسبة لهذه المسألة، إذا تغاضينا عن حقيقة مهمة،

وهى أن الامبريالية تسعى، باستمرار لكسب التأييد من داخل جيوش أمريكا اللاتينية، حيث تحاول أن تؤثر فيها كجزء منفصل من القوات المنفذة لاستراتيجية البنتاجون الكونية. وطبقاً لمبدأ المذاهب المستوردة، المقبولة من قبل قادة عسكريين معينين، فإن العدو الأساسى، اليوم، ليس خارج البلاد بل داخلها، ويدعى «التخريب الداخلى». وعند لحظة مفصلية معينة، أخرج المجتمع العسكرى الصناعى فى الولايات المتحدة إلى الوجود مبدأ تكتيكياً حول، فتنمة الحرب، الذى يقول «الآسيويون يقتلون الآسيويين»، إنه شعار قائم فى بلادنا وهو «التشيليون يقتلون التشيليين». وهذا يعنى أن القوات المسلحة يجب أن تشن حرباً ضد شعبها، وهذا يجعل الأمور أسهل للامبرياليين كى يرسخوا سيطرتهم على تشيلى، وينهبوها. وفى هذا السياق برز التصريح الوقح - المضحك المبكى - لـ بينوشيت، فى أرجواى حيث بين أنه يعمل لصالح الامبرياليين، إذ يقول «إن الولايات المتحدة لم تطلق طلقة واحدة للإطاحة بالشيوعيين فى تشيلى، التى لم تكن فيتنام، فلم تقتل أحداً» حقاً لم يقتل أى جندى للولايات المتحدة، ولكن قُتل آلاف التشيليين، الذين لم يضعهم بينوشيت فى اعتباره.

لقد قال استراتيجيون عسكريون وسياسيون معينون فى البنتاجون، إن أفضل استثماراتهم هى تدريب ضباط أمريكا اللاتينية فى الأكاديميات العسكرية للولايات المتحدة، وزرع تفكير البنتاجون فى أدمغتهم. وهذا ما فعلوه، حقاً. فقد أعلن السيناتور Willaim Proxmire وليم بروكسمير، سنة ١٩٧١، أنه، ما بين سنة ١٩٤٥، سنة ١٩٧١، قد أنفقت الولايات المتحدة ١٧٥٠٠ مليون دولار فى تدريب ٣٢٠ ألفاً من رجال الخدمات فى سبعين دولة مستقلة. ففى ١٩٦٥، قال روبرت وود، متباهياً، بخصوص المساعدة العسكرية، بأن معظم ضباط أمريكا اللاتينية قد تدربوا فى الولايات المتحدة، أو فى منطقة قناة بنما.

يجنى الامبرياليون، الآن، الثمار، ففى عديد من بلدان أمريكا اللاتينية، فرضوا ديكتاتوريات عسكرية رجعية، تخدمهم. ويتآمرون لفعل هذا فى كل مكان.

ففى تعلمنا دروس أخطائنا، يجب علينا أن نستخلص الاستنتاج التالى:-

للتأكيد أن الثورة تتبع طريقاً سلمياً، يجب عليها أن تمنع الرجعيين في القوات المسلحة من تحويلها إلى جلاذ للحركة الشعبية. بمعنى آخر، يجب أن ننظر إلى الأمر من وجهة نظر منع الجيش من لعب دور الشرطي الأعلى، وألا يعمل كقوة استعمارية محلية تتلقى أوامرها من البنتاجون، أو شركة تأمين، أو حرس امبراطوري يحمي مصالح الاحتكارات وأصحاب العزب الكبيرة.

كانت إحدى أكبر نقاط الضعف في الحركة الشعبية، هي طرح هذه المسألة بشكل غير ملائم ومحدود، وبخجل، فإذا ما طرحت، كانت تطرح على مستوى أفراد، وهذا ما منع الأحزاب أن يكون لها جذور عميقة بين الناس، مما أدى إلى عزلها عن الجماهير. وتم السكوت طويلاً على الناس الذين يتهربون من أداء واجباتهم في وظائفهم في كل من الجيش والشرطة. وكانت المعرفة قليلة، عن تعاطف كثير من الضباط ذوي الرتب العالية (قضية بينوشيت، هي الأكثر إذهاً)، ولكنها ليست الوحيدة)، فأجهزة المعلومات كانت مخترقة من قبل المخبرين، وهذا ما جعلها عاجزة، بشكل مأساوي. وبجانب هذا، كان كل شيء متأثراً بالافتقار للوحدة في الحكومة، حتى الدعم للجنرال براتس Prats، حينما ترأس الوزارة، وبعد ازاحته كرئيس للأركان. ورأينا نقوله بإخلاص، وهو أننا كشيوعيين كنا، أيضاً، ملامين لحساباتنا الخاطئة، تاريخياً، وهي التي كانت نتيجة لضعف وعدم دقة سياستنا العسكرية، وموقفنا من القوات المسلحة.

كيف يمكن أن يتم التفسير الملائم في الجيش؟ إنها مهمة صعبة جداً، ولكنها معقولة، دون شك. وللإجابة عن هذا السؤال، بشكل سليم وممكن، يجب أن نحلل الطبيعة الاجتماعية للجيش، وتركيبه الطبقي، وآلية نشاطه، ووظائفه المتغيرة في مجرى التاريخ، ودوره الحالي في المجتمع - بمعنى آخر جدلية سلوكه.

فالقوات المسلحة في بلدان أمريكا اللاتينية ليست مؤسسات مجردة (معزولة) أو تنظيمات شريرة مقدر لها، نهائياً وإلى الأبد، أن تضطهد شعوبها، بشكل وحشي. وليس هناك حاجة للتأكيد هنا على الطابع الخاص للقوات المسلحة الثورية في كوبا، والتي برزت إلى الوجود نتيجة لثورة اشتراكية ظافرة. ولكن حتى في جيوش تلك البلدان في القارة التي لم يحدث فيها ثورة، فإننا نشهد تطورات لا

تقودنا إلى التفسير القدرى لدورها، أو حتى للتشاؤم الزائد. لقد ميز كارل ماركس تيارين فى الجيش الأسبانى (بالحديث تاريخياً، لقد حمل تشابهاً معيناً لجيوش البلدان التى هى، فى الوقت ذاته أمريكا الأسبانية، فى محيطها، وكمدرسة لتدريب وتجريد القوات من العقائد)، لقد رأى بديلين أوليين للنشاط الاجتماعى والسياسى يُعلنان عن ذاتهما، فى هذه الأيام: الموقف الرجعى البليد، وفى نفس الوقت طاقه كامنة للمبادرة الشورية، كما بينت الانتفاضة التى قادها Rafael Riego رافنيل ريجو. وهذه المبادرة يمكن أن تعلن عن ذاتها فى فترات الأزمات السياسية. وأشار لينين إلى الصلة الحية بين تطور الحركة الشورية وانعكاساتها على القوات المسلحة وغو الاستياء فى الجيش. ومع ذلك يجب الاعتراف بأن هذه الخاصية عن الجيش لم تكن سائدة، تاريخياً، لأن الجيش هو الضمانة المسلحة لنظام مبنى على الاضطهاد.

ففى تشيلى هناك عدد قليل جداً من المدافعين عن نظرية «خصوصية» الجيش وهو يدعون بأنه فى لحظة محددة يلتزم الجيش «الحياة السياسية». وأنه لمن الصواب الإشارة إلى أن الجيش غالباً ما يعمل فى ظل نفوذ حاسم لهذه أو تلك من الطبقات؟ أو الحركات. وإنه لأمر طوباوى أن نفكر بأن الجيش كائن محايد سياسياً. ففى وضع معين، تأتى مرحلة التحييد كنتيجة للنضال خارج وداخل القوات المسلحة، لإحباط مخططات الفاشية الهادفة لجر الجيش إلى الانقلاب الرجعى، ففى هذه اللحظة يمكن للشعب أن يلجأ إلى تلك العناصر من الجيش التى بقيت على ولائها للدستور. ففى إطار مفهوم التطور السلمى للشورة، يمكن أن يكون لهذا التحييد تأثيراً معيناً، لوقت ما.

وهناك عامل مهم جداً، يجب أن نتذكره بالطبع، وهو الأصل الطبقي للعسكري. مهما كانت الحقيقة، فإن معظم أعضاء الخدمات المسلحة يأتون، فى النهاية، من الطبقة العاملة وفقراء الفلاحين، ويتجلى هذا فى الميزان الجماهيرى، فقط، فى ظل تأثير الوضع الشورى. ويطرح وجود العسكريين فى الشككات تنظيمياً يقوم بعمل، ايدىولوجى محدد.

والمسألة هى أن هناك وعياً مزيفاً ومفهوماً مزيفاً عن الواجب العام مفروض

على العسكريين أو على الأقل على كثيرين منهم. وهذا ما يجعل العلم الأيديولوجي والسياسي الفعال من جانبنا أكثر ضرورة .

وطبقاً لوجهة نظر مشتركة طرحها دارسو هذه المسألة، اتضح أنه كان ثا تيارات فى الجيش، قبيل الانقلاب. ولقد صنف - دون توى الدقة العلمى كما يلى: (١) المستخدمين الوطنيين أو «الدستوريين»، (٢) المستخدمين المور لواجبهم المهنى، (٣) المستخدمين الذين يفضلون الفاشية. هذا التصنيف الأ أو الأقل قرباً من الحقيقة، يحافظ على صلاحيته. ومع ذلك ستكون نظر ميكانيكية، لو أهملنا التغيرات التى أتت نتيجة لفعل العوامل الداخ والخارجية. فالنضال، بما فيه النضال الأيديولوجى، المستمر بالطبع فى المجت التشيلى بالرغم من احتكار وسائل الإعلام الجماهيرى، بواسطة الدولة الاستبداد له تأثيره على القوات المسلحة، أيضاً. يمكن ويجب أن تساهم قوى البلاد المعا للفاشية، حركتها الشعبية الديمقراطية، بنشاط، فى هذا النضال.

فهنالك متطلبات موضوعية لهذا: الأزمة الاقتصادية المأساوية العميقة الجذر الفراغ السياسى حول الطغمة، العزلة الدولية للحكم، الاستياء الذى تشعر الغالبية الواسعة من السكان تجاه الحكم. فمنذ أن قُرِضت الدكتاتورية نضج أيضاً، العديد من العوامل الذاتية. فازداد دور الطبقة العاملة، عما كان عليه العام الماضى. والحزب الشيوعى مواظب على دوره القيادى، مواجهاً الق الوحشى. ومنظماته نشطة فى طول البلاد وعرضها. معظم أحزاب المعارضة الشعبية يعاد تنظيمها على المستوى القومى. يتصاعد الخلاف داخل المجمو الحاكمة. وهناك أدلة، أكثر فأكثر، على التذبذب فى أوساط الجيش، التى تش يومياً إدانة متنامية للطغمة بواسطة أناس مقتنعين بأن الزمرة العسكرية بعبا عن حل أى من مشكلات البلاد التى يزداد تفاقمها. ويزداد الناس فى الجيد الذين يدينون إطلاق العنان لإرهاب ووحشية الطغمة التى لم يسبق لها مثيل والتعسف بلا حدود من قبل DINA (وكالة الاستخبارات القومية). فنشاطا هذه الوكالة - تعتمد مباشرة على بينوشيت - تميزت بالتصيد الشرير للإتسه والأعداد المتزايدة لقوائم الأشخاص «المفقودين» التى تحتوى على أسماء سجن

جستافو التشيلي، الذين لا يعترف النظام بإلقاء القبض عليهم. نحن نعلم أن هذا يجعل إلى الانتهاء من كابوس هذه الأيام، الذي يعاني منه الشعب، وهذا يعتمد، بشكل كبير، علينا نحن، على نشاط الوحدة الشعبية والقوى المعادية للفاشية، بشكل عام. ففي استخلاص عديد من الدروس من التجربة التشيلية، وكثير منها مرير بينما الآخر مضئ، وجميعها مفيد بشكل متساو، نقدر ذلك حينما نقوم بنضال منظم، يتوسع باستمرار، متفان وخطر جداً، حيث يهدد الشعب الطريق لتغيير الوضع. وهذا لن يجعل من الممكن، فقط، عودة تشيلي إلى شعبها، حينما يأتي الوقت، بل أيضاً سيجعل من الممكن المساهمة في صياغة نظرية وسياسة معينة للقضايا الملحة.

* * *

هوامش:

(١) Odilon Barrot سياسى محافظ من الجمهورية الفرنسية الثانية. إن تصريحه «الشرعية تقتلنا» خان هدف الرجعية، فى أواخر ١٨٤٨ وأوائل ١٨٤٩ لإثارة انتفاضة شعبية، تخضعها وتعيد الملكية. انظر كارل ماركس وفردريك انجلز. الأعمال المختارة، مجلد ١. ص ٢٠٥.

(٢) انظر Fernando Rivos Y Elizabeth Reimann, Un Caso de Penetracion imperialista. Ediciones 75 Mexico City P.7.

* * *

مرآة النضال

أورلاندو ميلاس

عضو الهيئة السياسية

الحزب الشيوعي في تشيلي

////////////////////////////////////

ما زالت مهمات الثورة التشيلية صالحة. فالتغييرات الديمقراطية التي خططها الشعب في الماضي القريب ما زالت ضرورية، أكثر من أي وقت مضى. إقامة الحكم الفاشي الوحشي الذي أعاد تطور البلاد إلى الوراء يبين للأغلبية الساحقة من التشيليين، بشكل خاص، بأنه لا بد من الحل الجذري للقضايا الاجتماعية، التي لم يتم حلها، لأنها تخدم مصالح وتطلعات هذه الأغلبية. ومع ذلك لا تعنى العودة لهذه القضايا تكرراً للماضي. فمأساة السنوات الماضية لم تمض عبثاً.

لقد تعلمنا الكثير، فمنذ قدوم الفاشية - كل من أولئك الذين ساندوا حكومة الرئيس الليندي، أو أولئك الذين كانوا معارضين لها، ولكنهم مع ذلك شاركوا في العديد من أهدافها، وفي المواقع المعادية للفاشية. ففي الوقت الحالي تظهر جميع القضايا بشكل جديد. وتبرز الآن الحاجة إلى ائتلاف أوسع، مبنى على مفهوم أكثر كمالاً وحيثنذ فإن تحليل ما قد أنجز من مكاسب وسلبات العملية الثورية، في الفترة من ١٩٧٠ إلى سنة ١٩٧٣، بعيداً عن جرننا إلى الماضي، يساعدنا على الإمساك بمشكلات الحاضر والمستقبل.

ففي بيان للحزب الشيوعي في سنتياغو، في أيلول ١٩٧٦، أعلن ثانية أن المهمة الأساسية كانت هزيمة الفاشية، واستعادة الديمقراطية، وهذه المهمة يجب أن توحيد وتعبئ الشعب كله. وأشار البيان إلى أن النضال من أجل الحريات الاجتماعية والديمقراطية هي مهمة مركزية بالنسبة للنشاط الثوري كله. وتهدف مقترحات الشيوعيين إلى تنسيق الأعمال بين جميع الوطنيين، لإسقاط الفاشية،

علاوة على ذلك، يطرحون تعهدات محددة «لبناء نظام سياسى أكثر ديمقراطية، مما كان فى السابق، فالإنسان سيمتص حريات أكثر، بينما تمتنع عودة الفاشية» (١).

وأظهرت الحياة بأن الشيوعيين كانوا على صواب فى رفضهم المواقف العدمية فى الديمقراطية. فأفكار لينين حول أهمية نضال العمال والشعب من أجل الديمقراطية ما زالت صالحة لأيامنا هذه فنظراً للمهام الديمقراطية والأهداف الاشتراكية للشورة التشيلية فى ترابطها الجدلى، نرى أن تحقيقها يجب أن يتم ضمن عملية واحدة، لها مراحلها السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

فأفضل تعريف لعمليتنا هو مفهوم الشورة الشعبية. فبالعودة إلى الوراء، إلى أوائل الخمسينات، التى وضع فيها الحزب الشيوعى مسوده برنامجه، الذى ووفق عليه، لاحقاً، فى المؤتمر الوطنى العاشر، أطلق مصطلح «الشورة الوطنية البرجوازية». فطرح مثل هذا المصطلح كان من المحتمل أن يسبب إرباكاً معيناً، ذلك فى الوقت الذى تنهض فيه الاوليجاركية المالية، وينمو دور الامبريالية، فكانت سياسة السيطرة البرجوازية تطرح معنى رجعياً واضحاً. ومع ذلك، تصدى حزنا للتحليل المبسط للتناقضات الاجتماعية. فأشار إلى أن هناك تناقضات بين مصالح الاوليجاركية المالية المرتبطة بالامبريالية، ومصالح تلك الشرائح الأخرى من البرجوازية. فعبر عن رأى الذى يميل لإنتكار الاختلاف القائم بين البرجوازين، ويضفى طابعاً اشتراكياً غير ناضج على العملية، بأنه رأى بعيد عن المساعدة فى إنجاز المهام الضرورية حسب تتابعها وقهيد الطريق إلى الاشتراكية، بل يضع العقبات فى هذا الطريق.

كلاسيكياً، فإن العملية الشورية ذات مرحلة ديمقراطية، وأخرى اشتراكية. فتسمية هاتين المرحلتين لا يعنى أنهما تختلفان كلياً، بل على العكس، إنهما تؤكدان ارتباطهما المتبادل (تداخلهما). وفى الحقيقة، مع أن المهام الاشتراكية لا تطرح فى المرحلة الأولى، إلا أن هذا يبين أن تحقيق المهام الديمقراطية، التى تتعزز أكثر فيما بعد، وتحتاج إلى محتوى جديد، وبالنسبة لتطور ديمقراطية قادرة على أن تخدم كشكل وأداة للشورة الاشتراكية.

كنا نعتبر أن الشورة الامبريالية والاوليجاركية وتحقيق الشورة الزراعية كمرحلة

ديمقراطية للتقدم نحو الثورة الاشتراكية. فتعريف الحزب للطبقة العاملة « كمركز ومحرك التغييرات الثورية » الذى يحدد، بديهياً، بواسطة عصرنا ذاته، عصر الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية والشيوعية، على المستوى العالمى، وأصبح شعار الطبقة العاملة، مساعداً لها فى توحيد الجماهير فى النضال من أجل أهداف تلتقى مع مصالح جميع الشعب. هكذا، برزت للوجود حركة قوية معادية للامبريالية، تقودها الطبقة العاملة، وامتزجت أشكال النضال البرلمانية والأعمال السياسية بالعمل مع الجماهير. حدثت هذه العملية استناداً إلى خلفية التناقضات الدولية، فى سياق تطورها. فدور المطالب الديمقراطية فى تقريب الثورة الاشتراكية أصبح أكثر تعبيراً. فطابع الشرعية البرجوازية والمؤسسات البرجوازية كان قد تحول ليخدم مصالح الشعب.

كل هذا لا يمكن فصله عن حقيقة أن الحزب الشيوعى أخذ فى الاعتبار إمكانية الثورة غير المسلحة، مع استخدام الوسائل القسرية ضد الامبريالية والرجعية، مع التنوع الواسع فى أشكال النضال، والتأكيد على تبنى الوعى الثورى، وتوحيد وتنظيم الجماهير التحالفية. وأكدت فرضية الشيوعيين النظرية هذه خلال عملية الانتقال السلمى، ولهذا كانت معظم التغييرات الديمقراطية الثورية قد خطط لها، ومن ثم نفذت.

كان الجانب المهم فى العملية الثورية هو أن العمال والشعب التشيلى قد تصلبوا فى الصراع الطبقي. فتقدموا بثقة لتحقيق قوتهم، وتوسيع أفقهم السياسى، وتقوية إرادتهم، فقاتلوا من أجل الوصول إلى السلطة، فحكموا البلاد ثلاث سنوات، وسحقوا سلسلة من المؤامرات، رنفذوا تغييرات بعيدة المدى، وذلك بتأميم معظم مناجم النحاس والحديد، ونقلوا ملكية مناجم الفحم والملح (نترات تشيلى) إلى الدولة، وأنشأوا القطاع الاقتصادى العام، بتشريك البنوك والاستثمارات الصناعية الضخمة المملوكة للاحتكارات، والمصالح التجارية الأجنبية الوطنية. وقد حققوا إصلاحاً زراعياً، مزيلين نظام العزب الكبيرة (اللاتيفوندات)، محولين الأرض إلى تعاونيات للفلاحين، وإعادة توزيع الدخل القومى لصالح الشغيلة مع تبنى سياسة خارجية مستقلة. فإشراك الشعب فى

الحكم أعطى زخماً قوياً.

فالثورة الشعبية فى عصرنا لها الحلفاء والأعداء والألداء الخطرون. فإنجاز مهام المرحلة الديمقراطية من الثورة يؤدى إلى بروز التشكيك، والكراهية، والعداوة اللدودة، من جانب الامبرياليين تأكد هذا الشكل الدرامى فى حالة تشيلى. فكان الانقلاب الفاشى قد وجه صراحة بواسطة الشركات المتعددة الجنسية، التى تأثرت من التأميمات، بالتعاون المباشر مع CIA والبنجاجون. وكانت الرجعية المحلية قد شجعت، من قبل الامبريالية الأمريكية، على السير بخطتها الشريرة «زعزعة استقرار» حكومة الوحدة الشعبية، وهزيمة الديمقراطية فى تشيلى، وفرض فاشية مستبدة، دكتاتورية إرهابية سافرة لأكثر القوى عدوانية.

إن الحلفاء المبدئين لكل ثورة شعبية هم الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية الأخرى وحركة الطبقة العاملة وجميع القوى المعادية للاحتكارات فى البلدان الرأسمالية المتطورة، وكذلك حركة التحرر الوطنى. تحظى العملية الثورية بتعاطف وتأييد وتضامن الشعب. وكانت حكومة اليندى قد وجدت التقدير والتأييد والمساعدة السخية فى الاتحاد السوفيتى وكوبا الاشتراكية وجمهورية ألمانيا الديمقراطية والبلدان الاشتراكية الأخرى. وحافظت على علاقات حميمة مع معظم حكومات أمريكا اللاتينية، وأقامت علاقات مع بلدان حلف الأنديز(*) Andean Pact، ووقعت اتفاقات ذات فائدة كبيرة مع مختلف بلدان أوروبا الغربية، وأقامت علاقات مع بلدان آسيا وأفريقيا. والآن تحوز قوى السلام على نفوذ كبير، والانفراج يشق طريقه، وهناك ظروف أكثر ملاءمة للثورة الشعبية. ومع ذلك ستصبح مستحيلة إذا ما قدمت التنازلات فى قضية العداة للسوفيت، أو إذا ما جرت محاولات للانعزال عن التيار العام للقوى التقدمية للجنس البشرى.

ولا تشبط همة قوى الثورة التشيلية بتراجعها المؤقت. فإن هذه القوى مخلصه لوجهات نظرها الأساسية، دائماً. قال الحزب الشيوعى فى أول بيان له بعد الانقلاب

(*) نسبة إلى جبال الأنديز غربى أمريكا الجنوبية (المترجم).

(نشر في تشرين أول ١٩٧٣): « إن الحزب الشيوعي مقتنع، بشكل مطلق، بأن مرافعته حول عدم كفاءة دفاع حكومة الوحدة الشعبية، وخطواته للوصول إلى التفاهم مع القوى الديمقراطية الأخرى، وقبل كل شيء في المنظمات القاعدية، وجهوده لشحن الفئات الوسطى بالثقة، وتوجيه الضرية الأساسية ضد العدو الرئيسي - الإمبريالية والرجعية - ومواظبته على تقوية التحالف الثوري الاشتراكي، ووحدة الطبقة العاملة، وزيادة التفاهم بين أحزاب الوحدة الشعبية، وجهوده لتحقيق إنتاج أكثر وإنتاجية أعلى، والتمويل الصحيح للمشاريع في القطاع العام، والإنضباطية الصارمة في العمل، شكلت كلها سياسة عامة سليمة كلياً. ومع ذلك، فإن هذا لن يحو الأخطاء والضعف في نشاطه ».

إن التقدم الثوري في المرحلة الديمقراطية، والطموح نحو الاشتراكية، يعبر عن ذاته في زيادة التفاعل في المجالات السياسية والأيدولوجية والاجتماعية والاقتصادية ويمكن أن يتحقق ذلك في ظل هيمنة الطبقة العاملة، التي هي عامل حاسم من أجل توحيد جميع القوى الديمقراطية، في تحالف واسع وصلب، كما ذكر أعلاه.

وتأكد الحزب الشيوعي بأنه يجب أن يتمسك بخطه الطبقي المستقل في الحركة من أجل الوحدة، الخط الهادف إلى توحيد كافة القوى الثورية. مقاوماً جميع الإنحرافات، ليصون مستقبل عمليتنا الثورية. وهذا يعني أن الحزب يتحمل مسؤولية خاصة تجاه السلبات والنقاط الضعيفة في متابعته لذلك الخط.

فجدلية نظام متعدد الأحزاب، وقيادة موحدة راسخة، كان ذا سمات حاسمة في تشيلي. فتطورت هناك وحدة عريضة، ومرنة فارضة وحدة الطبقة العاملة ذاتها، وتحالفها مع الكادحين الآخرين، وأيضاً، التفاهم مع القوى الديمقراطية الأخرى. ففي ظروف العملية الثورية، كانت هذه الوحدة مبنية على أساس وجود حزب شيوعي قوى ومؤثر، والوحدة الشيوعية الاشتراكية، التي كانت عاملاً ذا أهمية أولى، وكتلة الوحدة الشعبية الفعالة، التي تضم الشيوعيين والحزب المسيحي اليساري، والحركة من أجل العمل الشعبي الموحد، وحزب العامل والفلاح، والحزب الراديكالي، الحزب الاشتراكي والعمل الشعبي المستقل. وهذه الوحدة كانت

مقاومة، أيضاً، على أساس الاتفاقات المؤقتة مع المنظمات السياسية الأخرى، وخصوصاً الاتفاقية مع الحزب الديمقراطي المسيحي، المقصود منها التأكيد على انتخاب الليبندى للرئاسة، بواسطة البرلمان ككل، ولعمل إصلاحات دستورية بخصوص «الضمانات الديمقراطية، وتأميم معظم مناجم النحاس. وبجانب ذلك، أقيمت علاقات صداقة مع الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الأخرى. ففي تشرين أول ١٩٧٢، تم التوصل إلى اتفاقية فى ظل برنامج الوحدة الشعبية مع قائد القوات المسلحة، التى تقيدت بالوضع الديمقراطى، وأيدت الدستور. ووجدت هذه الاتفاقية تعبيرها فى تشكيل وزارة برئاسة الجنرال كارلوس براتس، من تشرين ثانى ١٩٧٢ إلى آذار ١٩٧٣، وعرفت هذه الوزارة ببيانها المشهور وخطتها لإقامة قطاع عام فى الاقتصاد.

ولا نستطيع نحن، كثوريين، إنجاز الثورة بأنفسنا بل يجب، إذا أردنا النجاح، أن نجذب إلى العملية الثورية تلك الفئات ذات المصلحة الموضوعية فى الثورة، ولكنها متذبذبة، بشكل عام. وتظهر التجربة بأن هذه المسألة أصبحت مطروحة فى معظم الأشكال المتنوعة. وأحد هذه الأشكال، النظام المتعدد الأحزاب، الذى أصبح فى تشيلى وسيلة لتصلب القوى، فى العمل المشترك، وفى المعارك السياسية الجادة، فى صياغة برنامج مشترك يحترم استقلال كل طرف فى التحالف.

فبينما تتواصل العملية الثورية، إلا أنه يلتحق بها، باستمرار، طبقات وفئات اجتماعية، لمواجهة المشكلات الجديدة، والمهام الجديدة، التى تتأثر بقوانينها. وتعديل الحياة البرامج، وخصوصاً حينما يجر النشاط الثورى التاريخ، مثل قاطرة قوية. وهذا ما يجعل من الضرورى بالنسبة لائتلاف متعدد الأحزاب أن تكون له قيادة موحدة، راسخة، وكفوءة، وقادرة على تطوير برامجها، معززة المكاسب، وهزيمة للرجعية. ومع ذلك تجذب الثورة بذاتها من يهددها.

فالحديث الثورى عن محاولة إعطاء الأسبقية «للتنافس» على تجنيد القوى، وحيل الانتهازيين اليمينيين «والجناح اليسارى»، وتكوين أقطاب تشق المعسكر التقدمى، يعمل ببساطة على إضعاف الحكومة الشعبية، إلى حد مأساوى. فالدروس القاسية من تشيلى هى الأكثر وضوحاً فى هذا المجال. ومع ذلك، صمدت

وحدة القوى الثورية أمام محنة التراجع المؤقت. وهذا دليل على صلابة أسس الوحدة. واليوم، تسيّر الوحدة الشيوعية الاشتراكية أعمق مما كان فى الماضى، ووصل ائتلاف الوحدة الشعبية إلى تفاهم متبادل أفضل، وكذا وحدة جميع القوى المعادية للفاشية، بما فيها الحزب المسيحى الديمقراطى وقد اكتسبت هذه الوحدة من خلال العمل المشترك.

وبالنسبة لهذه القضية وجميع القضايا التى حدثت، يجب تحليلها بعناية أكثر إذا ما أردنا أن يصبح النضال المعادى للفاشية أكثر فعالية ويحقق أهدافه.

شهد ربع القرن الأخير نمواً وتمرّكزاً جوهريين لرأس المال فى تشيلى. ففى هذه الفترة أجبرت الحياة ذاتها الفئات الوسطى أن تتقدم بالمطالب الديمقراطية، التى تتناسب مع مصالحها، وتتعارض مع مصالح الامبريالية والاحتكارية وكان تشكيل حكومة الليندى نتيجة وتتويجاً للنضال المتواصل حيث وضعت البرجوازية الكبيرة المحلية والامبريالية الحريات الديمقراطية، والحقوق، والدستور فى خطر، بهجومها المستمر عليها، بينما شنت كل من الطبقة العاملة والحزب الشيوعى وحلفائه حملة من المطالب تخدم مصالح الأمة والتقدميين.

وتشكلت دولة ديمقراطية حديثة، نسبياً، نتيجة لنضال الطبقة العاملة والشعب. ويغض النظر عن الطابع البرجوازى لهذه الدولة، فقد استمر النضال من أجل السلطة، لفترة طويلة، وخصوصاً بين ١٩٧٠ - ١٩٧٣. وتعايش المحتوى السابق. للدولة، المعادى للديمقراطية الذى تحدده مصالح «الاستغلاليين» مع المكاسب الديمقراطية التى سجلت، فيما بعد. وكانت الطريقة الوحيدة لتعزيز هذه المكاسب، وطرح هدف تحقيق الاشتراكية، هو دفع الثورة إلى الأمام. وتدمير البنى التقليدية المعادية للديمقراطية.

هذه المسألة التى نفكر فيها لا يمكن لثورة أن تتعاشاها. كان بعض التشيليين قد تخيلوا بأنه يمكن عبورها بواسطة، محبى الحرية، أو بمساعدة الشعارات والنداءات الفوضوية، التى تخفى ضعفهم فى النضال الفعلى ضد الرجعية ومع ذلك أثبتت التجربة، وما زالت تثبت، أن هذا النوع من الانتهازية الذى يضع أموراً مجردة لأول أسباب «صادقة فى مظهرها»، ويخفى الأمور الملموسة من أجل

المصالح الآتية، من أخطر أنواع الانتهازية التي حذر منها لينين فى الماركسية والدولة.

وتتجلى الصلة بين مرحلتى العملية الثورية فى الارتباط بين عناصرها الطبقة. فتتميز المرحلة الديمقراطية، بالإضافة للبنية الطبقة المحددة لقواها المحركة بطابع اتساع محالقاتها. فى التقدم نحو المرحلة الاشتراكية ليس من الضرورى تضيق أو تخفيض هذه التحالفات. فالثورة هى تعاضد القوى. فمن يملك قوى أكثر يفوز. لذا يجب على الطبقة العاملة أن تؤمن كتلة من القوى المتحدة، من أجل القيام بتحولات ثورية، أقوى من الكتلة التى تدعمها الامبريالية.

كشفت الأحداث فى تشيلى بأن النضال من أجل الديمقراطية والاشتراكية يتطلب حيوية دائمة لأن أعداء الديمقراطية يستغلون أية أفضلية عابرة فى ميزان القوى، من أجل الهجوم المضاد. وهذا هو السبب بأنه يجب مناقشة القضايا ذات الأهمية الحاسمة مع الجماهير، وجعلها مفهومة لها، لوقت طويل قبل أن تصبح قضية اليوم.

وتبين التجربة أن تردد الفئات الوسطى كان يمكن التنبؤ به. وكان ذا أهمية فائقة إتباع سياسة واضحة وثابتة، وحتى مرنة، بشكل كاف، تجاه هذه الفئات فالسياسة المهدئية هى التى كانت ستمنع الامبريالية والرجعية من جعل الفئات الوسطى قاعدة اجتماعية لنهوض الفاشية (فالروابط العائلية، والأصول الاجتماعية لمعظم ضباط القوات المسلحة، الذين أتوا من الفئات الوسطى، لعبت دوراً كبيراً فى هذا).

يتضاعف الصراع الطبقة حينما يتم تنفيذ مهام المرحلة الديمقراطية للثورة، وتصبح المطالب بخصوص التقدم نحو الاشتراكية أكثر تأكيداً. فى هذه الظروف، ليس هناك مجال لتجاهل مسألة ما هى الطبقة التى تحكم المجتمع، وكيف ينبجج فى تعبئة الأغلبية النشطة، وكيف ستحافظ على سلطتها وممارستها. فتوسع القاعدة الاجتماعية للعملية الثورية، حسب درجة تقدمها فى الطور الديمقراطى، يضع طليعة الطبقة العاملة أمام مهام أكبر، وإذا ما تأخر نموها التنظيمى

السياسى، خلف نمو الحركة الشعبية، فإنها ستجد نفسها فى ذيل الأحداث، حينما تنضج ظروف موضوعية جديدة.

وتنجز المهام الديمقراطية للثورة حول مهام معاداة الاحتكارية والامبريالية، معتمدة، بشكل رئيسى، على حل تناقضات النظام المعنى. ومع ذلك فإن كل تشكيلة اقتصادية اجتماعية هى كل جدلى متكامل، فى ذاتها. ويتبع ذلك أن العلاقة الجدلية المعقدة بين التناقضات الاجتماعية تجعل من المستحيل القفز عن المراحل أو اعتبارها متباعدة جداً.

ودحضت الثورة التشيلية المفهوم الضيق الأفق حول معاملة الطبقات الحاكمة كلها كعدو ورئيس، وعدم رسم خطوط تميز بين مالكى الأرض الكبار، وأغنياء ومتوسطى مالكى الأرض والاوليجاركية الاحتكارية والشرائح المختلفة للبرجوازية الوطنية والفئات الوسطى واتهم اليساريون المتطرفون، الذين يشاركون فى هذه المفاهيم، الثورة التشيلية «بالإصلاحية». ومع ذلك، فإن مما له دلالة هو هجمات من هذا النوع شنت، بشكل واسع، من خلال وسائط الإعلام الجماهيرية، التى كان لها، أيضاً، دور نشط فى المجهودات من أجل «زعزعة الاستقرار» للحكومة الشعبية وإخلاء خشبة المسرح للانقلاب الفاشى.

كانت الامبريالية والرجعية تأكدت أن الثورة الديمقراطية العادية للامبريالية والاحتكارات واللاتيفوندات (العزب الكبيرة)، ما هى إلا ثورة قهده الطريق للاشتراكية. وبينت، حقاً، تجربة الفترة بين ١٩٧٠ و ١٩٧٣ أن الإجراءات الديمقراطية المستمرة تزوجت مع مقدمات الاشتراكية. وكنتيجة للتغييرات التى حصلت، أصبح تطور الاقتصاد التشيلى لا رأسمالياً، بشكل رئيسى. وتوقف القطاع الحاسم من الاقتصاد عن خدمة التراكم الرأسمالى، وتطلب هذا الوضع عملية إعادة الإنتاج، موضوعياً، بإحلال انضباط جديد فى الإنتاج، بدلاً من انضباط الإنتاج السابق الذى كانت تفرضه الاحتكارات، ولن يتم هذا إلا فى ظل سيادة الطبقة العاملة. وكان ضرورياً إقامة رقابة عمالية كبيرة على الإنتاج، وطرح التخطيط فى جميع مجالات الاقتصاد وإقامة إدارة على أساس الكفاءة الوظيفية للقطاع العام وقطاع الإصلاح الزراعى.

ونعلم من تجربتنا أنه ما لم نهزز المواقع التى كسبناها - وكنا راسخين فى تنفيذ العملية الثورية بشكل أعمق - والا فسنخاطر بالتراجع على طول الخط ولا تكافح الثورة المضادة، فقط، لمنع التحول إلى الاشتراكية، بل تعارض، أيضاً، جميع الضمانات الديمقراطية. وهذا هو السبب الذى يجعلنا نعتبر أن النقد الذاتى عند تحليل الأحداث التشيلية ذو أهمية بالغة لإثبات لماذا لم نتخذ، فى مجرى العملية الثورية، خطوات صحيحة، حينما ازدادت التناقضات الموضوعية، كما كنا نتوقعها، لأن هذا هو قانون كل ثورة.

وكان تشكيل الحكومة الشعبية، والاعتراف بفوز الرئيس اليندى الانتخابى وتحقيق التغييرات الديمقراطية ممكناً بسبب الوحدة الصلبة للطبقة العاملة حول القضايا والأفعال الأساسية، والتوجه السليم للطبقة العاملة والدائرة الواسعة فى ارتباطاتها التحالفية، التى مكنتها من استخدام أشكال تنظيمية تتلام مع المهام. ولكن الموقف التالى أصبح أكثر تعقيداً، حيث صعد العدو مقاومته، فى الوقت الذى كان يجب على الطبقة العاملة وحلفائها فى المعسكر الديمقراطى بناء قوتهم. والقضية هى أنه كلما كانت العملية الثورية تسير، بشكل أعمق، كانت البرجوازية، بما فيها تلك الشرائح التى كانت قد ضربت بواسطة السيطرة الاحتكارية وكانت تستفيد من إجراءات الحكومة الشعبية، تميل - أكثر فأكثر - للانطلاق من الفرضية التى تقول إن مصالحها تتعارض مع مصالح الطبقة العاملة. وكان هذا الاتجاه يجد تشجيعاً بالحديث المجرد عن المستقبل الاشتراكى، دون الأخذ بالاعتبار المهام الفعلية، فى تلك اللحظة. ومع ذلك كان العامل الأكثر سلبية وتدميراً هو أن الطبقة العاملة قد فشلت، بعد هذا كله، فى كسب سيطرة فعالة؛ فبدلاً من ذلك، كان الاتجاه السياسى السائد هو الازدواجية، والتنازلات، لكل من الانتهازية اليمينية والانتهازية اليسارية.

ففى نيسان ١٩٧٢، حذر الحزب الشيوعى من الخطر المائل، ودعا إلى تبنى خطوة تقدمية حاسمة، وشدد على الحاجة لرفع دور الطبقة العاملة، وإقامة نظام موحد صارم من الإدارة الاقتصادية. وتعزز المكاسب التى تمت، وعزل الأعداء الأكثر خطراً. ومع ذلك بينت التطورات التالية، وبألم شديد فقط، أن هذا الخط لم

يتبع بالتصميم الكافى. وبعد الهزيمة قد أشير، بصدق إلى «أنا قمنا بمناقشات، وأوضحنا وضعنا الطبقي على مستوى القيادة، ولكننا لم نشجع، بشكل كاف، المناقشة على مستوى القاعدة، بين الشعب لمنع انتشار الثورة البرجوازية الصغيرة التى ألحقت الضرر بالوحدة الشيوعية الاشتراكية، ومن ثم بالعملية الثورية» (٣).

وأصبح الإنشقاق فى القيادة الموحدة، عاملاً من عوامل الهزيمة وانتشرت الانتهازية بانحائها، ذات الصلة المتبادلة. فكان اليساريون المتطرفون، بإنكارهم الطابع الثورى للعملية الجارية، يحاولون فرض وجهات نظرهم على تطورها، وكافحوا بفاعلية من أجل تعطيل مسارها. ومن الناحية الأخرى، كان الإصلاحيون يبالغون فى الجوانب السلمية للعملية، وعملوا على إنعاش مؤسسات غير ديمقراطية، لم تكن تتماشى مع المهام الجديدة، البالغة الأهمية، والتى دفعتها الحياة إلى المقدمة. وللمفارقة العسية على التبرير، فإن هذين النوعين من الانتهازية، باستمرار، يدعم أحدهما الآخر، يدفعهما لذلك تحاملهما على الشيوعيين.

فبتحليل نتائج تلك السنوات، يجب ملاحظة أن الثورة نجحت فى إقامة مؤسسات ديمقراطية من غط جديد، ويطورت أشكالاً أعلى من الديمقراطية. وفى بعض الحالات كانت قد بدأت بالجمع بين الحكومة والحكم الشعبى الذاتى فانتشرت مجالس مراقبة الأسعار والتموين. وكانت تقودها شخصية ثورية بارزة Marta Ugarta مارتا أوجارتى. وشكلت مجالس السكن، ولجان الأمهات، ولجان الإنتاج والدفاع فى الصناعة. وبدأت النقابات تؤدى وظائف قيادية فى المجال الاجتماعى. وكانت الإدارة فى الصناعة والتجارة تنتقل، خطوة خطوة، فانشئ نظام مفتشى الشعب المنتخبين بواسطة النقابات وانشئت مجالس التموين. وكانت تعمل مكاتبهم الشعبية، بالتعاون مع المنظمات الجماهيرية وساعد مركز العمال الموحد (CUT) على إقامة مجالسهم للحفاظ على الصناعة. ورسمت خطة اقتصادية، حتى ١٩٧٤، على المستوى القومى، ومشاركة الجماهير، جعلتها واقعية فى الاستثمارات الخاصة وفى القطاع العام وفى قطاع الإصلاح الزراعى. ووقع عدد من

الاتفاقيات بين وزارة الاقتصاد وهيئات مشاريع معينة بخصوص كمية المردود، وإنتاجية العمل، والإمداد بالمواد الخام، وشروط الاعتماد، مستوى الأجور والأسعار والاستثمار. ونجحت الطبقة العاملة بدعم قوى من الشباب والمثقفين، بالحفاظ على النظام فى البلاد، خلال تخريب المستخدمين، فى تشرين أول ١٩٧٢ وأب ١٩٧٣.

ومع ذلك، لم يخلق وضعاً انتقالياً صحيحاً، خلال الثورة، بمعنى أن الثورة لم تنجز، كلياً، أهدافها فى الديمقراطية ومعاداة الامبريالية، لتمهيد الطريق إلى الاشتراكية. وكان هذا يتطلب مقربة أكثر وإلغاء الامتيازات والسلطة السياسية للاحتكارات الامبريالية والاوليغاركية المالية. وكان ذلك يدعو، أيضاً، إلى نظام جديد من القيادة فى المجتمع، والذي يعرف بالصيغ العلمية بدكتاتورية الطبقة العاملة وجماهير المدينة والريف، أو سلطة الشعب.

وبينت الأحداث التشيلية كم كان خطراً عدم تنفيذ عملية المقربة إلى النهاية. التى كان يجب تنفيذها، بشكل مبكر كلما أمكن. وكان هذا يفترض بالتاكيد الدفاع عن الحقوق الديمقراطية للشعب ضد الثورة المضادة، وذلك بحسبها وسحق النشاط المعادى للديمقراطية. وتأكد كل من الحزب الشيوعى والوحدة الشعبية، بأن سلطة الاحتكارات المحلية والامبريالية الأجنبية كانت مشروطة بمجالين أساسيين محددين، وهما ممارسة السلطة البرلمانية والنشاطات فى الصناعة والمجال العسكرى. وهذا هو سبب إصرار لويس كورفالان، دائماً، بأن النجاح فى الانتخابات ليس هو الأمر الأكثر أهمية فى تقدم القوى الشعبية، بل هو، فقط، جزء من تطور معقد من نضال اجتماعى أوسع. وطبقاً لهذا حذر الذين تخيلوا بأن انتخابات ١٩٧٠ قد ضمنت تطور التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية الاشتراكية. فى الوقت الذى فزنا فيه بالسلطة ولو، فقط، جزئياً، كان الأخرى بنا العمل على مقربة كل حقوق النشاط، وتنفيذ إجراءات ديمقراطية بعيدة المدى فى إدارة الاقتصاد، وتمتد المقربة إلى القضاء وآلية الرقابة، ونحقق توازناً فى القوى لصالح الديمقراطية بين العسكرين، وجعل النظام الإدارى يسير فى خط المستويات الديمقراطية الأصلية. ولقد توقفنا فى منتصف الطريق فى هذا المجال. وفشلت

الحكومة الشعبية فى إقامة ديمقراطية فعالة فى مجالات حساسة. ومع مكاسبها مؤثرة وذات قيمة عالية. إلا أنها لم تكن ملائمة، بشكل واضح.

ومع ذلك، فإن رأس الجسر الهائل الذى أنشئ فى هذا الاتجاه فتح أعين ملايين التشيليين على الادعاءات الزائفة على الثورة. فكل إنسان رأى بأى عينه أن العملية الثورية جلبت للناس حرية أعظم، وأعطتهم دوراً عاماً أكبر، وقدمت لهم فرصاً لم يسبق لها مثيل، لرفع مستواهم الثقافى مع احترام العقائد الدينية وعادات وتقاليد كل مجموعة من السكان.

ولم يفقد كل هذا شيئاً من أهميته. فموقع الكنيسة، والتفاهم المتبادل الذى كان يربط الكاثوليك غير الحزبيين والمسيحيين الديمقراطيين مع الوحدة الشعبية فى الدفاع عن حقوق الإنسان، مبنى بشكل أساسى، على تجربتهم الخاصة، لموقف الحكومة، والشيوعيين والاشتراكيين، والرايكاكين والجناح اليسارى المسيحى، تجاه جمهور الكنيسة. وبجانب هذا تخلقى التشيليون، فى لحظة معينة، عن أوهامهم حول «سلطة القضاء المستقلة» و «حيادية القوات المسلحة». وعلاوة على ذلك. فقد أصبحت الطبقة العاملة أكثر وعياً، من الناحية السياسية، وهذا يلقى الضوء على أمر مهم، هو الإصرار على وجود نقابات موحدة ومستقلة تستمر فى العمل، حتى فى وسط الإرهاب الفاشى. وأصبحت الطبقة العاملة - وأغلبية الشعب معها - ترى فى الدولة المؤدية لوظيفتها فى مجتمع التناحرات الطبقيّة هى نتاج تناقضات طبقية لا تقبل التسوية.

قاومت البنى الأساسية لنظام الحكم القديم، ذات السمة المعادية للديمقراطية، بعناد ولفترة أطول، فى الوقت الذى كانت التغييرات الديمقراطية الثورية فعالة. وكان ذلك حينما كانت قوة الحكومة الشعبية وقدرتها فى الحفاظ على التغييرات الديمقراطية والنشاط الهادف لدفع التغييرات الاجتماعية إلى الأمام، والتمسك بما كسبه الشعب أصبح مهماً، بشكل خاص. ولقد أشار كارل ماركس «لا تناسب الإصلاحات الاجتماعية، أبداً، إلى ضعف القوى، بل يجب، وسوف تبرز إلى الوجود بواسطة قوة الضعيف».

القدرة على الدفاع عن الثورة قضية مركزية لكل عملية ثورية أصيلة، بغض

النظر عن الطريق الذى تتبعه. فالمرحلة الديمقراطية من الثورة تحتاج إلى تعزيزها، ودفعها إلى الأمام، ولا يتفصل هذا عن الدفاع عن الثورة. فيجب أن يبدأ الدفاع عن الثورة، ابتداء من المرحلة التى وصلت إليها، لأن هذا هو الطريق الوحيد لنؤكد أنها تتحرك إلى المرحلة التالية والأرقى. وتشير التجربة التشيلية، بشكل واضح جداً، إلى جدلية التشابك والاعتماد المتبادل للعمل الموجه للإطاحة بسلطة الطبقات الحاكمة ومقاومة الثورة المضادة، وتعبئة الجماهير من أجل بناء مجتمع جديد وحدث كل هذا فى مجرى الصراع الطبقي والتغيرات الاجتماعية الاقتصادية، الأكثر تعقيداً.

فالدفاع عن المكتسبات الثورية، ليست مؤامرة أو مهمة جماعات صغيرة معزولة عن الشعب، فهو مبنى على أساس رغبة الحكومة الشعبية فى التعبير عن مصالح وتطلعات الجماهير، وفى قدرتها على توحيدها، وتعبئتها من أجل النضال، وفى مجهوداتها الخلاقة والديناميكية السليمة. ومع ذلك، فإن هذا ليس كافياً ما لم تكن الجماهير قادرة على تقوية الحكومة الديمقراطية والدولة كنصير لمصالح القوى التقدمية. ومن الضروري، وباستمرار، تعديل نظام المؤسسات والوكالات، إذ كان يجب على كل بُنى السلطة أن تعمل لمصلحة الطبقة العاملة والشعب والأمة.

ونعرف نحن الشيوعيين التشيليين، بتجربتنا، كم كان الضرر الذى ألحق بالثورة والشعب، بسبب ضعف مواجهة العنف الرجعى. فلتقد توصلنا إلى استنتاج، وهو أن الواجب الأول للقوى الثورية، فى إنجاز مهمات المرحلة الديمقراطية، وحينما تلجأ إلى توجيه ضربة قاضية لكل من سيلجأ إلى عنف الثورة المضادة، أن تكون هذه القوى الثورية حازمة فى هذا. ويجب أن يدعم مجهودات تعبئة الأغلبية النشطة من الشعب، بواسطة المنظمات الجماهيرية المناسبة، التى تتحكم بجميع الوسائل المطلوبة، والتى يكون أعضاؤها قد تعلموا وتدريبوا، بشكل سليم.

يجب على القوى الشعبية، حين الصعود فى المرحلة الديمقراطية إلى الاشتراكية، بمواقع تمكنها من اتخاذ موقف الهجوم. الذى لا يتساوى فقط مع

توسيع مدى العمل - خطوة خطوة - فى أمور تجريد الملكية، والكفاح لفضح أكبر عدد ممكن من الأعداء. أنه لهم جداً أن نستمر فى الديمقراطية فى كل مجال، وكما أشرت أعلاه، فإن هذا يعزز القدرة الكفاحية لعمال، وتحقيق الكفاءة القتالية للحزب وحلفائه، ويزيد من كفاءة الحكومة الشعبية، ويعزل الثورة المضادة.

لماذا فشلت القيادة الثورية للتشيلي فى هذا؟ لقد قلت إنه كانت هناك لحظة، من ممارسة السلطة والسيطرة على القوى من أجل الدفاع عن مواقعها، وجنيها كان كل شيء يعتمد على كيف كانت تتابع القيادة سياستها بتصميم وفعالية. وكان من الجوهري ممارسة السلطة الديمقراطية واستخدام الصلاحيات التى توسعت فى ظل الحكومة الشعبية. ولكن كانت السياسة التى تتبناها القيادة تفشل فى الحصول على تعبئة نوعية كافية، لأنها، بالضبط، لم تطرح القضايا، بثقة مطلقة، ولم تنفذ بالكفاءة التى يتطلبها العمل اليومى لحل هذه القضايا.

وكان على حكومة الوحدة الشعبية أن تجعل مهام المرحلة المعينة تتطابق معها، من حيث المحتوى والشكل. والتى كانت عبارة عن تركيبة من سلطة الشعب وقوته. وكان هناك سلبيات فى تطورها، وضُكِّل الكثيرون بواسطة دعاية الإصلاحيين والمفاهيم الفوضوية عن السلطة التى كانت تطرح من قبل أولئك الذين كانوا يمتدحون النظام والحكومة السابقين وأولئك الذين كانوا يطالبون بحكم «الشعب»، كنتيقتى حكومة الوحدة الشعبية.

هكذا أكدت الهزيمة المؤقتة للثورة التشيلية الارتباط الجدلى بين المهام الديمقراطية والمستقبل الاشتراكى، وأكدت، أيضاً، جدلية الطرق الثورية، التى تتطلب بالضرورة المقدرة والاستعداد للانتقال من طريق إلى آخر، وفى اللحظة المناسبة، كلما تغير الموقف. وبين الانقلاب الفاشى، فى ١١ أيلول ١٩٧٣، أن العدو يتذكر هذه القوانين الموضوعية فى كل الأوقات، حتى حينما ننساها.

* * *

هو امش :-

(1) Partido Comunista de Chile. Boletin del Exterior.No. 20, 1976 P. 8. .

(2) Dsde Chile hablan los Comunistas ! Edicions ColoColo, 1976, PP 28,9.

(3) Desde Chile hablan los Comanistas !, P. 88.

* * *

طرق الثورة

جورج انسونزا

عضو الهيئة السياسية

الحزب الشيوعي فى تشيلى

=====

إن العملية الثورية فى تشيلى هى أطول تجربة للتطور السلمى للثورة. وتعتبرها الحركة الشيوعية العالمية كحدث. يمكن أن يسهم تحليلها فى إكمال الاستراتيجية والتكتيك الثوريين، بشكل مميز إذ تقودنا دراسة الصراع الطبقي، فى هذه الفترة إلى استخلاصات تغنى نظرية تطور الثورة بالوسائل السلمية، وتبين كم كانت بالضبط، محدودة هذه الوسائل، وكم هى واضحة جليلة الفرضية الماركسية اللينينة حول القدرة على استخدام جميع أشكال النضال.

وبالنسبة لنا كشيوعيين تشيليين نعتبر التقييم الدقيق، للعملية ككل، مع تحليل انتصاراتها وإخفاقاتها، جوهرياً بالنسبة لنجاحات جهودنا، الآن وفى المستقبل. هذه المهمة التى تركز الاهتمام عليها، مباشرة بعد الانقلاب ستدوم أهميتها إلى الأبد.

وأكدت تجربتنا أن طرق الثورة - السلمى أو غير السلمى - لا يمكن ويجب ألا تعتبر استثناءً متبادلاً. فالتعامل معها كقطبين متعاكسين يشكل خطراً على العملية الثورية ككل.

حذر ماركس الرجعيين أثناء حديثه مع العمال «... سوف نتصرف ضدكم بشكل سلمى، حينما يكون ممكناً لنا فعل ذلك، وبقوة السلاح حينما يصبح ذلك ضرورياً» ولم يفقد هذا التحديد للتكتيك أياً من أهميته فى أيامنا هذه فالمثل الصارخ لهذا الاتجاه فى تطور العملية الثورية، حيث نأخذ بالاعتبار الطرق المختلفة من أجل السلطة، وتعزيزها فى وحدتها الجدلية، كان مفهوم لينين الذى وضع

قيد التطبيق سنة ١٩١٧. ففي نيسان في ذلك العام، أشار إلى إمكانية التطور السلمى للانتفاضة، وبعد أحداث قموز، تحدث عن ضرورة الإعداد للانتفاضة المسلحة وفي أيلول عاد واعتمد - إمكانية التطور السلمى، ودعا إلى بذل الجهود لتحقيق هذه الإمكانية، وفي النهاية، فقط، في وقت متأخر قليلاً، توصل إلى استخلاص أنه يجب أن تكون الانتفاضة المسلحة، التى أدت إلى انتصار ثورة أكتوبر.

ويرجع اهتمام حزينا بمسألة التطور السلمى للثورة إلى طريق طويل. إذ قمنا فى الستينات، بدراسة معمقة لهذه القضايا، مستخدمين الاستخلاصات المستخرجة من التجربة السابقة للعمل والتطبيق الخلاق لفرضيات الماركسية حول الانتقال السلمى للاشتراكية. ففكرتنا عن كيف يجب أن نسير على هذا الطريق فعلياً، فى تشيلى، كانت قد أكملت تدريبياً، على أسس القوانين العامة للثورة، والظروف القومية الخاصة للبلاد. وافترض الشيوعيون بأن الطبقة العاملة يجب أن تصبح المحور الذى يجب أن تلتف حوله الأغلبية، جميع القوى المعادية للامبريالية، لذلك يمكن تشكيل حكومة قادرة على تفعيل التغييرات الثورية التى تحتاجها الأزمة المتصاعدة فى المجتمع التشيلى، والتى يمكن أن تتكون. وكان الهدف تنفيذ ثورة معدية للامبريالية والاحتكارية وثورة زراعية، بتوجه بعيد المدى وهو السير نحو الاشتراكية. فخططنا هى إقامة مرحلتين استراتيجيتين للثورة، ووضعهما فى العمل كعملية ثورية واحدة، لا تنفصل. فاستقرت هذه الإمكانية فى التداخل الموضوعى بين أهداف كلاً المرحلتين، وأيضاً فى الدور القيادى الذى كانت الطبقة العاملة قادرة عليه، والذى يجب أن تقوم به، بالتحالف العريض مع القوى صاحبة المصلحة فى التغيير. وأشار حزينا إلى أن الأزمة الثورية كانت وشيكة الحدوث، وفى نفس الوقت، أشار إلى توافق العوامل الموضوعية، والذاتية، والقومية، والدولية، التى كانت ستسمح للشعب التشيلى بكسب السلطة، دون استخدام القوى المسلحة، كوسيلة أساسية للنضال. وهذا ما أعطى زخماً قوياً لتطور الحركة الجماهيرية، وبدرجة أكبر، لف أغلبية السكان حول الطبقة العاملة.

فكان على الحزب أن يشرح خططه. وكان عليه أن يدافع عنها ضد الهجمات العديدة، ويتغلب على سوء الفهم. وقد برهن نظرياً وعملياً، على صحة السمة الثورية لهذا الطريق. ولتلافى أى سوء فهم، طرح تعريفاً دقيقاً لكلمة «سلمى». فلا يعنى التطور السلمى للعملية بأن نضال حركة الشعب يجب أن تستمر، فقط، فى إطار الأشكال البرجوازية الشرعية، ولم يكن ضرورياً، مع استثناء وحيد، التعايش مع الانتخابات. فالطريق السلمى (وندعوه أيضاً الطريق «غير المسلح»)، لا يعنى التخلي الكامل عن استخدام القوة فى إزاحة الطبقات الرجعية عن السلطة. فالثورة، كما، نعتقدنا، يلزمها، دائماً، القوة والإكراه الاجتماعى، ومع ذلك، فإن هذا لا يفترض الأشكال المسلحة دائماً.

ويشار فى جميع وثائق حزبنا إلى أن اختيار الطريق لا يعتمد فقط على القرار الذاتى للثوريين. فالتغييرات فى الوضع يجب التنبؤ بها، والإعداد لها، مقدماً. وتم التعبير عن هذه الفكرة، بوضوح، فى برنامج سنة ١٩٦٩. حيث أن التشديد كان قد وضع مسبقاً على إمكانية التطور السلمى للثورة، والآن، كما قال لويس كورفالان فى المؤتمر الوطنى الرابع عشر للحزب الشيوعى فى تشيلى، «إن البرنامج الجديد يعلن أن الثورة عملية معقدة، تشتمل على جميع أشكال النضال، التى يخوضها شعبنا، وأن طرقها تحدد طبقاً للوضع التاريخى، ولكن يجب تبنى، بثبات، على أساس نشاط الجماهير. وبالنظر إلى هذا الوضع الثورى يجب ألا ترتبط بالضرورة بأى طريق واحد محدد مقدماً».

لم يتعايش هذا التقييم مع أى من التغييرات فى التكتيك التى كنا نتبناها، بل كان نتيجة لصياغتها الأفضل.

فعلى ضوء تجربتنا يمكن أن يفهم بأنه يجب إجراء دراسة معمقة لمفاهيم الطرق «السلمية» و «المسلحة» ويجب تجريبها من كل التباس، ولتحقق بأنها لا تدخل فى مجال الاستراتيجيات بل فى مجال التكتيك، الذى يتغير طبقاً لتغير الظروف. ويجب أن يتم التحليل بتفحص الخط السياسى على ضوء الصلة المتداخلة والوحدة الجدلية لعناصره المكونة، وكما بينت أعلاه، فنظرنا لهذه النقطة الجدلية قد تم صياغتها بدقة. ولكن الاتجاه لجعل الطريق السلمى مطلقاً ما زال موجوداً. نعود

إليه أحياناً « كقناة طبيعية » والفرضية الصحيحة التى يجب إتباعها لكونها ضرورية فى مرحلة معينة « خط واحد فقط » تبناه العديد من الناس بمعنى أن الطريق الذى كنا نسلكه فى لحظة معينة كان يجب أن يكون خطأ واحداً.

قال لينين إنه يجب أن يكون الحزب الثورى قادراً على إتقان جميع أشكال النضال. ومع ذلك، أكد أنه يجب ألا يُلغى « المعرفة الأساسية، مبدئياً، لجميع وسائل النضال، وجميع الخطط والأساليب، شريطة أن تكون مناسبة لمتطلبات اللحظة السياسية المعينة، التى تقاد بواسطة خطة مدروسة بدقة » (*).

فحينما تكون فى حمأة النضال، فإنه ليس من السهل دائماً، الوصول إلى القرار العملى. إذ يجب أن نأخذ فى الحسبان أن أشكال النضال يمكن أن يُلبيها الوضع الموضوعى. وقد يبين لينين هذا، فى أيامه، وتجلت، بوضوح، فى الأحداث التشيلية.

وكتب لينين « كل شكل للنضال يتطلب تكتيكاً مطابقاً وجهازاً مطابقاً » وأكد أيضاً « فحينما تجعل الظروف الموضوعية النضال البرلمانى الشكل الرئيسى للنضال، فتصبح حتماً سمات جهاز النضال البرلمانى أكثر أثراً على الحزب » (**). فتكتيف هذه السمات يشكل خطراً بمعنى أنها تستطيع إعاقة التغيير الماهر فى التكتيك حسب متطلبات الوضع، ويمكن أن يزول هذا الخطر، فقط باليقظة الشديدة والعمل بتفكير عميق من قبل قيادة الحزب ككل. لقد كنا عميقى التفكير ويقظين، ولكن هذا لم يكن كافياً.

وبالرغم من بعض الهفوات، فإن الفرضيات النظرية الأساسية ذات الطابع الاستراتيجى والتكتيكى، جزئياً، التى طرحها الحزب، ساعدت على تعبئة الجماهير الواسعة فى النضال من أجل الأهداف الثورية. فالظروف التى أتت بالوضع الثورى المتطور إلى المقدمة قد خلقت، بشكل رئيسى، بوسائل غير مسلحة. وأظهر التطبيق بأن الخط السياسى الذى حدد بدقة الأعداء الأساسيين واتجاه الضريرة الرئيسية، وركز على التأكيد الأساسى الخاص بتطور النضال

(*) لينين الأعمال الكاملة مجلد ٥ ص ٣٩١.

(**) لينين مجلد ١١ ص ٣٥٤.

الجماهيرى، وتحول إلى الوضع السابق على الانتخابات، هو الذى استطاع أن يقودنا إلى النصر. ويتتبع هذا الخط، من خلال الممارك الطبقيّة العاتية فى جميع مجالات النشاط الاجتماعى نلاحظ أنه مكّن تحالف الوحدة الشعبىة فى الفوز برئاسة الجمهورىة. فنصر سنة ١٩٧٠، أعطى الحكومة مدخلاً إلى السّلطة (أو حتى سلطه جزئىة) بمساعدة الآلة الانتخابىة البرجوازىة، وقوانين الديقراطىة البرجوازىة وبهذا أصبحت نظرىة لينين عن الثورة واقعاً.

هل هذا يعنى أن التراجعات اللاحقة أثبتت عدم إمكانية القيام بالثورة بالوسائل السلمىة (كما يقول الآن أيديولوجيو البرجوازىة الكبرى والصغىرة)؟ ولكن النهج العلمى الرصين لن يجهز هذا الاستنتاج. وفى الوقت ذاته، فإننا نرى، بتحليل الوضع، أية خطوات كان يجب إتخاذها، ولكنها لم تتخذ أو لم تتخذ بنشاط وتصميم كاف لاستغلال المزايا التى اكتسبتها حديثاً الوسائل السلمىة.

ويمكن أيضاً، استخلاص الاستنتاج العام التالى: لا تستكمل عملية التطور السلمى للثورة إلا حينما تحسم مسألة السّلطة، نهائياً، وحينما تنتفى إمكانية استعادة السّلطة بواسطة الطبقات القديمة، وحينما تبنى الديقراطىة الجديدة فى المجتمع، بشكل راسخ. ويمكن تحديد أطوار معينة فى هذه العملية. فيكتمل الطور الأول بفوز القوى الشعبىة بالسّلطة (فى البدء، فقط، سلطه جزئىة). ومن ثم تأتى مرحلة حل مشكلات «اليوم الثانى» - التأكيد على المكاسب الثورىة، وتعزيز القوى حينما تكون المسألة المسلحة: على جدول الأعمال وهى «من سيفوز؟». فالشروط العامة المسبقة للنصر فى كلا الطورين موجودة، ولكن الضغط على الحركة الثورىة فى كليهما مختلف. لدرجة أنه يمكن أن يكون رد الفعل من القسوة، بحيث يفترض الحاجة لاستخدام القوات المسلحة الثورىة. وهذا يعنى أن العملية الثورىة فى طورها الثانى يجب أن تتبع طريقاً مغايراً للذى اتبعته فى الخطوة الأولى. ولكن هذا لا يلفى الخطوة الأولى، النصر الأول من جانب ولا تختفى الفرص المتاحة للرجعىة لإثارة الحرب الأهلىة، إذا ما قام الثوريون بعملهم بشكل جيد من جانب آخر.

فالتجربة التشىلىة حتى ١٩٧٠، ولوقت معين بعد ذلك أوضحت بأن التطور

السلمى للعملية الثورية هو الطريق الأكثر قبولاً، إذا كانت الفرصة سانحة، بالطبع، فقط حينما توجد تلك الفرصة. ففي الوضع الثورى، فقط، عند غياب الظروف للمتطور السلمى للثورة أو تقل فرص هذا التطور، يصبح من الممكن، وبشكل إجبارى سلوك طريق النضال المسلح.

وترتبط إمكانيات تطور الثورة بالوسائل السلمية فى ظروفنا الحالية، بشكل وثيق، بالتغيرات الجوهرية التى حدثت فى العالم، فمنذ انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى وقد جعل نمو سمعة البلدان الاشتراكية هذه الإمكانيات أكثر واقعية وأصبح من الصعب، بشكل متزايد - بالنسبة للامبريالية - القدرة على تصدير الثورة المضادة، والتورط فى تدخل مسلح مباشرة، والذى تتم الإجابة عنه باستخدام القوات المسلحة الثورية. فانتصار الثورة الفيتنامية التى وجهت ضربة جديده لتصدير الثورة المضادة، هى رمز لعصرنا. وهذا، أيضاً، صحيح بالنسبة لانتصار كوبا الذى أظهر، بعيداً عن كل شئ آخر، بأنه فى أوضاع كهذه، لا تستطيع الامبريالية التدخل بنجاح بقواتها الخاصة. ومع ذلك انخرطت كلتا الثورتين فى صراع عسكرى ضار، وبالرغم من ذلك أكدنا أن وجود الظروف الدولية المسبقة تقدم للثورة طريقاً سلمياً فى حالات تتحد فيها العوامل الدولية مع العوامل القومية.

وأعادت الأحداث التشيلية تأكيد حقيقة أن تأثير العوامل الدولية يعتمد، بشكل كبير، على الموقف الذى إتخذه القادة السياسيون فى العملية الثورية، وفى قدرتهم على استخدام هذه العوامل كرافعة، وفى موقفهم من الدعم الذى على استعداد أن تقدمه البلدان الاشتراكية للحركة التقدمية، دون أن تكون هناك أى خيوط تربطها بها.

فبعض الجماعات تبالغ فى صعوبات الانتقال السلمى، التى يمكن أن تبرز نتيجة لسيطرة الامبريالية على بلدان أمريكا اللاتينية. ويوجهون الاهتمام لسياسة الإكراه التى تدافع بها الامبريالية عن «احتياطها الاستراتيجى». ويضيفون إلى هذه المناقشة الموقع الجغرافى، كعامل ذو أهمية سياسية. هنا نتعامل، بالتأكيد، مع حقائق واقعية، ولكن يمكن تعويضها، بل أكثر من

التعويض، إذا ما توجهت القوى الثورية، بشيات، إلى قوى الاشتراكية الفعالية والتضامن البروليتارى لدعمها وهذه مسألة ذات أهمية فائقة، من الناحية المبدئية والعملية. فليست العزلة عن البلدان الاشتراكية، بل بالعكس، تقوية الروابط معها، هو الذى يحسن من فرص نجاح الطريق السلمى، أو حتى أى نجاح بالنسبة للثورة، مهما كانت الطريق التى تسلكها.

إن الوضع الدولى الجديد هو أحد المبررات الأساسية للتأكيد العام على أن الثورة السلمية، فى أيامنا، تلقى فرصة أفضل. ومع ذلك، فإن تحسين ميزان القوى العالمى لا يتضمن الاستنتاج بأنه يجب سلوك هذا الطريق، دائماً، وفى كل الظروف. وأصبحت الآن الإمكانيات الواقعية للنجاح فى هذا الطريق أفضل، نوعاً ما، بعد أن كانت، فى الماضى، ضعيفة جداً.

وبينت، من الناحية الأخرى، التجربة التشيلية بأن الامبريالية قد تبنت تكتيكاتها، بناء على الظروف العالمية الجديدة، فطورت بديلاً عملياً للتدخل المسلح المباشر، كوسيلة للقضاء على العملية الثورية. ونذكر من هذه البدائل العمل فى مجالات، الاقتصاد، والعلاقات الدولية، والأيدولوجيا، والقوات المسلحة، وهلم جرا. وتقدم تشيلى مادة غنية لدراسة هذه الأساليب. فتحليلها التفصيلى يتعدى حدود هذا البحث، ولكن يجب أن يشار إلى أن النجاح الذى يصل إليه الثوريون فى مقاومة هذه الأساليب، يرتبط بمسألة تعاونهم الوثيق مع البلدان الاشتراكية، واعتمادهم على التضامن الأسمى - الذى لم يكن لدينا الكفاية منه نوعاً ما.

مهما كان تشابك العوامل الدولية والقومية، وثيقاً، إن مفتاح نجاح العملية الثورية يكمن، دون شك، فى العوامل الداخلية. ففى تشيلى كانت الظروف التى بنيت عليها الثورة هى كسب أغلبية صلبة موحدة حول الطبقة العاملة. وكما نعرف، فإن النصر فى انتخابات سنة ١٩٧٠، الذى جعل من الممكن تشكيل حكومة الوحدة الوطنية، لم يلق الدعم من الأغلبية المطلقة، بل فقط من ٣٦٪ من أصوات المقتربين. وتسلمت الحكومة واجباتها، بعد صراع طبقى كثيف، استمر لمدة شهرين. وخلال هذا الصراع، استطاع تحالف الوحدة الشعبية إفشال

العملية السرية الأولى للامبريالية، التى انتهت بمحاولة انقلابية فاشلة. وفازت الوحدة الشعبية بأغلبية الجمهور، وأجبرت العدو الطبقي على اتخاذ موقف الدفاع. وبدون هذا، فلا وزن لنتائج الانتخابات، والصراع من أجل السلطة، التى كان لا يمكن كسبها.

ولهذا، كان لدينا أسس فعلية لاعتبار النصر الانتخابى خطوة ذات أهمية كبيرة، ولكنها لم تكن ضماناً كافياً من الاوليجاركية، والامبريالية، التى كانت لم تنزل تحتفظ بمراكز مهيمنة فى المجتمع، أن نحترم التعبير عن إرادة الشعب. ونعتقد بأن مكاسب الوحدة الشعبية لم تثقر، فقط، بمجرد النصر الانتخابى، بل بواسطة الصراع، قبل وبعد الانتخابات.

بينما كان الطرف الأساسى للنصر الأولى هو خلق أغلبية فعالة مجربة، وصولاً إلى تحقيق الأهداف المباشرة. فإن الشرط الحاسم لإتمام العملية كان اتساع الأغلبية، وتعزيزها وتنشيطها. وكان يجب إتخاذ خطوة لتغيير ميزان القوى المتذبذب، غير الحاسم، لجعله لصالح الشعب، وجعله حاسماً. ولهذا يجب استخدام مواقع السلطة التى اكتسبت حديثاً، وتنفيذ إجراءات الحكومة المطلوبة، من خلال هذه المواقع. وكان هذا الشرط الجوهرى لتعزيز سلطة الشعب الواقعية، من أجل الإنجاز الطافر للثورة الديمقراطية، والتحول إلى الانتقال للثورة الاشتراكية. كان هذا الشرط الأساسى لإنجاز الأهداف الشورية بالوسائل السلمية، من أجل منع العنف الرجعى.

ودون شك فإن القضية الأساسية كانت كما بينا أعلاه، هى تحقيق الوحدة المتراسة للطبقة العاملة، حتى تتمكن من أن تلف حولها، وتحت قيادتها، تحالف قوى من الشرائح المتوسطة من السكان، بالإضافة إلى الفلاحين والفئات الوسطى الواسعة، لسكان المدن، التى لها وزن اجتماعى كبير فى تشيلى، بينما، فى نفس الوقت، البرجوازية الوطنية. فالفئات الوسطى، كما نعلم، تقع بين قطبين، ثورى ومضاد للثورة، ولها ميل اقتصادى أولاً، ومن ثم سياسى وأيديولوجى. للتأرجح بين القطبين. ويمثل القطب المضاد للثورة فى المجتمع التشيلى، الاوليجاركية المالية، واوليجاركية مالكى الأرض، والامبريالية، ويجب على الطبقة العاملة، لتؤكد نصرها، أن تفعل كل ما يمكنها فعله لعزل هذا القطب المضاد. ومع أنه كان

للطبقة العاملة دائرة واسعة من الحلفاء الأساسيين والممكنين، إلا أنها لم تستغل من هذه الفرصة، بشكل كامل. بل على العكس، فكلما استمرت الثورة، أصبحت الطبقة العاملة هي الأكثر عزلة، وخصوصاً غشية الانقلاب، وكان هذا العزل، فى الحقيقة، العامل الرئيسى لهزيمتها. ولم تنفصل الطبقة العاملة فى الحصول على حلفاء أقوىاء فحسب بل عجزت أيضاً عن لف دائرة واسعة حولها، بشكل كاف، لتأمين نصرها. وقد جرى خوض معارك كبيرة حول هذه المسألة الحاسمة، خلال سنوات ثلاث من نشاط حكومة الوحدة الشعبية، لعبت فيها العناصر اليسارية دوراً سلبياً، أضر بمصالح الطبقة العاملة. فأفعالها الخاطئة انطلقت من أفكار خاطئة عن سمات الثورة التشيلية، واستغلت بشكل واسع، من قبل الامبرياليين والرجعيين، هذه الأفكار التى برزت، أولاً بتلهف، وثم بشكل مسعور بين الفئات الوسيطة المريضة.

وكما هو معروف، فإن المرء يستطيع كسب أغلبية الشعب، فقط، حينما يتم تحديد مهام تتناسب مع المرحلة المعنية من الثورة والوضع السياسى المعين. وهذا يعنى إيجاد مفتاح لكل مرحلة واتخاذ موقف مسؤول من النتائج المستخلصة. وفى نفس الوقت، فإنه يمكن أن تصبح الطبقة العاملة بؤرة الوحدة وتنشر تأثيرها إلى الفئات الوسيطة، فإذا تضمن خطها السياسى العام ذلك، فإنها ستكون قادرة على القيام بالدفاع ليس عن مصالحها بل، أيضاً، عن المصالح الجوهرية لتلك الفئات الاجتماعية، وتطور زخم ثورتها هى. وهذه هى المبادئ التى يجب أن تعمل على أساسها سياسة الحكومة، وقوى الوحدة الشعبية من أجل كسب الحلفاء، وتعزيز التحالف، وفى نفس الوقت، منع الرجعية فى التأثير على الفئات التى يسعى كلا الطرفين لكسبها.

نستطيع، بتحليل الأحداث من هذا المنطلق، أن نفهم الإنجازات التاريخية الحقيقية الكبيرة، مثل تأمين مناجم النحاس الرئيسية، والإصلاح الزراعى، وخلق قطاع الدولة فى الاقتصاد، ومع ذلك كان هناك ضعف واضح فى العملية الثورية. إذ كان يجب التعامل مع خليط من القضايا المعقدة فى وضع غير عادى، خلقه الحصار الاقتصادى الامبريالى. وكان هذا يعنى، أنه حتى التغييرات الثورية التى

نفذت لا يمكن استغلالها بالدرجة التي تتطلبها الظروف. فالخلاف في قيادة التحالف السياسى أدى إلى الانحرافات اليمينية واليسارية. وكانت هناك سقطات أثناء السير نحو الديمقراطية الواقعية، التي كان يفترض أن توحد هذه القوى ذات المصلحة الموضوعية في التغيير. ولم تكن المخططات الرجعية تواجهه، دائماً، بل بالعكس كانت تندفع بنشاط، بواسطة الصحافة التي كان معظمها تحت سيطرة الرجعية، حيث هوجمت كل من الحكومة والحركة الشعبية، بشكل شرير لم تعتد عليه تشيلي. وأخرت كل هذه العوامل تعزيز الأغلبية.

ولكن كسب الأغلبية لم يكن كافياً. فسلطة الأغلبية يجب أن تستخدم لانتزاع زمام المبادرة من العدو، في جميع الأطوار. وكما كتب لينين «... ففي وقت الثورة، لن يكفي التأكيد على إرادة الأغلبية، بل يجب أن تبرهن على أنك الأقوى، وفي اللحظة الحاسمة، والمكان الحاسم، يجب أن تفوز» (*). يجب أن تكون الثورة قادرة على الدفاع عن نفسها. فالسلاح الأساسى في هذا الدفاع هو الدولة الجديدة، التي يجب أن تخلقها الثورة. ففي سياق الانتقال السلمى، تبرز بعض القضايا المعقدة جداً، التي تكشف، ثانية، الوحدة الجدلية للطرق الممكنة للثورة.

وقد تطور العملية الثورية التشيلية، عبر الطريق السلمى، كما بين أعلاه، إلى الحركة الثورية، سلطة جزئية، وأثبتت هذا النجاح قوة الحركة الشعبية، من ناحية، وعدم قدرتها على كسب الدولة الكاملة في تلك اللحظة، من الناحية الأخرى.

وليس هناك من سبب يدعو للاعتقاد بأن مثل هذا الوضع قابل لتكرار نفسه في أى ثورة تتطور على الخطوط السلمية. ومبدئياً، فإنه من الممكن الإمساك «فى نفس اليوم الأول» لجميع المفاصل الحاكمة، أو على الأقل جميع السلطات المدنية في جهاز الحكومة (التنفيذية، والتشريعية)، ولكن سوف يستمر هذا الجهاز، كجهاز الدولة القديم، ومع كل الاحتمالات، سوف يبقى ضمن إطارها،

(*) المجلدات، لينين، مجلده ٢٥ ص ٢٠١.

وغالباً خارجه، بالتأكيد جزء كبير من هذا الجهاز لا تسيطر عليه الثورة. وكما بينت التجربة فإن كل الجهاز سيمتنع بشكل كبير عن تنفيذ التحولات. وحينما يطبق الضغط اللازم فى مثل هذه الحالات، حتى تحدث تحولات جوهرية فى محتواه وشكله. والعامل الحاسم هنا هو مقرطة بعيدة المدى فى جهاز الدولة، وخلق آليات للرقابة الشعبية الأصلية على عمل الدولة فى المؤسسات، وتحويل أكبر قدر ممكن من سلطاتها إلى الجماهير. فالتجربة الإيجابية التى اكتسبت فى هذا المجال، على سبيل المثال، هى تجربة الرقابة على التموين، وتوزيع وتسعير البضائع الضرورية، وهذا ما قدم صورة معقولة للإمكانات فى هذا المجال. فالرقابة من «أسفل»، من قبل الجماهير، تسمح لها بتحقيق سلطتها عملياً وتشجع على إحداث تغييرات جوهرية فى جهاز الدولة من الخارج، بالإضافة إلى التغييرات التى تحدث بمساعدة القيادة الثورية فى الداخل.

وأحد جوانب هذه المسألة مرتبط بالتقيد بالشرعية البرجوازية، التى جعلت من الممكن كسب السلطة. وقد بولغ فيها كثيراً فى تشيلى، بشكل خاص، وذلك، بالضبط، لأن الحركة الشعبية لم تكسب، فقط، إلا السلطة التنفيذية، بينما حافظ أعداؤها على مواقع قوية فى إدارات سلطة الدولة، البرلمان، القضاء، المفتشيات .. إلخ. وخلق هذا الوضع الفريد حواجز أمام مرور القوانين الجديدة اللازمة لتعزيز الإصلاحات الديمقراطية الثورية الواقعية. ومع ذلك، يمكننا استخلاص نتيجة، على أساس تجربتنا، وهى: بفضل المكاسب الديمقراطية التى أنجزت بواسطة الطبقة العاملة والشعب، فى مجرى النضال المستمر كله، كانت هذه المكاسب أحد أهم العوامل فى تأكيد التطور السلمى للثورة، ويستطيع الثوريون، بعملهم من خلال مواقعهم فى إدارات الدولة، أن يستفيدوا، بشكل فعال، من التشريع الموجود. ويجب أن يتزوج، بالطبع، استخدام الآلة التشريعية مع الحملة النشطة من جانب الجماهير. وقد برهن تأمين الاحتكارات الضخمة على توافر مثل هذه الإمكانيات.

ومع ذلك، حين قيل هذا، فإن تجربتنا تشير إلى أن النضال الجماهيرى، حتى فى ظل الحكومة الشعبية، لا يمكن حصره فى نفس الحدود الضيقة للتشريع

السابق، لأنه لا مجال لكل النشاط الثوري اللازم ضمن هذا الإطار. وهذا يقودنا إلى استنتاج، وهو أنه يجب أن تكون هناك منظمة توحيدية تجسد سلطة الشعب، التي تولدت «من أسفل». فالمحاولات لحل هذه القضية كانت تبدأ، بشكل أكثر أو أقل عفوية في تشيلي. فمن تجربة إنشاء مجالس التمييز والأسعار، تحركنا نحو إقامة إدارات أخرى، طارحين، معاً، ممثلين للجماهير، ولكن هذه العملية لم تتوج بتشكيل دوائر جديدة لسلطة الدولة. وفي نفس الوقت، لم يطرح تشكيل بعض المنظمات الخاصة، التي يجب إقامتها. ففي كثير من البلدان من المحتمل أن تصبح إحدى المنظمات الموجودة الإدارة المرجوة لسلطة الدولة. كما لاحظ لينين في أيامه «لقد بلغت البروليتاريا، وسوف تبلغ هذه المهمة الوحيدة بطرق مختلفة» ويمضى لينين، محللاً الوضع الفعلي في ذلك الوقت: «ففي بعض أجزاء روسيا تضع ثورة شباط-آذار كامل السلطة في يديها. وفي أجزاء أخرى يمكن أن تبدأ البروليتاريا، ولربما بطريقة «اجبارية»، فتشكل وتطور ميليشيا بروليتارية، وفي أماكن أخرى من المحتمل أن تكافح من أجل انتخابات مباشرة للأجهزة الحكومية المحلية المدنية والريفية، على أساس الاقتراع الشامل من أجل تحويلها إلى مراكز ثورية» (*).

والشيء الأساسي الذي يجب أن نراه هو أن الشعب يستطيع أن يعبر عن إرادته، ويمارس السلطة، بفاعلية «من أسفل»، ويشارك، مباشرة، في بناء الديمقراطية الجديدة. وبدون ذلك لن تستطيع «السلطة من القمة» أن تنفذ مهامها الثورية في مواجهة المعارضة الرجعية الشرسة.

وقد ارتكبت الأخطاء في تشيلي في هذا المجال. فلم يتوفر الوضوح الكافي، ولا الوحدة بين الثوريين حول نمط الدولة، التي يجب خلقها، أو شكل ومحتوى الديمقراطية. فأدى هذا الغموض إلى الترددات، التي عبر عنها بالتخلي عن الحاجة إلى أي دكتاتورية (التي أضعفت، حتماً، حملة تحويل الدولة البرجوازية)، أو التعجيل بطرح دكتاتورية البروليتاريا، مباشرة، التي كانت تفتقر إلى الظروف الصحيحة، وكانت تعنى قفزه في الفراغ، تؤدي إلى عزل الطبقة العاملة. فخلق

(*) لينين المجلد ٢٣ ص ٣٣٩.

هذا الافتقار إلى الوضوح نوعاً من الفوضى، لأن الضعف في النظرية الثورية يعنى الضعف العامل الذاتى. وضعف أى نفوذ قيادى على مجهودات الجماهير من أجل تقوية حكومة الشعب.

إن الإكمال الناجح لأى مسار ثورى يميل إلى حل أولى للمشكلة الخاصة ببناء توازن ملائم فى القوات المسلحة. فهناك التكتيك التى طورها كل من ماركس وإنجلز ولينين معروفة، تماماً. ويجب أن نتذكر تصريحاتهم التى تقود، بشكل أساسى، إلى طريق الكفاح المسلح. ومع ذلك فإنه دون القيام بتحليل تفصيلى، يمكن أن يقال بأن جميع تلك العناصر يجب أن تؤخذ بالحسبان فى تطوير مفهوم الثورة، حسب الخطوط السلمية. ولا يفترض مسبقاً مثل هذا التطور انتفاضة مسلحة، أو حتى حرباً أهلية، بل يجب العناية بتحقيق توازن للقوى ملائم للثورة، وبالتحديد لغرض منع الرجعيين من شن هجوم مسلح.

وأصبح واضحاً أن أحد العوامل الحاسمة هو الوضع فى القوات المسلحة، والقوات التى ستحافظ على النظام العام. كيف عاجلنا هذه القضية فى تشيلى؟ ففى خلال المرحلة الأولى، حتى نتيجتها الظاهرة فى سنة ١٩٧٠، حاولنا ترتيب الأمور، بحيث لا تعمل القوات المسلحة ضد الحركة الشعبية، وهكذا تخلق ظروفناً يكون الانقلاب الرجعى فيها مستحيلاً. فاعتمدنا فى عملنا هذا على التقاليد التى لا تجعل القوات المسلحة تتدخل فى سياسة الأحزاب (خط حافظت عليه القوات المسلحة، أحياناً، بدرجة كبيرة، وأحياناً بدرجة أقل، لحوالى أربعين عاماً). واعتمدنا، أيضاً، على القوى الموالية للدستور داخل الجيش، وكانت مباله للاعتراف بالنصر الشعبى، الذى تحقق فى صناديق الاقتراع.

لقد أكدنا حقيقة أن القوات المسلحة التشيلية لم تكن مرتبطة، مباشرة، بالاحتكارات الكبيرة، ذلك أن الضباط قد أتوا من الفئات الوسطى، بشكل أساسى، وهم أنفسهم جربوا آثار الأزمة، وأما الضباط الصغار، وضباط الصف والجنود قد اتحدوا من الطبقة العاملة والفلاحين، أفقر فئات السكان فقلنا، لذلك، إن القوات المسلحة لن تستطيع أن تبقى بعيدة عن عملية التحويل. وأشرنا، فى نفس الوقت، إلى عمق الأزمة الذى خلق وضعاً جديداً « أصبح

واقعاً، على سبيل المثال، بأن القوات المسلحة عاملاً جديداً في السياسة القومية ويمكن أن يقال بأن فترة عدم مشاركة القوات المسلحة في الحياة السياسية، ليست مطلقة، إذ قد انتهت، أو في سبيلها إلى الانتهاء» (*) وأضاف، أيضاً، لويس كورثالان «بالطبع يجب على المرء أن يأخذ في الحسبان الظروف، التي كانت قد بنيت فيها القوات المسلحة، وخصوصاً حقيقة أنه في العقود الأخيرة مر تدريبها المهني بتجربة تأثير البنتاجون» (**).

ويمكن حسب رأيي أن نؤكد التوجه الأساسي لتأمين، أولاً وقبل كل شيء، عدم تدخل القوات المسلحة، والذي كنا ندعوه «الحيادية»، كان صحيحاً، بينما هو صحيح بالنسبة لنا، لاعتمادنا على تقاليد ديمقراطية معينة موجودة، مع الأخذ بالاعتبار التركيبة الطبقية للقوات المسلحة. ومع ذلك، نرى، الآن، بوضوح، أن هذا لم يكن كافياً، بالإضافة إلى ما كانت سياستنا مبنية عليه، في هذا المجال، من فرضيات بلا أساس نظري.

فمثلاً، اعتبرنا «احتراف» القوات المسلحة أمراً ذا وزن، يمكن الاعتماد عليه، في محاولة منع العمل المعادي للشعب. وفي الواقع، فلم تفعل هذه السمة شيئاً، مهماً كان، لتقوية المواقع التقدمية في القوات المسلحة. بل بالعكس تتجه لجعلها حتى أكثر انعزالاً عن الشعب ومشكلاته. فشجع هذا المفهوم على خلق عادة في التفكير، وضعت الاحتراف فوق كل شيء، حتى بدلاً من المواقف الطبقية التي تحدد بواسطة الأصل الاجتماعي للعسكري.

وبينت التجربة التشيلية أنه بينما كانت «الحيادية» ضرورية وكافية كخطوة أولى للحصول حكومة الوحدة الشعبية على السلطة، إلا أن استكمال العملية الثورية يتطلب أمراً مختلفاً. فالحيادية طور عابر. ولا يمكن أن يصبح لمجرد طبيعته ذاتها، شيئاً آخر. وبينما يمضي الوقت، فإن التناقضات تقبل إلى الحل في هذا الاتجاه أو ذاك لصالح الثورة أو لصالح الثورة المضادة، ولهذا يجب أن يكون

(*) لويس كورثالان Camino de Victoria P 315

(**) لويس كورثالان Camino de Victoria P 425

الحل فى مجرى العملية مبنياً على أساس مسألة كسب القوات المسلحة، إلى جانب الشعب، بواسطة مقرطتها، بشكل صحيح، ويمكن فعل ذلك ، فقط، كنتيجة لمواجهة مريرة جداً فى جميع الجهات.

وهنا تتكشف، تماماً، العلاقة الجدلية، التى اكتشفها ماركس، بين الثورة والثورة المضادة. فتزايد مهام الثورة حينما نمضى إلى الأمام، لأن الثورة يجب أن تمضى، بشكل صحيح إلى نقطة بلا عودة وبينما تعزز الثورة مواقعها، فإنها تثير معارضة متشجعة من قوى الثورة المضادة. وبالتالي، فإن الأشياء التى تكون كافية، خلال المرحلة الأولى، لن تعود كافية، فيما بعد.

وتبين التجربة أنه يجب القيام بمجهودات متواصلة لتحويل القوات المسلحة باستخدام جميع الوسائل المقبولة. والأسلوب الرئيسى، تكرر ذلك، هو من خلال الديمقراطية، بمساعدة النفوذ المتنامى، الذى تمارسه الطبقة العاملة والشعب على القوات المسلحة. فاتخذت خطوات معينة فى هذا الاتجاه. وأنجزت، لدرجة ما، عملية جر العسكريين فى مجرى تحول البلاد، وهذا ما ساعد على وضع العسكريين على اتصال وثيق مع الشعب، وقدم لهم تفهماً لمشكلات الشعب.

فبعض المستخدمين النظاميين ذوى الذهنية الوطنية أعطوا تقييماً جيداً عن أنفسهم، ضمن إطار الدولة، فمثلاً، فى الوضع المعقد، سنة ١٩٧٢، خلال محاولة الثورة المضادة، كان تحالف الحركة الشعبية مع الشرائع الوطنية فى القوات المسلحة هو الذى أكد انتصار الشعب. علاوة على ذلك، يجب الاعتراف بأن السلبات فى هذا المجال لم يكن سببها الموانع الدستورية، بل ترجع إلى الهفوات السياسية، للقوى الثورية. وهنا، أيضاً، لعب التطرف اليسارى الضيق دوراً سلبياً.

لقد أعلننا، فى تلك الفترة «أن المؤسسة العسكرية تحتاج، أيضاً، إلى التغيير، ولكن هذا التغيير يجب ألا يفرض عليها، بل يبادر به العسكريون، كموضوع تابع من قناعتهم». وهذا التأكيد لم يأخذ بشكل واضح، فى الحسبان جميع جوانب المشكلة. فلتحقيق التغيير ليس كافياً أن يتخذ عملاً داخل الجيش، فقط، بل يجب أن يكون هناك نضال من أجل القوات المسلحة أتياً من خارجها. يجب أن يخاض النضال بالوسائل الملائمة، فى سياق النضال الثورى المسلح أو فى

سياق التطور الثوري السلمى. كما قال الاستراتيجى الفيتنامى Vonguyen Giap فوجين جياب، يكمن جوهر قانون القوى الثورية فى ترابط القوى السياسية مع القوات المسلحة. وهذا يمكن تطبيقه على أى طريق ثورى. وكما لاحظنا سابقاً، فقد حققنا بعض النجاحات فى هذا الطريق. ولكننا لم نفعل ما كنا نحتاج فعله، أو كل ما كنا نستطيع عمله. فلم ننجح فى كسب الجيش إلى جانب الشعب، أو فى تأمين التوازن الملائم فى القوات المسلحة حسب الاعتبارات الأخرى. وحينما انقلب توازن القوى السياسية رأساً على عقب تولدت الأزمة.

وإذا أخذنا فى الاعتبار، فقط، نتيجة تجربتنا، فيمكن التأكيد، كما يفعل بعض الناس، أننا نناقش مسألة لا يمكن حلها، وهى أن الصدام المسلح لا مناص منه، دائماً. ومن ناحية أخرى لو تفحصنا تطور ثورتنا ككل، فالنتيجة مختلفة: يمكن حل القضية فى ظروف تسير فيها العملية الثورية مساراً سلمياً، بشكل أساسى، فكلما كانت الحركة الثورية مهياة أفضل للدفاع عن مكاسبها فى جميع المجالات، كان أسهل حل هذه القضية.

وتعانى الثورة التشيلية هزيمة مؤقتة. ومع ذلك، فإن هذا لا يعنى أنها لم تتحرك شيئاً من النجاحات التى أُنجزت بفضل حكومة الشعب، تلك التى كانت إبداعاً تاريخياً لشعبنا فمجهودات الرجعية لإنكارها لم تؤت أكلها. لأن التباين الماضى والحاضر مذهل، لدرجة أن العديد من أولئك الذين وقفوا حتى الأمس بعيداً عن الحركة الشعبية، أو حتى عملوا ضدها، أصبحوا اليوم، أكثر اقتناعاً بالحاجة للوحدة مع تلك الحركة. فالتحليل الاقتصادى للأحداث التشيلية، والتقييم النزيه للخطوات المتقدمة العظيمة التى خطتها الجماهير، فى تلك الفترة، تشجع، أيضاً، على الوحدة. وتنضج سياسة الحزب على أساس التمثيل العميق لدروس الماضى، التى سوف تساعد فى التغلب على صعوبات الحاضر، وفى المستقبل القريب يسترد بالتجربة بثقة. من أجل نضال أطول.

* * *

الطبقة العاملة وسياستها فى التحالف

جلاديس مارين

عضو الهيئة السياسية

الحزب الشيوعى فى تشيلى

|||||

لم يكن تولى السلطة فى تشيلى من قبل حكومة الوحدة الشعبية تطوراً صديقاً، ولا سوء تقدير من قبل الرجعيين، كما يعتقد البعض. بل كان نصراً، وتتويجاً للعمل الموحد للشعب، لعبت فيه الطبقة العاملة دوراً قيادياً من نضال إمتد عدة عقود، نضال تصاعد منذ الخمسينات وطوال الستينات.

كان ذلك حينما نما التحالف الشيوعى الاشتراكى، بشكل أقوى، وتشكل المركز العمالى الموحد (CUT)، والذى نظمت تحت قيادته إضرابات ضخمة، من أجل كل من المطالب الاقتصادية والسياسية. فحارب الفلاحون، بشكل منظم، من أجل الأرض، وسكان المدن من أجل السكن. وفتت حركة طلابية واسعة، وقوية، مع شخصيات أكاديمية من أجل إصلاح الجامعات. وباستخدام أشكال جديدة، شارك الشبان الصغار، بجسارة، تميز طابع سنهم، فى نضال كانت أهدافه تحدد حسب حاجة التفسيرات الثورية. وشاعت الحريات السياسية، بشكل مميز فى تلك السنوات، وبالمقابل كانت تتم مقرطة الحياة، فاكسب الشعب نضجاً سياسياً. وقد تشكل الوعي السياسى للناس، بشكل كبير من خلال النضال السياسى. ومن خلال الحملات الانتخابية، ١٩٥٨ - ١٩٦٤، فدعمت الجماهير سلفادور اليندى، عند ترشيحه للرئاسة.

إن سياسة حزننا الصحيحة فى ظل حكم الديمقراطيين المسيحيين - هذه السياسة التى تلتخص فى توحيد جميع التقدميين والديمقراطيين من بين قوى المعارضة

والحكومة، ومقاومة الرجعيين فى الحكومة والمعارضة مكنتنا من أن نعرض أمام الجماهير، بأن وعود الحكومة فى الإصلاح كانت خداعاً، ودعوتهم لتوجيه اهتمامهم إلى المشكلات السياسية والاجتماعية الملحة. وكانت هذه المشكلات التى أثارها معظم فئات الشعب المختلفة هى: استعادة الشروات الطبيعية التشيلية، أولها مناجم النحاس الأساسية. وإصلاح قانون حقوق الملكية، والقضاء على نظام العزب الكبيرة من خلال إصلاح زراعى بعيد المدى، وتوفير وظائف جديدة، والقضاء على التخلف، واتخاذ خطوات لتأكيد تطور البلاد، كدولة مستقلة.

أصبحت القناعة بأن تشيلى تحتاج إلى تغييرات اقتصادية وسياسية عميقة، جزءاً من الوعي الاجتماعى لمعظم التشيليين. ووجدت انعكاساتها فى سياسة الأحزاب التى التحقت، فيما بعد، بالوحدة الشعبية، وأيضاً فى عواطف معظم المسيحيين الديمقراطيين والمستقلين.

كان يسود مناخ من الاضطرابات فى أواخر ١٩٦٩، حيث برزت إلى الوجود كتلة الوحدة الشعبية. فكان برنامجها يتماشى مع مصالح أغلبية السكان، وكان يدعو إلى تغييرات عميقة فى المجتمع التشيلى.

فأقيمت الوحدة الشعبية، بشكل رئيسى، بمبادرة الشيوعيين فكان للحزب برنامج سياسى مقنع، قدم تقييماً صحيحاً للوضع، وبين من هم الأعداء الأساسيون، واستخلص بأن تحالفاً واسعاً للقوى التقدمية كان ضرورياً لعزل الرجعية.

وقدم كل من الحزب الاشتراكى، والحزب الراديكالى، والمسيحيين الديمقراطيين الذين انسحبوا من حزبهم وشكلوا حزب MAPV (الحركة من أجل العمل الشعبى الموحد)، مساهمة حاسمة فى تشكيل الوحدة الشعبية.

وقد تحقق النصر، فى ٤ أيلول ١٩٧٠، أساساً بواسطة الطبقة العاملة والفلاحين الأكثر تقدماً، وبالتحالف مع القوى الثورية للبرجوازية الصغيرة فى المدينة، وقسماً كبيراً من الفئات الوسطى. وكان من الضرورى تقوية التحالف، وزيادة الدور القيادى للطبقة العاملة، وتعزيزها بحلفاء من فئات سكانية جديدة وذلك من أجل تقدم أكثر.

وكانت سياستنا في التحالف مبنية على أساس الدراسة العميقة للواقع. إن السيطرة الامبريالية، ووجود اوليجاركية الاحتكارات، ومالكي الأرض الذين تسير مصالحهم ضد مصالح الأغلبية الساحقة من السكان، التي هي جذر التناقضات الأساسية المطلوب حلها في تشيلي. وكانت الطبقة العاملة في حاجة إلى التوصل للاتفاق على صيغة مع جميع الفئات الاجتماعية، التي كانت مصالحها تتأثر في السيطرة على الامبريالية والاوليجاركية المحلية، أو على الأقل تحييد هذه الفئات أو تلك. وكان للقوى الشعبية تجربة معينة تمكنها من الوصول إلى هذا الهدف، الذي نما، بشكل ملحوظ، بسبب التحالف الذي شكلته تيارات عقائدية متنوعة - ماركسيين، مسيحيين، عرقيين - من أجل انتخاب الليندي، وتطور التحالف، بسرعة، كنتيجة للبحث المستمر عن أرضية مشتركة، وبالتأكيد على ما طرح من أجل الوحدة في النضال ضد العدو المشترك، وتعزيز نضالية الشعب. فشكلت خمسة عشر ألف فرع للجان، خلال الحملة الانتخابية. التي كانت حدثاً سياسياً طارئاً، يملك إمكانيات هائلة، من أجل تفعيل التغييرات الثورية. ففى هذه الظروف كان من الضروري التقدم إلى الأمام، مع التمسك بفكرة لينين، القائلة «لا يمكن قهر العدو بقوة أكبر، إلا بممارسة مجهودات أكبر، وبدقة، وعناية، وبقظة، ومهارة أكثر، مع الاضطرار إلى استخدام أى تصدع، مهما كان صغيراً في صفوف الأعداء... وأيضاً، الاستفادة من أى فرصة، مهما كانت صغيرة، لكسب تحالف جماهيري، حتى ولو كان هذا التحالف مؤقتاً، متذبذباً، وغير ثابت، وظرفياً» (*).

كان تنفيذ سياسة عامة تجعل الطبقة العاملة القوة المحورية والمحركة للتغيير الثوري، جوهرية من أجل تقوية وحد: الطبقة العاملة ذاتها، ومن ثم جميع العاملين بأجر، الذين بالمقابل، كان عليهم أن يساهموا في تشكيل تحالف وطني عريض من القوى الشعبية حول الطبقة العاملة. كان هذا التحالف مبنياً سياسياً، على أساس وحدة العمل بين الشيوعيين والاشتراكيين. فوحدة النقابات أخذت قوة

(*) لينين، مجلد ٣١، ٧٠٢ - ٧١.

دفعها من تشكيل مركز العمال الموحد (CUT). فتجلت قوة تأثير القوى الثورية على العمال حينما أنشئ المركز العمالي الموحد سنة ١٩٧٢، وانتخبت قيادية، بالانتخابات المباشرة. فمجموعات كبيرة من الأصوات (٣٢٥٪، ٢٦٪، تقريباً) دعمت النقابيين الشيوعيين والاشتراكيين، وكان لكل من الراديكاليين والحركة من أجل العمل الشعبي، ممثلوهم.

وأظهرت الانتخابات، أيضاً، أن الحزب المسيحي الديمقراطي (CDP) ما زال له نفوذه في صفوف العمال (اقترح له ٢٥٩٪ من الأصوات). وتم ذلك في الوقت الذي تكشف فيه العمل التنظيمي، بصورة كبيرة، ومع ذلك، ما زالت أعداد كبيرة من العاملين بأجر دون تنظيم. بالإضافة إلى ذلك، كان هناك العديد من المشاريع الصناعية الصغيرة، وورش الحرفيين، التي تستخدم ٣٩٪ من قوة العمل في الصناعة، هذا حسب إحصائيات سنة ١٩٦٧ - ١٩٦٨. وكان هناك، أيضاً، النمو السريع لنسبة العمال الأجراء، بسبب تدفق العمل من الطبقات والفئات الاجتماعية الأخرى، وبالأساس من الفلاحين، ويرجع، أيضاً، إلى تدفق الشباب الصغار، الذين بدأوا حياتهم في العمل حديثاً، فقط، وازدادت قوة العمل القومية بنسبة ١٦٪، من خلال سنوات خمس، فقط، (١٩٦٦ - ١٩٧١). فكلما هذين الواقعين كانا يستلزمان تعزيز القوى في حركة النقابات، ويستلزمان جهوداً حديثة للتنوير الاجتماعي لهؤلاء الذين التحقوا في صفوف الطبقة العاملة حديثاً.

لم يكن سهلاً، في عملية التغيير تلك، كسب الأغلبية في صفوف العمال. فارتكبت عدة أخطاء. فلنأخذ في المجال الاقتصادي، مثلاً، تولدت حسابات خاطئة في سياسة الوحدة الشعبية، خصوصاً الميل لتبديد نسبة من إمكانيات البلاد. فسياسة تثبيت الأسعار تناقضت مع المطالب الاقتصادية الملحة، التي تتصادم مع برنامج زيادة الأجور، الذي تصوره كل من الحكومة الشعبية والنقابات. حيث أن خطة ١٩٧١ طرحت زيادة الأجور بمقدار ٤٠٪ (التي تزيد على معدل ارتفاع الأسعار). فمتوسط الزيادة الفعلي يزيد على ٥٠٪. وعلى عكس السياسة التي اختطتها الحكومة، رفع كثير من المشاريع الأجور إلى ١٠٠٪، ٢٠٠٪. وحتى ٥٠٠٪. وهذا فوق مؤشرات الخطة. فأمسكت الرجعية الخيوط بيديها، لتتابع

سياستها فى زعزعة الاستقرار تماماً، كما كان متوقعاً. فحتى أولئك الذين كانوا، دائماً، ضد مطالب العمال، يؤيدون الآن بحماس المطالب الأكثر لا معقولية.

وبالطبع، كان العائق الأكبر هو دوائر نقابية معينة، تدعم الحكومة، ولكنها فشلت فى التأكد بأن الوضع قد تغير. فالتصقت بشعارات الماضى الداعية إلى الاضطرابات الاقتصادية. فاستفادت من الإهتمام الذى توليه القيادة الوطنية الجديدة لحاجات العمال، وكذا التحرر من أساليب المستخدمين التحكمى.

وتبين التجربة أن مطلب وجود ظروف اقتصادية أفضل، ومطالب أخرى معينة، التى هى، عموماً، تعبير. عن نضال العمال ضد الطبقة الحاكمة، ويمكن استخدامها بواسطة تلك الطبقات لمآربها الخاصة، إذا فقد العمال رؤية الوضع الشامل، من خلال تشكيل الحكومة الشعبية.

وتبين الأحداث فى تشيلى، أيضاً، أن الانتهازية اليمينية واليسارية تستطيع، موضوعياً، الالتقاء، فى مثل هذه الظروف. ونعتقد أن هذا ليس عرضياً، بل نموذجى جداً. ومن السهل تكراره فى المفاصل الحرجة. فالتنافس بين الاتجاهات اليسارية المتطرفة واليمينية داخل وخارج الطبقة العاملة، من أجل صياغة شعارات متطرفة، يضيف دليلاً على الحاجة لمقارعة الانتهازية.

وتشير تجربتنا، بأن مثل هذا النضال، بعيداً عن ... إضعاف وحدة عمل العمال، ومأسكهم، لازم وضرورى لتأكيد وحدتهم، ويساعد أولئك الذين تأثروا بالانتهازيين الذين التحقوا بالحركة الموحدة. واستفاد المتآمرون الانقلابيون، بالتأكيد، فى تخطيطهم من استغلال الانتهازية، واستغلت فعلاً، وخصوصاً لمساندة اضرابات المستخدمين، فى تشرين أول ١٩٧٢، وتموز وآب ١٩٧٣.

وأنشئت الميول الانتهازية، بالاعتماد على العوامل التى ذكرناها: بنية قوة العمل ذاتها، وتدفق قوة عمل جديدة بأيدىولوجيتها الخاصة. إضافة إلى ما ارتكبهته القوى الثورية من أخطاء، أثناء نشاطها بين العمال، فالجناح اليميني للانتهازية، وأيضاً، اليسارية المتطرفة كان لهما سند جماهيرى معين، ومع أنه ليس كبيراً جداً، إلا أنه كان قوياً، إلى حد ما.

كان ضرورياً، لدفع العملية الثورية إلى الأمام، عبر الصراع الأيدىولوجى ضد

المؤثرات الغربية عن الطبقة العاملة، تجنيد العمال، وتعبئتهم من أجل المساهمة الواسعة في إدارة الاقتصاد والحكومة، وفي نشاط كل قطاع اجتماعي وطبقاً لهذا، رفع حزيناً، مراراً، قضية سياسة الطبقة العاملة في مجرى تحول الاقتصاد التشيلي. وأظن أنه لمن المفيد تقديم فكرة عن التوجه الفعلي للحزب نحو هذه القضية.

فمعركة الإنتاج، لن تكون معركة، ما لم توجد خطط محددة، وأهداف، دقيقة، ومساهمة أساسية للطبقة العاملة. فحينما نتحدث عن الخطط، فإننا لا نعنى حسابات تجريبية، أو صياغة تنبؤات حسب الشروط البضائية في ظل الرأسمالية. فطرحنا خطأ، تضع مهاماً محددة، وتشمل تقديرات بالنسبة للإنتاج، والتسويق، والاستثمار، والتمويل وقوة العمل، وإنتاجية العمل، متوسط الأجور، الصادرات، والواردات، والمعايير الاجتماعية، والثقافية، واستخدام الفائض. فبدون هذه الخطط لن نستطيع تحقيق الاستقرار اللازم لرفع الإنتاجية وتأمين الاستثمارات في القطاع العام للعمل على أساس الربح.

ويجب ألا ينظر إلى صياغة وإنجاز هذه الخطط على أنه أمر بيروقراطي. بل يجب أن تغدو عملية أعدت خطوطها المرشدة طبقاً للمعايير العملية، لتشكل أساساً لصنع القرارات، مع أوسع مشاركة للعمال. فيجب أن يخصص، ضمن هذه الخطط تقارير شهرية للأقسام، حتى يتمكن كل عامل، وكل فني من تفهمها، ويعملون على تأمين إنجازها. وتقدم مجالس الإدارة تقريراً شهرياً للجلسات العامة للعمال، حول التقدم في تنفيذ هذه الخطط. فبدلاً من تعسف صاحب العمل، ويتقدم العمال بمطالبهم. يجب أن تكون الطريق معدة في القطاعات العامة والمختلفة لاتفاقيات ديمقراطية حول خطط العمل والأجور، وتخطط بالتعاون مع النقابات كمثلية لإدارة الطبقة العاملة في دورها الجديد كقوة قائدة للبلاد لتحمل المسؤوليات الثورية والوطنية (*).

لم تكن سياستنا مجرد صياغة نصوص عامة. بل عملنا الكثير من أجل وضعها موضع التطبيق. فسجلنا مكاسب لا يرقى لها الشك، مثلاً في كثير من

Yarar, Textil Progreso, Madeco,, Socor, Inmar(*)

المشاريع والاستثمارات الأخرى، أدبرت بكفاءة طبقاً للخطوط التوجيهية العامة للحكومة، حيث أصبحت مساهمة العمال في الإدارة واقعاً، وساهمت هذه في التنظيم والعمل الأفضل والأرباح الكبيرة. وجدير بالملاحظة، أيضاً، بأن جهوداً قد بذلت لتنظيم آلية الاكتتاب بالأموال، وتخطيط الإنتاج، والحوافز المادية، والاستخدام المخطط لتداول النقد الأجنبي، في كل من القطاعين، العام، والمختلط.

وكانت الخطوات التي اتخذتها حكومة الليندي في هذا المجال ذات أهمية تاريخية، إذا ما نظرنا إليها على أساس خلفية الوضع في تشيلي، في ذلك الوقت. وأما من وجهة نظر هذه الأيام فإنها مع ذلك تعتبر محددة جداً.

وقد نجحت الحكومة في دفع العمال إلى الإدارة، في عديد من المشاريع وأبدعت قنوات جديدة للتوزيع، وكان للنتائج رأي في معظم القضايا القومية وكان هذا مهماً بالنسبة لتقدم الأمة، وساعد على تبنى الطبقة العاملة لوعي اجتماعي،، وتقديم أشكال جديدة من انضباط العمل، بدلاً من الانضباط المبني على الاستغلال الرأسمالي. وكانت الحكومة ناجحة أولاً، حينما تولى العمال المسؤولية الكبيرة في الإدارة، ولكن في حالة عدم ممارستهم مسؤولياتهم، وقفت الحكومة ضد مظاهر الفوضوية التي أضرت بالإنتاج، ولكن الضرر الأكثر خطراً كان التقليل من هيبة الحكومة. وهذا ما منع الاستفادة في مزايا التغييرات البنوية المبكرة، التي أثرت في البلاد لصالح الشعب. فكان لطرح أشكال جديدة لمشاركة العمال في الإدارة من خارج النقابات تأثير سلبي، أخر الاندماج الفعلي للعمال في الإدارة، وأدى إلى نظرة خاطئة، وهي أن النقابات لن يكون لها ما تفعله بالنسبة للإدارة، بل يجب أن تحصر دورها في تقديم المطالب الاقتصادية.

ومع ذلك، تطورت ميول عديدة أخرى، ساهمت في وحدة العمال، وتنشيطهم، هذا بجانب الميول التي كانت تقلل من أهمية مساهمة العمال في الإدارة وأكد التطبيق الثوري على صحة الاستنتاج القائل بأن هذه التغييرات سهلت وعجلت في رفع وعي الناس الاجتماعي، هذا ما أكدته التجربة التشيلية، حيث لعبت الطبقة العاملة دوراً حاسماً في الأوضاع الصعبة جداً بالنسبة للحكومة. فخلال

إضراب أصحاب العمال، فى تشرين أول سنة ١٩٧٢، الهادف إلى شل الصناعة، تقدم العمال واستأنفوا الإنتاج، بعد فترة قصيرة وكان لدى الحركة الثورية فرص جديدة، بالرغم من الصعوبات. وكانت الحقائق التى هازت على رضى العمال، هى أنهم أكفأ لإدارة المشاريع بأنفسهم. وهذا دليل على أن تشكيل القطاع العام كان نتيجة للأعمال الرئيسية للعمال. ومع ذلك ففى بعض الحالات، كانت الحكومة تفشل فى تحويل مشروع ما إلى القطاع العام، لأنها لم تكن قادرة، فى الغالب، على الوصول إلى اتفاقية مع العمال.

واتخذت مساهمة العمال فى الإدارة أشكالاً أكثر وضوحاً فى المشاريع المؤتممة. أما بالنسبة للقطاع الخاص، فلم توجد أشكال ملائمة لمساهمة العمال، إلا أن العمال، مع ذلك، قد أنشأوا لجنة للإشراف على الإنتاج، وللتأكد بأن أصحاب العمل لا يتصرفون عكس المصلحة القومية.

وكان المطلب الملح من أجل النجاح هو الفهم المتبادل بين الاشتراكيين والشيوعيين والعمل المشترك بواسطة الوحدة الشعبية. ولكن الافتقار إلى قيادة موحدة أدى إلى إضعاف القوة الثورية للعمال وأفسح المجال لانتشار ميول غريبة فى صفوف الطبقة العاملة.

وكان على الطبقة العاملة، من أجل إنجاز دورها كمركز للوحدة التى تشكل القوة المحركة للتغيير الثورى، أن تعبر عن مصالحها الخاصة، وتتمسك بها، وكذا مصالح تلك الطبقات والفئات الاجتماعية الواجب توحيدها حولها. فكانت المهمة الأولى هى تعزيز تحالف العمال والفلاحين، إذ لم يكن قوياً بالدرجة الكافية، حتى ذلك الحين، ومع ذلك أصبح سكان الريف، فى الستينات، أكثر تنظيماً، وكان النضال فى الريف فى حالة نهوض. فالتغييرات التى حدثت كانت مهمة جداً. فازداد عدد إضرابات العمال الزراعيين، فى ٣ إضرابات، سنة ١٩٦٠، إلى ٣٩ إضراباً، سنة ١٩٦٤، وإلى ٦٩٣ إضراباً، سنة ١٩٦٧، وإلى ١٥٨٠ إضراباً، سنة ١٩٧٠. فبعد قانون الإصلاح الزراعى تحققت الشرائح المتقدمة من سكان الريف بأن عمق العملية سوف يعتمد على نشاطهم، ففى سنة ١٩٧٠، أصبحت ٣٦٨ ملكية زراعية ملكاً لأولئك الذين كانوا يعملون فيها، وكان ذلك نتيجة للنضال

من أجل الإصلاح الزراعى بشكل رئيسى.

وحدث تغيير، أيضاً، ذو مغزى، يعادل الإصلاح الزراعى، وهو تنظيم سكان الريف، فارتفعت عضوية اتحاد الفلاحين، من ١٠٣٦٤، سنة ١٩٦٩، إلى ٢٧٧٨٩٥، سنة ١٩٧٢، وتميز النمو، بشكل كبير، فى المنظمات التى قادها الشيوعيون والاشتراكيون. وكنتيجة لذلك، كسبت الوحدة الشعبية، وفى المقدمة الشيوعيون، نفوذاً كبيراً فى المناطق الريفية خلال الانتخابات العامة، سنة ١٩٧٣.

دون شك، فما تحالف العمال والفلاحين، بشكل أكثر فى ظل حكم الوحدة الشعبية (وكذلك فى ظل إدارة فرى Frei، التى بادرت بالإصلاح الزراعى). واندمج، فى الوقت ذاته، عدد أكبر من سكان الريف فى الشئون القومية، فأتخذت الحكومة والشيوعيون فى المقدمة، عديداً من الإجراءات لمساعدة الريف، وخصوصاً سنة ١٩٧٣. واتجهت الحملة من أجل الإنجاز الكامل للإصلاح الزراعى، ضد مالكي العزب الكبيرة، أولاً، وكانت هذه الحملة ذات أهمية فائقة حيث كان لنتائجها تأثير على مجمل عملية التطور الديمقراطى. لأن العزب الكبيرة (اللاتيفونديات) كانت تشكل حاجزاً أمام تطور الزراعة، وأيضاً أمام تقدم البلاد، ككل.

ولكن بينما تم التوصل إلى مكاسب بعيدة المدى، ستظهر فعاليتها فى المستقبل، إلا أن سياسة الحكومة الشعبية فى المسألة الزراعية لم تنج من الحسابات الخاطئة. فلم تزود الحكومة جميع الفئات المدونة فى برنامجها بالطعام، فاستفاد من الإصلاح الزراعى، بشكل رئيسى، العمال الزراعيون وأشباه البروليتاريين. ولم يكن هذا إنجازاً كافياً. لأن الفائدة يجب أن تعم الفلاحين الصغار وأشباه البروليتاريين، الذين كانوا يملكون قطعاً من الأرض أكبر نوعاً ما. وكان يجب عدم إهمال مصالح جميع الفئات التى يمكن أن تستفيد، بشكل محدود من سياسة الحكومة الشعبية، وتلتف حولها، وتدعمها كنتيجة لذلك. «هناك ما يربو على ٢٠٠ ألف قطعة أرض مستأجرة، أصغر من قطع الأرض التى أقيمت من فئة الـ ٤٠ هكتاراً». قال ذلك لويس كورفالان، فى تقريره للجنة المركزية، التى انعقدت فى أغسطس (آب) ١٩٧٢، لمناقشة المسألة الزراعية، «التي يعمل

فيها مئات الآلاف من التشيليين. فلن نستطيع إمداد البلاد، إذا ما تخلينا عن محصولهم. فإذا كانت حكومة الوحدة الشعبية وسعت مساعدتها لهم بالاعتمادات، فإن هذا ليس كافياً، إذ من الضروري مساعدتهم في تنظيم تعاونيات، ومنحهم قروصاً أكثر، وزيادة مشتريات الحكومة لمنتجاتهم، بفاعلية أكثر ... وفوق كل هذا، أن تقدم الضمان الواقعي لتأمين استمرار استئجار الأرض.

ويجب أن يصبح الفلاحون الصغار والمتوسطون حلفاء للعملية التاريخية الجارية في تشيلي. فأى إنسان أخرق يدفعهم إلى الجانب الآخر، ما هو إلا مضاد للثورة» (٢).

فالناتج التي نستطيع، الآن، إجمالها تبين أن هذه السلبيات لم تخر إزالتها، تماماً، بأى وسيلة. فتفاقم الوضع لأن عديداً من المالكين كانوا يشعرون، بشكل متزايد، بالقلق، للأعمال التي يثيرها اليساريون المتطرفون، بهدف الاستيلاء على الأرض، التي لم يشملها قانون الإصلاح الزراعى. فاستخدمت الرجعية هذا في دعايتها، ولم تتصد الحكومة، دائماً، لهذه الأعمال، بشكل صحيح.

وكانت الحكومة، لسوء الحظ، أيضاً، تجهل رأى الفلاحين من الناحية السياسية والاقتصادية، أثناء تنفيذ قانون الإصلاح الزراعى، وحاولت فرض أشكال تنظيمية من أعلى، متخطية مراحل معينة في عملية إنشاء التعاونيات الزراعية. ففي آب سنة ١٩٧٢، تحدث الحزب عن أمور الدولة، فأعلن:-

«نستطيع استخلاص بعض النتائج من التجربة في هذا المجال لا الإصلاح، (Asentamientos)، الذي أقامه المسيحيون الديمقراطيون، ولا مراكز الإصلاح الزراعى، التي أقيمت في ظل الحكومة الحالية تُرضى، بشكل كامل، الفلاحين ... فنعتبر أن المهمة الأساسية، التي لا تحتل التأخير، هي مراجعة جميع تلك الأشكال التنظيمية، ونأخذ في الحسبان رأى الفلاحين ومصالحهم، بدون تقصير، لأن هذا هو الطريق الوحيد لكسب تأييدهم في تنفيذ المهام الكبيرة، التي تواجهنا في الويف» (٣).

هذه هي إحدى القضايا التي لم تحل، بشكل سليم. وكانت السلبية الأخرى هي أنه في البحث عن أشكال جديدة لتنظيم الإنتاج والملكية ركز الاهتمام، كلياً، على

القطاع الذى نفذ فيه الإصلاح الزراعى. ولم تخرج محاولات جديدة لتشجيع تطور الأشكال التعاونية للمالكين الصغار، مستأجرى الأراضى، كما تم تصور هذا الأمر فى البرنامج الأساسى لحكومة الوحدة الشعبية. فاستغل المتطرفون اليساريون هذه الحسابات الخاطئة. فكانت بعض تحركاتهم إنعكاساً للمشكلات الواقعية لشرائح متنوعة من سكان الريف، ولكن الحلول التى قدموها كانت خاطئة. فكان «الجوع للأرض» الذى يؤثر فى جزء جوهري من سكان الريف يتطلب أشكالاً جديدة لتنفيذ الإصلاح الزراعى، مع الأخذ بالاعتبار مصالح جميع الفئات الاجتماعية. ففى تشيلى، كما هو فى بعض البلدان الأخرى، فى أمريكا اللاتينية، التى حققت تفاهماً متبادلاً مع الفئات الوسطى الريفية، كان هذا أمراً ذا أهمية متنامية بالنسبة لسياسة التحالف. لأن القوة العددية لهذه الفئات، وما هو أكثر أهمية، فعاليتها السياسية المتزايدة التى كانت تلعب دوراً.

وكان عدد سكان المدن ينمو، على حساب سكان الريف. ففى عام ١٩٧٠، وصل إجمالى عدد سكان الريف النشطين اقتصادياً، فقط، ٢٣ و ٩٪. وعددياً فإن الفئات الوسطى هى التى تلى الطبقة العاملة فى عددها (بالنسبة للسكان، ككل). فبنية هذه الفئات مبرقشة جداً لأن بعضاً منها تشكل نتيجة للمحافظة على الإنتاج ما قبل الرأسمالى، بينما تطور الآخرون فى ظل أسلوب الإنتاج الرأسمالى.

ففى عام ١٩٦٨، كان أكثر من ٩٤٪ من الصناعة التشيلية يتكون من ورش الحرفيين والمعامل الصغيرة، التى يستخدم كل منها حتى ٤٩ عاملاً. هذه الشريحة من الفئة الوسطى - الحرفيين وبعض عمال المانيفاكتور الصغار - كانوا يستغلون بواسطة المجموعات الاحتكارية، والاوليغاركية المالية. فخلصتهم التغييرات، التى نفذتها حكومة الوحدة الشعبية، من الاستغلال، وهذا يعنى بأنه كان ينبغى أن يرحبوا بها، أو على الأقل اتخاذ موقف طبيعى منها. فجميع الإجراءات المبكرة للتغييرات البنوية، نفذت فى وقت كان فيه توازن القوى ملائماً، فلتعزيز هذا الوضع، كان من الجوهري ليس فقط تحويل القطاع العام المتطور إلى القطاع الأكثر ديناميكية، بل بإقامة علاقات من نمط جديد مع المشاريع الخاصة،

والتي لها مع كل مشروع من القطاع العام ارتباطات خاصة، وأن الكثير من مشاريع المجموعة الثانية (الخاصة) تعتمد على القطاع الأول، من ناحية المواد الخام.

فازدادت أرباح أصحاب المعامل الصغيرة والمتوسطة، الذين لا يعتبرون أن هذا جاء نتيجة للتغيرات التي حدثت في البلاد. فتحول كثير منهم، في الواقع، إلى التوجه للربح الفاحش عبر صفقات السوق السوداء (شجعت هذه التطورات بواسطة سياسة زعزعة الاستقرار الرجعية). وكانوا يعتبرون الإجراءات المقيدة التي اتخذت ضد هذه الممارسات برهاناً على وجود «كوابح» أمام نشاطهم. وأكدت التجربة التشغيلية فكرة لينين حول أن هذه الفئات تتذبذب بين الرغبة في التخلص من أغلال الرأسمال الكبير، والفرع في التغيير الثوري.

فشلت القوى الثورية في أن تثبت لهم بأن التقدم الذي حدث كان نتيجة التغيرات التي نفذت وذلك بالرغم من الفرص التي قدمت لهم من أجل النمو والنشاط. وفشلت في إقامة علاقات وطيدة ذات نمط جديد، بين الدولة والقطاع العام والاستثمارات الخاصة. ويرجع الافتقار للتفاهم المتبادل وللمبالغة أيضاً، في إقامة القطاع العام. وشارك في إضراب أصحاب العمل، أيضاً، جزء كبير من البرجوازية الصغيرة وكثير من الحرفيين. الذين ضلوا بواسطة الشعارات الديماغوجية الرجعية: «الدفاع عن الملكية»، والمطالبة «بالحرية»، بينما الهدف الواقعي لمشيري الإضرابات كان تمهيد الطريق للثورة. والآن، في ظل الحكم القاشي، قضى بشكل كبير على الصناعات الصغيرة والمتوسطة، وحتى الكبيرة (غير الاحتكارية)، وهذا دليل بأن مصالحهم الأساسية لم تحترم، فقط، إلا بواسطة الحكومة الشعبية.

تصبح الفئات المدينية الوسطى الجديدة، التي ما زالت في طور التكوين، أكثر نشاطاً، من الناحية السياسية، بالمقارنة مع الفئات الوسطى المدينية الأخرى. فالطلاب وأعضاء المهن الحرة والمثقفون وبعض ضباط الجيش الذين يصنفون. ضمن هذه الفئات، يشكلون قوة دفع اجتماعية متزايدة.

تطور تحالف متين بين العمال والطلاب، وتعمقت علاقاتهم المتبادلة، حينما

كانت الحكومة الشعبية فى السلطة. فساعدت حركة الطلاب، عموماً، الحكومة، بطرق مختلفة. إلا أن هذا جانب، فقط، من العملية المعقدة، حيث ساندت جماعات طلابية المعارضة، التى أصبحت أكثر عدوانية. أما المثقفون، فكان لدى الكثيرين منهم، أيضاً، وجهات نظر تقدمية، بشكل أساسى، فوجدت أفكارهم الخلاقة تعبيرها فى كثير من الأشكال المتنوعة، فى ذلك الوقت، واختلف الوضع بالنسبة لمنظمات الحرفيين، إذ أصبح بعضهم أدوات فى أيدي العناصر الأكثر رجعية. وأما ضباط الجيش، فكان بينهم تيار ديمقراطى خسر قاعدته، حينما ساد الوضع العام، وخصوصاً لم يبدل أى جهد لتعزيز علاقات هذا التيار مع القوى الداعمة للحكومة. وكان الصراع بين الشوريين والمضادين للثورة، من أجل توازن قوى أفضل، يهدف، بدرجة ملحوظة، إلى كسب الفئات الوسطى. ولكن الطبقة العاملة فشلت فى السعى، بحزم، من أجل تحقيق مطالب هذه الفئات، مستغلة المواقع التى سيطرت عليها، فى ظل الحكومة الشعبية.

وتعلمنا التجربة كم كان مهماً جداً أن نتذكر طبيعة التغييرات الجارية فى تشيلى، وطابع الثورة الديمقراطية، ولهذا لم يكن ممكناً إجراء محاولات لتخطى المراحل، وعلينا أن نحلل بعناية، المساهمة التى تستطيع أن تقدمها هذه الفئات التى ارتطمت بالتناقضات الموجودة، وعلينا دراسة إمكانيات سير العملية الثورية إلى مرحلة أعلى، بدعم الأغلبية.

وكانت سياسة التحالف الصحيحة، تتضمن تفاهماً متبادلاً بين الوحدة الشعبية والحزب المسيحى الديمقراطى، وهو حزب متعدد الطبقات، وله مواقع قوية فى صفوف الفئات الوسطى وله نفوذ مؤثر بين العاملين بأجر وكان الحزب قد صوت فى مجلس النواب من أجل التصديق على انتخاب الليندى للرئاسة، ووافق، أيضاً، على تأميم مناجم النحاس الرئيسية، هذا الإجراء الذى وافق عليه البرلمان، بالإجماع.

كان تحقيق التفاهم المتبادل، من وجهة نظر الحكومة الشعبية، يعنى المساومة، وبذلت جهود محددة لهذا الغرض، ولكنها فشلت بسبب مقاومة كل من الحزب المسيحى الديمقراطى والوحدة الشعبية. وكانت المعارضة تتألف من البرجوازية

وبعض شرائع البرجوازية الصغيرة، التي كانت تخشى، فى النهاية، إمكانية تقوية مواقع الطبقة العاملة. وأما من الناحية الأخرى، فكانت المصارضة تتضمن قوى التطرف اليسارى الذى يعتبر كل مساومة تراجعاً، وينوا موقفهم هذا على أساس فرضية زائفة تقول إن المهمة هى التعجيل بالتغييرات الاشتراكية، حتى ولو كانت تفتقر إلى المقدمات السياسية والاقتصادية ومع ذلك، كان يمكن التنبؤ بهذه المعارضة، تماماً، وإزالتها من خلال العمل الدؤوب بين الجماهير.

وكما نعرف من تجربتنا، فى تشيلى، فإن إنجاز التفاهم المتبادل يجعل من الممكن تقدم الثورة. فكان نجاح الجهود لإقامة جبهة ديمقراطية واسعة يعتمد على إجراء بسيط تجاه القوى التى كانت خارج الوحدة الشعبية، وهو اعتماد توجه واسع تجاه هذه المسألة، يعتمد، أيضاً، على طبيعة الميول التى تتطور بين الجماهير، بما فيهم المسيحيون الديمقراطيون. فطرحت قيادة الحزب الشيوعى النقاط التالية، حول إمكانية ضرورة العمل المشترك مع المسيحيين الديمقراطيين:

«بالتأكيد هناك الكثير مما فرق وما زال يفرق بين الماركسيين والمسيحيين الديمقراطيين، ولكن لدينا، أيضاً، مصالح مشتركة، وأحد الدروس الواضحة والجليّة فى تاريخ بلادنا هى نجاحنا فى إشاعة العمل المشترك، وتحقيق الوحدة حول المسألة الأساسية. فكانت النتيجة مكاسب محددة للشعب ...

«هذا وجه واحد للعملة، ولكن الوجه الآخر هو، لأن الحزب المسيحى الديمقراطى هو حزب متعدد الطبقات، فغالباً ما تشعر هذه الطبقات بتعارض مصالحها. وهذا يفسر لماذا، فى كل مرة، تفوز فيها القوى الطائفية المرتبطة بالاحتكارات، تجد دعماً قيمياً من المظاهر الطائفية بين قوى التطرف، اليسارى، حتى تصبح هى صاحبة اليد العليا فى قيادة الحزب المسيحى الديمقراطى، فكانت النتيجة الانشقاق، أو حتى النواجيه، حيث تصبح الانقسامات تخدم المصالح الرجعية.» (٤).

يقول الحزب الشيوعى، بوضوح، كما نرى، فقد كان من الضرورى القتال من أجل الوحدة مع جميع القوى المعادية للفاشية. وشدد، أيضاً، على أهمية النضال الأيديولوجى ضد أولئك الذين يعيقون أو يعارضون الجهود للوحدة، أما النضال

من أجل الوحدة، الذي يلعب فيه الحزب الشيوعي دوراً ملحوظاً، فلا يتضمن الامتناع عن الصراع الأيديولوجي أو نسيان المهمة المركزية، وهي تقريب المواقع من بعضها البعض، لزيادة إمكانيات التحالف.

وليس هناك من سبب تصحيح فيه الاختلافات الموجودة بين الحزب المسيحي الديمقراطي والوحدة الشعبية، تناهرية، وخصوصاً إذا نظرنا إلى الأمر من ناحية التركيب الطبقي للحزب المسيحي الديمقراطي. فأولئك الذين يعارضون سياسة الطبقة العاملة في التحالفات كانوا يقولون إن الطبقة العاملة تتخلى عن دورها القيادي، ولن تعود قادرة على العمل، بشكل مستقل. بمعنى آخر، ركز الاهتمام على تناقضات وهمية وغير موجودة. وبعد كل هذا، فلن تستطيع الطبقة العاملة أن تصبح قائدة مرسوم، بل كنتيجة للتعاقب المتبادل بين الطبقات والفئات الأخرى، ويعتمد هذا على كيفية قيامها بنشاطها، وكيف تصبح مصالح هذه الطبقات والفئات هي أيضاً مصالحها. وهذا لا يتناقض مع النشاط المستقل لحزب الطبقة العاملة، بل يجعل من استقلاليته ضرورة. فالوحدة داخل التحالف ترتبط بالصراع، وخصوصاً حينما يتشكل التحالف من قوى أكثر تنوعاً.

فمن أجل تقوية الحزب، لا بد من تعزيز نفوذه، ونشر الماركسية اللينينية، وهذه مهام يؤدي إنجازها إلى ضمان توسع وتعزيز التحالف. وهذا لا يشمل ضمناً، الاتجاه الفئوي ولا يفترض، مسبقاً، وضعاً استثنائياً بالنسبة لنا، ولا نعتق نمو أحزاب الجبهة المتحدة. فتقوية الحزب الشيوعي ليس هدفاً أنانياً، في حد ذاته، بل ضرورة موضوعية تخدم التقدم الاجتماعي. وبالتالي، فالوحدة الأقوى تتعلق مباشرة، بنمو نفوذ الشيوعيين لأنهم لا يكسبون الحلفاء من خلال سياستهم وأيديولوجيتهم وحسب، بل من خلال قوة تنظيماتهم، أيضاً.

وما زال هذا الأمر أكثر جوهرية، وبالنسبة لحزب الطبقة العاملة لا بد من الحفاظ على استقلاله الطبقي. داخل الجبهة المتحدة، وتوسيع نفوذه الأيديولوجي، أيضاً. وأكدت الفترة التي نحللها على صحة ذلك، ويمكن الوصول إليه بتوجيهنا إلى الجماهير، دائماً، فنتحدث إلى العمال، بصدق، ونساعدهم في التغلب على المصاعب ونصل معهم إلى حلول صحيحة لقضاياهم. وهذا ما تعلمنا إياه تجربتنا.

فتسمية مرشح مشترك للقوى الشعبية، سنة ١٩٧٠، وصياغة برنامج موحد وتحديد أولويات أساسية لنشاط الحكومة الشعبية، تم كل هذا بالمشاركة النشطة للشعب، الذي لعب دوراً حاسماً في التغلب على الصعوبات . ومع ذلك فلم تستمر الحكومة معتمدة على هذا المبدأ. فكانت تجري كثير من الحوارات الحاسمة حول ما إذا كانت العملية الثورية تجري بشكل صحيح أم لا، ولكن هذه الحوارات كانت تجري «في القمة» أو في حلقات ضيقة جداً. ونتيجة لهذا ازدادت المصاعب البارزة بسبب الافتقار لقيادة واحدة، وكان هذا يجد تعبيره بتكرار الحركات الانقسامية والفوضوية التي كانت تشل الحكومة مرات عديدة. ولكن، في كل مرة، كانت تلجأ فيها الحكومة إلى العمال، كانوا يظهرون مقدرة عظيمة على التعبئة.

ولا يعنى التشديد على أهمية العمل بين الجماهير تقليل أهمية العمل بين القيادات. فإذا كنا نفرق بشكل مصطنع، في العمل بين الجماهير والعمل بين القيادات، فإن ذاك سيضر بقضيتنا.

وما ذكر أعلاه، يفضى إلى خلاصة، هي إحدى القضايا الأساسية في العملية الثورية التشيلية، وهي أنه لم تبرز إلى الوجود قيادة ثورية صلبة ومتجانسة. وفي الوقت ذاته، ترجع المكاسب التي حصلت، بشكل كبير، إلى عملية تشكيل مثل هذه القيادة. فالدور الأساسى في تشكيلها وتطورها قامت به الطبقة العاملة، وبالدرجة التي فشلت فيها الطبقة العاملة في هذا المجال، أصبحت الأمور أسهل للعدو، ويرجع دور الطبقة العاملة نتيجة لطبيعة العملية الثورية ذاتها.

وكان يتكشف، أيضاً، بأن دور الحزب الشيوعى ينمو كلما تطور الوضع الثورى، وكذلك الصراع على السلطة.

مارسنا نحن الشيوعيين النقد الذاتى لكل من إنجازات ونواقض العملية الثورية في تشيلي، حتى نتعلم منها الدروس، التي هي ضرورية لتحويل هزيمة الأمس إلى نصر الغد.

* * *

هو امش :-

- (1) Orlando Millas a La Clase Obrera en el Gobierno Popular Cuadernillo de Propaganda, No.4, PP. 14 - 15.
- (2) Boletin Informativo del Comit  Central del Partido Comunista de Chile Santiago Chile, 1972 Boletin No,8,P.37.
- (3) Ibid P.33.
- (4) Desde Chile hablan Los Comunistas ! Ediciones Colo-Colo 1976.

* * *

الدفاع عن سلطة الشعب

بدر وودريجيوس

عضو القيادة الوطنية

الحزب الشيوعي فى تشيلى

////////////////////////////////////

إن الأحداث التى وقعت فى تشيلى، بالإضافة إلى سقوط حكومة
الليندى، تجبر الإنسان على البحث، بشكل أعمق، لفهم تلك
المسألة الأساسية لكل الثورات، مسألة السلطة، والأكثر تحديداً، كيف ندافع عن
السلطة، ونحتفظ بها. فطابع الظروف التاريخية والسياسية، التى تشكلت فى
ظلها تجرّتنا بالنسبة للحكومة الثورية (بالمجازاتها وإخفاقاتها)، يجب أن نعتنى
بها، ونفسرها، لأن مثل هذه المعرفة أساسية من أجل تعلم كيف يتم التعامل مع
هذه المسألة فكانت هذه المسألة طارئة، بالنسبة لحكومة قطاع من سلطة الشعب
الثورية، التى كانت نتيجة لكسب جزء مطابق من الجهاز الحكومى. وكانت
المشكلة بالنسبة لهذا القطاع هى قدرته على ربط عمله الخاص مع المسار الثورى
للجماهير، لقيادتها من أجل إنجاز المهام الديمقراطية الثورية، ونحو الاشتراكية.
وتعكس الأحداث فى تشيلى، عملياً، بدرجة أو بأخرى، جميع قضايا النظرية
الماركسية اللينينية حول الثورة، الاستيلاء على السلطة، والاحتفاظ بها:-
ديالكتيك استخدام مقدرات سلطة الحكومة الديمقراطية، المهام الديمقراطية والأهداف
الاشتراكية للشعب، العوامل الثورية الموضوعية والذاتية ... إلخ. وبالاختصار
جميع تلك المسائل التى لا تغيب عن بال الشيوعيين والثوريين.
وتبين تجرّتنا الثورية أن القوانين التى تحكم انتقال المجتمع القديم إلى جديد،
تعمل بغض النظر عن طريق الانتقال الذى تتخذه. فتحول الدولة القديمة، مع أنه
ليس عملية ميكانيكية، إلا أنه حتمى، مع أنه لا يمكن أن يكون، فى مرحلة
معينة، استمراراً للارتقاء فى شكل الحكم، على سبيل المثال، الاحتفاظ، لفترة
ما، بالشكل القديم، ولكن بمحتوى جديد.

فحينئذ يكون قطاع معين من السلطة تحت سيطرة الطبقة العاملة وحلفائها، وخصوصاً إذا ما تم الوصول إلى السلطة التنفيذية، كما كانت الحالة في تشيلي، يصبح هذا محيراً، نوعاً ما. ففى تشيلي كانت الحركة الشعبية قادرة على تركيز قواها الطبقيّة، بمساعدة الآلة الحكومية القديمة. ومع ذلك، فمحتى يصبح تركيز القوى هذا فعالاً وقادراً على تسيير الأحداث فى الاتجاه المرغوب، من الضروري إيجاد أساليب جديدة، وآلة حكومة جديدة.

ولأن البروليتاريا فى القيادة، فإنها لن تستطيع التوقف فى منتصف الطريق، وتأجيل إنجاز هذه المهمة، إذ يجب عليها أن تمد وتوسع نفوذها الطبقي، نفوذ الحركة الشعبية إلى جميع الجهاز الحكومى، الذى وظيفته الأساسية هو أن ينفذ، وأن يدافع عن السلطة ويراقبها. ومع كل هذا، فلن تكون القوى الشعبية حرة فى تنفيذ تحولات ثورية فعالة. ففى تشيلي، كان على الحكومة أن تدعمها، فقط، مع أن الحركة الشعبية كانت مقيدة بسلطة برجوازية متغلغلة فى جميع ادارات الدولة المتبقية. فمعظم هذه الدوائر كانت فى أيدى البرجوازية (السلطة التشريعية، والقضائية، والجهاز الإدارى والقضائى، وقوة دفعها القوية - القوات المسلحة، ووسائل الإعلام). وأكدت الأحداث تقييمنا الخاطئ لحقيقة أنه منذ الإطاحة بالاحتكاريين والامبرياليين، فقدوا امتيازاتهم، وأصبحوا فى خطر، لأنهم لم يعودوا يعتمدون حتى على المؤسسات الديمقراطية البرجوازية البالية، ولا على الأساليب الكلاسيكية السياسية، يكبح جماح الحركة الشعبية المتنامية، والتى كان لها برنامج ثورى، صممت على تنفيذه. هكذا، كانت كل من البرجوازية الكبيرة المحلية والامبريالية هما اللتان أجبرتتا على التخلي عن الشكل القديم للحكم، لأنه كف عن خدمة استراتيجيتهن الطبقيّة.

لكن خلق حكومة الوحدة الشعبية هو الإنجاز الأول للحركة الشعبية. فكان النشاط الجماهيرى شديد التعلق بالحكومة، لتفعيلها، وحمايتها، وإجراء التحولات الثورية العاجلة التى خطتها. فكانت الحكومة عاملاً مقررأ فى تطوير الوضع الثورى، وخلق ظروف اجتماعية سياسية، لتوضيح مسألة حكم الشعب. فكانت حكومة الشعب هى القوة التى تقف وراء الإصلاحات الاقتصادية الحساسة،

الفعال للديمقراطية، وتوسيع التحالف الشعبي، وتبني قضية التنظيم والتوعية الثورية للشعب.

لنضال الديناميكي للبروليتاريا والحكومة من أجل التغييرات الثورية، ومن الناحية الأخرى مقاومة البرجوازية والامبريالية للثورة وتصميمهما نادة الحكم، بأي ثمن جعل القطاع المكتسب من سلطة الدولة مجبراً على والتحول إلى نمط جديد من الدولة الديمقراطية الشعبية. ففي ظل هذه كان الاحتفاظ بالسلطة، والدفاع عن المكاسب الثورية، لا يتطلب مجرد لى الوضع الراهن، بل يتطلب أيضاً الاستمرار في العملية الثورية، لطة الشعب، وخطوات محددة مخططة بشكل مسبق في هذا الاتجاه.

مقدم ممكن، فقط، من طور لآخر. ففي ثورتنا هذه الأطوار هي: أولاً، ي تلا كسب الطبقة العاملة وحلفائها لجزء من سلطة الدولة، حيث ابتداء جهاز الدولة، إقامة الحكومة. ثانياً، الطور الذي أصبحت فيه الحكومة في السلطة، ولم تتدخل عن تلك المؤسسات في جهاز الدولة، والتي ي أيدي البرجوازية الكبيرة، وتؤدي وظيفتها ضمن إطار الدستور البرجوازي. هذا هو طور المبادرة بالتحويلات الديمقراطية، حينما كان اجتماعي - السياسي يسمح باستخدام الأساليب الدستورية التي أتت منع إلى الوجود، وكان ذلك يتم على أرضية النهوض العام لنضال وعلى الصدمة المؤقتة التي تلققتها القوى الرجعية. أما الطور الثالث ١، ومتفجراً، بشكل خاص في تشيلي، إنه طور الصدمات والاشتباكات ة بين دوائر سلطة الدولة الموجودة في أيدي الرجعية، وبين دوائر سلطة شعبية. ففي هذا الطور، كان الصدام بين هذين القطبين المتعاكسين، تين، فعلاً (دكتاتورية الحركة الشعبية، التي ما زالت في طورها يكشف عن الميل المتنامي «لبروز» مجال مؤسسات الدولة. فعند نقطة الحركة الشعبية، ومن أجل الحفاظ على الذات، وإلزام تحولاتها، ابتدأت لتصبح نوعاً من مركز نشاطات دولة الجماهير الثورية، على سبيل المثال انت مبنية على أساس الاستيلاء الثوري، مباشرة، على أساس المبادرة

المباشرة للشعب من أسفل، وليس على أساس القانون الذى سنته سلطة الدولة المركزية» (*).

والآن، أصبح واضحاً بأن هذا كان يجب أن يتبع فى الطور الذى غدت فيه سلطة الشعب موجهة لبناء دولة ديمقراطية جديدة، فيتوافق نشاط الدولة الخاص مع نشاط جماهير العمال العريضة، أغلبية السكان. فالطوران الأخيران كان يمكن ألا يفصل بينهما إلا أشهر، أوحى ساعات، فى حالة يتم الوصول فيها إلى أهداف كلا الطورين، تقريباً، فى زمن واحد. وتبين تجربة الوحدة الشعبية أنها فشلت فى التعامل مع هذه المجموعة من القضايا. قال رفاقنا، من خلال نشرة إعلامية، تصدرها لجنة التضامن التشيلية، فى هافانا (آب ١٩٧٦، رقم ٦٧)، «الحديث بشكل ملموس»، «فى هذه الحالة قام العدو بعمله، بينما لم نقوم نحن بعملنا».

وقد بين تحليلنا بأن جميع هذه الأطوار حيث كل منها مطبوع بمحتواه السياسى وتوازن قوى محدد ومستوى تطور معين يتماثل مع نضوج الموضوع الثورى - كان يمكن أن تحدث فى النصف الأول سنة ١٩٧١. وكان بذلك وقت صعود النضال الجماهيرى، بشكل لم يسبق له مثيل، الوقت الذى كانت فيه الظروف الموضوعية تجعل من الصعب على الامبريالية والبرجوازية المحلية. الكبيرة، أن تتحد، وتعارض الثورة، بشكل صريح، حيث كان الجزء الأعظم من الفئات الوسطى يميل إلى الحكومة الشعبية، وكان ميزان القوى فى أمريكا اللاتينية ملائماً جداً لتطور الديمقراطية والتقدم الاجتماعى فى تشيلى.

كان هناك كثير من الأوضاع الأكثر تشابهاً وملاءمةً مثل الإضراب فى سنة ١٩٧٢، وانتفاضة وحدات الدبابات (Tankazo)، فى حزيران ١٩٧٣ إلخ. ومع ذلك كان كل وضع منها أكثر تفجراً، بشكل متقدم، بمعنى أنه يضع القضية الثورية فى خطر. ومع كل هذا، استخلصنا بأنه يجب أن يكون الحزب الطليعى قادراً على التنبؤ بهذه اللحظات الحساسة، حينما يكون نجاح الثورة - كما يقول رفاقنا الفيتناميون - يشبه طناً معلقاً بشعره !! فكان على الحزب أن يرى هذه

(*) لينين مجلد ٢٤ ص ٣٨.

اللحظات، قبل أن تستولى الحركة الشعبية على جزء من سلطة الدولة، وكان يجب أن يكون قادراً على استغلال الفرصة حينما يكون العدو فى أضعف حالاته، ويحتاج إلى وقت لجمع قواه، حين يكون مشلولاً. بشكل مؤقت، نتيجة لانتصارات الشعب، وحين تمنعه نزاعاته الداخلية من الاتحاد فى جبهة الثورة المضادة، ويخطط لها. بمعنى آخر، يجب أن يكون الحزب قادراً على تحديد «نقطة التحول فى تاريخ تنامى الثورة، حينما يبلغ نشاط الصفوف المتقدمة من الشعب ذروته، حينما تكون التذبذبات فى صفوف الأعداء و صفوف أصدقاء الثورة الضعاف الفاترى الهمة والمترددين قد بلغت الحد الأقصى» (*). فقط، بهذه الاستمرارية سوف تجعل من الممكن الاحتفاظ بالمواقع المستولى عليها، وتأمين السلطة لتحالف القوى التقدمية، الدخول، بوضوح فى الطور الذى عرفه لينين بفترة الانتقال إلى الاشتراكية.

وتعلمنا التجربة أن بناء استراتيجىة السلطة يتم مع الأخذ بالاعتبار مهام الحركة الثورية، ككل، والتعامل معها، بشكل متزامن، لتوجه ضربة الجماهير الأساسية ضد أسس المجتمع السابق وبنائه القومى. هذا هو المدخل الصحيح لممارسة السلطة التى يمكن أن تضمن النجاح فى حل قضايا الاقتصاد والديمقراطية. يعطى البرنامج السياسى للحزب الشيوعى فى تشيلى تعريفاً علمياً لمفهوم الثورة: «ننظر إلى الثورة التشيلية كحركة للطبقة العاملة والسكان المنظمين، بالنضال الجماهيرى، يطيحون بالطبقة الحاكمة الحالية من السلطة، ويصفى جهاز الدولة القديم، وعلاقات الإنتاج المعيقة لتطور القوى المنتجة، وتقوم بتنفيذ تحولات عميقة فى بنية البلاد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فاتحة الطريق إلى الاشتراكية».

فمن وجهة نظر الديناميكية الثورية، كانت ضرورة التحول الهادئ من طور إلى آخر، وإتمام نصر سياسة الوحدة الشعبية، مهمة من أجل النضال الشعبى فى التقدم الثابت، لتصبح فى الوقت المناسب على النطاق القومى. وكانت مهمة لدرجة أن

(*) لينين، مجلد ٢٦، ص ٢٢-٢٣.

سلطة الشعب المجسدة في الوحدة الشعبية يجب أن تربط عملها مع الحركة السياسية للأغلبية الاجتماعية الواسعة، والتي كانت مدركة، تماماً، الحاجة إلى التحولات الثورية، ويجب أن تلقى الدعم من هذه الأغلبية. وأصبح هذا ممكناً. فقط، بسبب الأزمة الوطنية الثورية، التي برزت على أساس الوضع الثوري الناضج.

وكنا مقتنعين بعمق مفهوم لينين الخالد حول الثورة، حينما كنا نتفحص قضية تولي السلطة. الظروف الممهدة للاستيلاء الكامل على السلطة، ذلك أن الحزب الشيوعي يجب أن يتبين بذاته بأنه يجب أن تكون القوة الخلاقة الأساسية، القوة القادرة على قيادة الجماهير في تطوير الوضع الثوري، بالطبع الوضع الثوري بالمعنى الإجمالي الكلي لأولية التغييرات الموضوعية في المجتمع. وكتب لينين: «لا يؤدي كل وضع ثوري إلى الثورة بل سيصبح ضعفاً كهذا فقط حينما يضاف النشاط الذاتي إلى العوامل الموضوعية» وكتب لينين «ما نناقشه ... هو واجب أساسي لا خلاف حوله، بالنسبة لكل الاشتراكيين - هو أن نكشف للجماهير وجود الوضع الثوري، وشرح أفاقه وعمقه، وإيقاظ الوعي الثوري والتنظيم الثوري للبروليتاريا، ومساعدتها على الارتفاع إلى مستوى الفعل الثوري، ولهذا الغرض يتم تشكيل منظمات تلائم الوضع الثوري» (*).

وكان الحزب الشيوعي في تشيلي قد أشار، في مؤقده العاشر (سنة ١٩٥٦)، إلى أن هناك إمكانية واقعية لكسب السلطة، وهو يفوض الأمين العام، لويس كورفالان، الذي يقود الحزب والحركة الثورية، في هذا الاتجاه. ومع أن الحزب كان قليل العدد، في أوائل الستينات، إلا أنه تمكن من كسب تأييد أغلبية العمال وجميع القوى اليسارية من أجل برنامجه واستراتيجيته وتكتيكه، الذي وضع الأسس للانتصار الشعبي، في سنة ١٩٧٠. ويعتبر هذا إنجازاً ومساهمة لا تقبلان الجدل لحزبنا في الثورة التشيلية. فالمنطق الداخلي، وهدف فرضيات حكومة الوحدة الشعبية، التي هي تجسيد لخطتنا السياسي وتطبيقه الواعي في تلك

(*) لينين مجلد ٢١ ص ٢١٦-٢١٧.

الظروف، ساعدت الحكومة الشعبية على إتخاذ سماتها المميزة الخاصة بها وركزت الجهود الكبيرة على أولى إجراءات الثورة وأكثرها أهمية. ومع ذلك فقد فشلنا في رؤية مغزى العمليات الناشئة، وعلاقتها بالوضع الشورى، وتحولها إلى أزمة وطنية، وذلك بسبب طرح أشكال معينة من النضال، بشكل مطلق، وكان استعدادنا ضعيفاً بالنسبة للبدائل الممكنة، وخطنا ضيقاً مما قلل فرص القوى الشعبية في الاحتفاظ بنصيبها في الحكومة وتعزيزه، ولم تخلق الظروف للشعب لكسب السلطة الكاملة. فمن وجهة نظر المضمون الاجتماعي للثورات فإنها جميعاً يلزمها استخدام القوة. فتنظرية الدولة التي طورها كل من ماركس وإنجلز، ومن ثم صاغها لينين، أكدت هذا. فدعا لينين. نظرية إنجلز عن الدولة «إطراء حقيقى للثورة العنيفة» (*) وشدد لينين على أن هدف الماركسية هو تعليم الجماهير العريضة بروح مثل هذه الثورة.

فالإرادة الطبقة المطلقة لن تتخلى عن سلطتها، طوعاً، دون ممارسة المقاومة الضارية على طول الخط، عاجلاً أم آجلاً ولن تستطيع البروليتاريا الثورية أن توقف ثورة قد بدأتها هذا هو مفعول قانون للتاريخ لا يرحم وهو الذى تم تأكيده بأحداث تشيلى.

وعلى هذا الأساس كان التوجه الواسع، والمجهودات التى بذلها الشيوعيون وكافة الثوريين لخلق ظروف من أجل التوازن الملائم فى القوات المسلحة ذات أهمية أساسية، لأن هذه مسألة استراتيجية. فيما لوبرز هذا التوازن أم لا، فى وقت محدد على شكل صدام مسلح بين الطبقات، فذلك يعتمد على الظروف والتكتيك. وبالتالي، فإن الحفاظ على جزء من سلطة الدولة التى اكتسبت، بتطويرها والتقدم باتجاه الاشتراكية بدون الحرب الأهلية، يفترض، مسبقاً، قدراً كبيراً من المرونة. وليس هذا، فقط، بسبب عدم وجود الاستقرار الطبيعى فى الوضع. فالتوازن الذى يمنع الرجعية من شن صراع مسلح ضد حكومة الوحدة الشعبية كان يجب تحقيقه فى جميع القطاعات.

(*) لينين مجلد ٢٥ ص ٣٩٩.

وتؤكد التجربة التشيلية إمكانية كسب جزء من سلطة الدولة وتأسيس حكومة، والاحتفاظ بها، قبل تحقيق توازن ملائم للشورة فى القوات المسلحة، ومع ذلك، فقد بينت تجربة حكومة الوحدة الشعبية أنه من الممكن الاحتفاظ بالسلطة الجزئية المكتسبة، وكذا توسيعها، فقط إذا خلق كل من النضال الجماهيرى والأزمة الثورية العامة التوازن المطلوب، وهذا لا يعتمد فقط على التشييت الموضوعى للقوى البرجوازية، بل يعتمد، بدرجة كبيرة جداً، على النشاط الفعال للثوريين. ولوحظت فى تشيلى ظاهرة لافتة للنظر، وهى أثناء مرحلة معينة من النضال، خلال فترة الحكومة الشعبية، كانت الطبقات المعارضة تدرك جيداً بأن مصالحها التاريخية كانت فى خطر (على خازوق) وفى مقدمتها مصالحهم الاقتصادية المباشرة، ليس المهم فيما إذا كانت ذات طبيعة موضوعية، أو وهم أيديولوجى (١).

فالحفاظ على السلطة يتطلب نشاطاً توضيحياً، وعملاً أيديولوجياً، لجعل السكان واعين، تماماً، للأهمية التاريخية للثورة، وإنجازاتها الاقتصادية وكما تأكدنا، يجب الحفاظ على الجهود حتى يصبح الناس أنفسهم مقتنعين بأن الإنجازات الاقتصادية الثورية راسخة، تماماً، وأن الوحدة الشعبية قد استولت على المفاصل (الروافع) الحكومية من الرجعية. وفى نفس الوقت، يجب أن يركز الاهتمام على التغييرات الاقتصادية لصالح الشعب. وهذه عوامل مهمة فى تقدير الجهد المتواصل. وبذلك يقرون بجاهزية الحكومة، واستعدادها لتنفيذ وعودها. وبذلك يعززون التحالف الشعبى، ويساعدون على عزل خصوم التقدم الاجتماعى. فالوضع الاقتصادى الذى كانت حكومة الوحدة الشعبية مجبرة فيه على التعامل مع هذه المشكلات، كان معقداً، بشكل غير عادى. فالأوليجاركية المالية وأصحاب الأراضى كانت مازالت ذات نفوذ كبير فى الاقتصاد، وتملك مصادر مالية هائلة ووظف جزء كبير منها للمضاربة. وكان فى يدها كثير من الروافع الاقتصادية وبذا حافظت على نفوذها فى البيروقراطية الحكومية. وجعلت الأغلبية البرلمانية المعارضة من الصعب، وأحياناً من المستحيل التصديق على قوانين يمكن أن تنقذ الوضع. ولهذا السبب كان لا يمكن فرض العقوبات (شرعياً) على الجرائم ذات

الطبيعة الاقتصادية. وكان لزاماً، أيضاً، إعادة بناء علاقة التبهية الاقتصادية الأجنبية، ككل. ولم يكن هذا يعنى عودة المصادر الأساسية لرقابة (سيطرة) تشيلي، فقط، والتي كانت فى أيدى احتكارات الولايات المتحدة، بل كان يجب، أيضاً، تصفية سيطرة الاحتكارات فى الاقتصاد، وخصوصاً فروع الأكثر ديناميكية، وتغيير البنية الجغرافية وإقامة علاقات مالية دولية جديدة، وتفعيل المعايير الأخرى، وفى ظل هذه الظروف الصعبة، يتم صياغة هذه التغييرات العميقة فى برنامج الحكومة، حيث كان يجب تنفيذها، وتطور القطاع الاقتصادى العام، وازداد الإنتاج، وارتفعت إنتاجية العمل، وتم صياغة المبادئ الأساسية فى التخطيط والإدارة المركزية، وانخرطت الجماهير، وخصوصاً العمال، فى الإدارة الاقتصادية الأساسية.

فى تشيلي، بذلت الامبريالية كل جهودها لزعزعة استقرار الحكومة الشعبية فلجأت فى المجال الاقتصادى إلى الحصار المالى - التكنولوجيا. فشنت حملة معارضة يائسة داخل البلاد، بواسطة الزمر المالية، مثل مقاطعة الإنتاج، وتسريب العملة الأجنبية إلى الخارج، والمضاربة برأس المال. وبهذا أضاف الامبرياليون والرجعيون حرباً سيكولوجية لتثيis الشعب، وخصوصاً الفئات الوسطى، بخلق سوق سوداء، والتسبب فى فقدان البضائع الاستهلاكية، وخصوصاً الطعام، وإحداث الإرباك والفوضى الاقتصادية. وبذلك سعى الامبرياليون والرجعيون لمنع إقامة أى توازن للقوى، سيكون بأى طريقة لصالح الحكومة الشعبية، وكان الغرض من كل هذا عزل هذه الحكومة. فكان الاستراتيجيون الامبرياليون يدركون تماماً الأهمية الاقتصادية والسياسية لذلك الجزء من السكان المرتبطين بتجارة التجزئة والمواصلات، وكانوا يقدرون بأنه فى استطاعتهم شل الاقتصاد نتيجة للتلاعب إقتصادى بواسطة الاحتكارات، وبذا يتحول جزء كبير من السكان ضد الحكومة.

لقد علمت، أحداث تشيلي، الشيوعيين الحاجة للتنبؤ بالمشكلات الاقتصادية الحتمية وإيجاد الطرق لحلها، وعلمتهم، أيضاً، الحاجة إلى العمل الأيديولوجى المتواصل حول هذه القضايا، وتوضيحها للجماهير. وفى تلك الأحوال يجب وضع

الواجبات قبل الحقوق، والاستعداد لتقديم تضحيات مادية معينة من أجل الثورة، وهكذا يستطيعون، معاً مع الثورة، التغلب نهائياً، على التخلف والاستغلال. والعمل الأيديولوجي يجب أن يتناسب، بدقة، مع النشاطات العملية من أجل الأهداف الثورية. ويجب أن تنظم نشاطات الجماهير وعمل الحكومة، بحيث تمنع الاضطراب في الاقتصاد. ويجب أن يظهر الشيوعيون مقدرتهم على التعامل مع القضايا الاقتصادية، بمساعدة حلفائهم، والجماهير الشعبية، والبلدان الاشتراكية، والتضامن الأعمى، بالطبع، وقبل كل شيء، بإدارتهم الاقتصاد بأنفسهم.

ودرساً آخر تعلمناه، وهو مقدرة الشيوعيين وحلفائهم في الدفاع عن سلطة الشعب وتعزيزها، وإيجاد حلول صحيحة للقضايا الاقتصادية، ويعتمد بدرجة كبيرة، على كم يكون هذا البرنامج الاقتصادي واقعياً وقابلاً للتطبيق؟ وكيف يتصور الشيوعيون بوضوح مراحل الثورة، مجال وعمق القضايا الاقتصادية الاجتماعية، في كل مرحلة، والمستوى العام الذي يجب أن تصل إليه التحولات؟. فلا يمكن أن تكون الثورات مقيدة بأي تاريخ خاص، بأي توقيت فالمستوى الذي تحدث فيه الثورات لا يمكن تحديده بواسطة رغبة الثوريين. بل يحدد بواسطة الظروف الفعلية، الداخلية والخارجية، وهذه هي التي يجب أن يتنبأ بها الثوريون. كانت حكومة الليندي أكثر الحكومات ديمقراطية، في تاريخ تشيلي، فكانت مدعومة بالأغلبية الساحقة للسكان، وكانت وثيقة الارتباط بصراعهم الصعب، وانعكاساً لرغبة الشعب التشيلي الجامحة في التغيير. فطورت هذه الحكومة مكاسب الشعب الديمقراطية، ورفعت مستواها، وأعطت الشعب دوراً كبيراً في إدارة البلاد، ولكل هذا كانت حكومة وطنية جذرية.

منحت الحكومة الشعبية الحرية الكاملة في التعبير عن الذات لجميع قطاعات المجتمع. وهذه حقيقة ذات أهمية خاصة، وذات ارتباط مع المناقشات الجارية، بعمق، حول الديمقراطية، طابعها، ومحتواها الطبقي. فكانت نشاطات الحكومة الشعبية، الأيديولوجية والعملية، تتركز بشكل رئيسي حول مسألة الديمقراطية وتطوير القيم الإيجابية والمؤسسات التي اكتسبها العمال. وفي نفس الوقت، أصبح واضحاً، بأن موقف الامبريالية من الحرية والديمقراطية «وموافقتها» الأولية على

قرارات الشعب وتوجهاته، كل هذا كان نفاقاً خالصاً. فمثلاً، حينما شكلت الحكومة الشعبية بعد الانتخابات العامة، أظهرت الطبقات المعادية للعملية الثورية بأنها كانت تتمتع «قواعد اللعبة»، ولم تقم بتخريب عملها، بشكل صريح. إنها حقيقة لا يمكن إنكارها، ومع ذلك كانت الامبريالية تعد مؤامرتها، قبل أن تصل حكومة الوحدة الشعبية إلى السلطة.

فخلال المرحلة الأولى من الثورة كانت طبيعة الديمقراطية والحرية وجوهريهما الطبقي مخبئة في صدف الأشكال الشرعية السائدة، التي تحجب مستوى ومضمون الصراع الطبقي. ففي البدء تعيق هذه الأشكال. تطوره، لدرجة تضطر فيها الحركة الثورية أن توافق، جزئياً، على القواعد البرجوازية في لعبة الديمقراطية التي تطورت هي في ظلها. ويجب عليها أن تفعل ذلك، وتظهر شرعية حكومتها في أعين جزء من المجتمع والجيش، ومع ذلك، تستفيد هذه الحكومة، مباشرة، من المؤسسات الموجودة لتنفيذ العديد من التحولات الكثيرة لمصلحة الشعب.

ففي البدء يجبر هذا الوضع، البرجوازية الكبيرة والامبريالية أن تعبر عن اعترافها الشكلي بالحكومة الشعبية، ولكنهم لن يتوقفوا عن استخدام مؤسسات سلطة الدولة لوضع العراقيل أمامها، والتدخل في عملها.

ومع ذلك، ساعد هذا التوازن الملائم نسبياً، خلال المراحل الأولى، الحكومة الشعبية، لأنه مهد الطريق لمبادراتها، حينما أتى زمن التحولات الأكثر أهمية. ولكن هذا التوازن تغير، حينما بدأت البرجوازية معارضة التغيرات الثورية. وهنا بدأت المواجهة المكشوفة للقوى المعادية. فنظمت هذه المواجهة شرعياً، من البدء بواسطة الطبقات الحاكمة، ومن ثم تحولت إلى صدام لم تنظمه أي من القوانين الموجودة.

وقد تبين أن هذا الصراع سيستمر، فإما أن يقام نظام اجتماعي جديد، من خلال التطور الديمقراطي، الذي تحدده القوى الشعبية، وإما أن تستولي الفاشية على السلطة، وتلقى كل الديمقراطية، وتنشر موجة من الإرهاب لصالح الرأسمال المحلي، والرأسمال الأجنبي ضد كل الطبقات الأخرى، بما يصل «اللعبة» الذي

يجرى بواسطة القوى الطبقية إلى نهايته، وهكذا، كان الحال فى تشيلى. قال جورجى ديمتروف: «إن الفاشية تعنى تصفية الحساب مع الطبقة العاملة، بالإرهاب، حينما لم تعد دولتها ونظامها الاقتصادى يتبارى مع الطبقة العاملة حتى ولو كان اللهب بأوراق مميزة فى اللعبة البرجوازية الديمقراطية».

وقد جعلت تجربتنا الأمر واضحاً، تماماً، بالنسبة لنا، وذلك بالنسبة للاحتفاظ بالسلطة، والدفاع عن الثورة، بأن القضايا المرتبطة بالمدى الجديد والجوهر الجديد للديمقراطية، وأيضاً بوزن وقوة السلطة الجديدة وأجهزة الدولة ذات أهمية حاسمة. قال لويس كورثالان، موجهاً كلامه إلى اجتماع موسكو، فى كانون ثانى ١٩٧٧: «بالنسبة لتطور المجتمع ... موقفنا واضح. ففى مجتمع يتألف من طبقات متناحرة، جميع أشكال الحكم تمثل جانباً من دكتاتورية الطبقة الحاكمة ودكتاتورية البروليتاريا أكثر ديمقراطية من أى شكل من أشكال الحكم البرجوازى، والتجربة الدولية تشهد بهذا. فعلى ضوء ما حدث فى تشيلى أصبح لزاماً، اليوم إذا صعدت حكومة شعبية إلى السلطة أن تكون قادرة على مواجهة كل المؤامرات والانتقالات المخطط لها، بواسطة الامبريالية والرجعية الداخلية والفاشية. فمسألة دكتاتورية البروليتاريا ليست على جدول الأعمال اليوم فى تشيلى، ولكنها سوف تبرز، حتماً، فى الوقت المناسب، لجعل المكاسب الديمقراطية أكثر فعالية.

فالتقدم نحو الاشتراكية بدون الصراع الطبقي المسلح يفترض، مسبقاً استقطاباً واسعاً وحيوياً للقوى الاجتماعية. ومن الطبيعى أن تضع تلك القوى المعارضة للثورة نفسها، موضوعياً، خارج القيم الحقيقية للديمقراطية وكذا القوى الأخرى التى ليست من معسكر الثورة، ومع ذلك تبقى ضمن إطار هذه الديمقراطية. وتقوم الحركة الشعبية بصراع سياسى وأيديولوجى لكسب قوى جديدة، للدفاع عن الأهداف الثورية، والشروع بنقاشات سياسية وفلسفية حول مفهوم المجتمع الجديد. فالعلاقات مع هذه القوى وأحزابها تشبه النضال السياسى والأيديولوجى، ويمكن التعبير عنها بطرق مختلفة تشمل التعاون المبني على الوحدة ومقارنة الاختلافات.

ولكن هناك أمراً واحداً، وهو أمر أساسى واضح لنا: إن الديمقراطية يجب أن

تخدم الشعب، ولا تسمح بحرية العمل لقوى الثورة المضادة. وهذا ما علمتنا إياه الحياة، وهو أحد الشروط المطلقة للدفاع عن المكاسب الثورية. إن تجربة الحكومة الشعبية هي تأكيد لحقيقة أن الصراع يستطيع أن يتخذ مساراً ثورياً صحيحاً، ويفترض مقياساً جماهيرياً، فقط، إذا ما حافظت الطبقة العاملة على دورها القيادي واستقلالها الطبقي. وتعلمنا التجربة أن الحاجة إلى جبهة عريضة لا يمكن استبدالها بالاتجاه «التعددي»، الذي إما أن يسلب أو يضعف الدور القيادي للطبقة العاملة، ويجب أن تشن الطبقة العاملة وحزبها صراعاً أيديولوجياً ضد الفوضوية، والمغامرة، وانتهازية الجناح اليميني، التي تبحث لها عن مخرج من الوضع من خلال الاتفاق مع الرجعية. وكل هذا يضع مسؤولية كبيرة على الحزب الشيوعي وحلفائه وبين الحاجة لعمل تلخيص نظري لتجربة الثورات الأخرى، ولكن، قبل كل شيء، دروس النضال الخاص بشعبنا. فيجب على الحزب أن يعرف طاقاته الكامنة الخلاقة، ويتعلم من تجربة حلفائنا في النضال.

* * *

هوامش:-

(١) الأخيرة كانت تميز الفئات الاجتماعية البينية "in-between" التي كسبتها الرجعية، مع أنها كانت تتمتع بمزايا اقتصادية، أثناء حكومة الوحدة الشعبية.

* * *

الحرب السيكولوجية: سلاح سياسى للامبريالية

رود ريجو روجاس

عضو الهيئة السياسية المرشح
الحزب الشيوعى فى تشيلى

~~~~~

**دقيقة** أن تشيلى تعيش فى ظل حكم فاشى يظهر أن الامبريالية لم تتوقف عن التلويح بأن مصالحها مهددة. ولهذا تدفعنا التجربة التشيلية للقيام بدراسة دقيقة وبناءة لقضايا الثورة، وتقودنا إلى استنتاج، وهو أنه يجب أن تدرس، بعناية، الترسنة، السياسية للامبريالية والرجعية.

وتحاول هذه المقالة تحليل جانب واحد، فقط، من الموضوع - الحرب النفسية كسلاح سياسى للامبريالية - ومن وجهة النظر هذه نتفحص ما حدث فى تشيلى.

فالحقوق الديمقراطية والحريات معترف بها كعامل رئيسى لتطور الصراع الطبقي لذا تحبذ الطبقة العاملة التطور الديمقراطى. وأن وجود حقوق ديمقراطية للشعب فى البلدان الرأسمالية، اليوم، مشروط بكيفية محاربة العمال للامبريالية، بنجاح، وأيضاً. بالتنازلات التى تجبر الطبقات الحاكمة التنازل عنها للطبقة العاملة وحلفائها. وتستخدم الرجعية كل الوسائل التى فى جعبتها ضد الحقوق الديمقراطية المكتسبة، بواسطة العمال، حينما تبرز إلى الأمام إعادة تنظيم المجتمع على أسس ثورية.

وتطور فى تشيلى وضع استحال معه الحفاظ على الحقوق الديمقراطية للأغلبية الساحقة من الناس، دون إيقاف انتهاك هذه الحقوق من جانب الأقلية الرجعية. فشنت القوى التى تتولى الدفاع عن الحكم الفاشى حملة إرهاب سيكولوجية، من خلال وسائل الإعلام الجماهيرية، لتمهيد الطريق للإرهاب العسكرى، وهذه

الحملة التي اكتسبت زخماً مع نجاح المؤامرة الفاشية، التي أطلقت العنان للدعاية الإرهابية والإرهاب الجسدي والذين ظهروا معاً. ولم يتوقف هذان الشكلان من الإرهاب، كما بينت الأحداث، حتى في الوقت الذي ظهرت فيه علامة ضعفنا. وصرح لويس كورفالان، في خطاب مفتوح للرئيس التشيلي سلفادور الليندي، في ٢٩ آب ١٩٧٢، حول موقف الشيوعيين، «إن الاعتراف بحقوق المعارضة يجب ألا يقودنا للقبول بكل نوع من التطرف والأعمال الشريرة، إذ أن بعض الناطقين باسم المعارضة يفكرون بأنه يمكن لى عنق القانون، حسب إرادتهم. فهناك كثير من صحف المعارضة ومحطات الإذاعة تبث أكاذيب وإهانات وفضائح مزيفة، وتحذيرات، وهذا هو خبزهم اليومي ... فإن واجبنا الأول، قبل كل شيء، نحو الشعب والبلاد أن نمنع أولئك الذين يريدون جر تشيلي إلى حمام الدم. وتدعونا الحاجة للحفاظ على تطوير الحرية والديمقراطية وتوطيدها، إلى استخدام القانون ضد أولئك الذين يلجأون إلى الجرائم، للإطاحة بالحكومة، وإقامة الدكتاتورية الفاشية» (١).

وقد برهنت الأحداث على صحة هذا الموقف. علاوة على أن هناك دليلاً جديداً، يشير إلى أن الآلة الدعائية الرجعية التشيلية لم تتبع مجرد أهداف الدعاية، بل شنت حرباً سيكولوجية، تمهيداً لصراع مسلح ضد الشعب.

وتبين التجربة التشيلية، أيضاً، أن الأساليب والتقنيات المستوردة لهذا النوع من الحرب، تحاول الامبريالية، في كل حالة، أن تنسب هذه الأمور إلى أمور قومية، أو حتى محلية. حتى البيان باستيلاء الرجعية على وسائل الإعلام قد صاغته الرجعية، بناء على «مسودة» كتبها خبراء CIA ووكالات التخريب الأخرى للامبريالية الأمريكية. ونجد أساساً لهذه المسودة في كتيب طرحته إدارة الحرب في الولايات المتحدة تحت اسم «العمليات السيكولوجية».

فيدعون في هذا الكتيب «السلام اليوم ... هو استمرار للحرب بوسائل غير عسكرية» ويصف الكتيب «الدعاية السيكولوجية» أو العمليات السيكولوجية، «حيث أن الوسائل الرئيسية لهذه الطبيعة أصبحت، الآن، قيد الاستعمال» (٢)، تلك الوسائل التي خططت ووضعت موضع التنفيذ للتأثير على عواطف ومواقف

وسلوك الشعوب فى البلدان الأخرى، بطريقة «ملائمة لنجاح سياسة وأهداف الولايات المتحدة». ويشير الكتيب إلى الغرض من الحرب النفسية، هو توليد القنوط والانهازامية واللامبالاة، وتشجيع الناس على وضع مصالحهم الشخصية فوق المصلحة العامة، والسمو بمصالح حياتهم الخاصة، لدرجة تقليل دعمهم وتأييدهم للأهداف المشتركة أو حتى الوطنية، ويشيرون الشك حول الأهداف السياسية والأيدولوجية للسلطة المحلية أو المركزية (إذا كانت هذه معادية لنوايا الولايات المتحدة)، فالخلاف، والنزاع، والانشقاق تزيد من الاضطراب والإرباك فى سلوك الناس، وتجرضهم على العنف ضد الأعمال الاجتماعية، لدرجة نسف البنية السياسية للبلاد، وتشجيع حركات المقاومة ضد السلطة.

فاستخدمت توصيات وتعليمات طبيعتها مثل هذه، بحماس منقطع النظير، فى تشيلى. فأدت الحرب النفسية خدمة كبيرة من أجل ازدياد تفاقم مشكلات البلاد الاقتصادية، ونجحت فى وضع الفئات الاجتماعية الوسطى ضد حركة الطبقة العاملة، وطرحت إمكانية التحالف بين هذه الفئات والبرجوازية الكبيرة على أساس السياسة الامبريالية، وإقامة هيمنة الرأسمال المالى فى القيادة السياسية للشورة المضادة. وكانت الرجعية تلجأ إلى الضغط النفسى لفرز إسفين بين الحكومة وقطاعات معينة من الحركة الشعبية، وإثارة الخلاف بينها بنشر استفزازات المتطرفين اليساريين، والتمسك هى، موضوعياً، مفاهيم الشورة المضادة وأفعالها. ولجأت الرجعية أيضاً، مستفيدة من الطابع الطبقي للجيش، وحقيقة نمو النفوذ الامبريالى فى صفوفه، إلى تحقيق توازن للقوى، داخل الجيش وخارجه، يعمل على دفع الجيش بعيداً عن الحكومة الشعبية، بدون الأخذ بالاعتبار إحتراف العسكريين «وابتعادهم» عن السياسة، واحترامهم للسلطة المدنية، وذلك بتوريطهم فى الأعمال القذرة من انقلابات وجرائم ضد الشعب.

وكانت هذه السياسة مرتبطة، بفض النظر عن التناحرات بين الجماعات الحاكمة المختلفة، بنشاط كافة مراكز السلطة التى ما زالت فى أيديها، وبهذا قامت بحصار مؤسساتى متنوع ضد الحكومة الشعبية، وكان يقصد منه أن يصبح عقبة أمام ممارسة السلطة.

وبينت التجربة التشيلية أن القهر السيكلوجى ينفذ بواسطة وسائل تقليدية، مثل السينما، التلفزيون، الراديو، الصحافة، بالإضافة إلى الوسائل غير اللاحقة، مثل بث الأقاويل، والإشاعات، والمكائد. فالفكرة هى، خلال الغوران الاجتماعى، تبدأ الأقاويل والإشاعات فى الانتشار، كما لو كانت حقيقة، وتكتسب ديناميكية نوعية، وتنتشر فى المجتمع كالورم الخبيث، وتحفز السلوك غير العاقل بين الجماهير وتخلق وضعاً متفجراً.

وتستخدم الرجعية الإرهاب «كتاب» رئيسى للقهر النفسى. ومع أن سياسة التهديد ليست كلية القدرة، ولا يعول عليها، إلا أن الامبريالية وحلفاءها يميلون لاستغلالها، مسببين الخوف، زارعين الكراهية بين شرائح معينة من السكان، وموجهين هذه المشاعر ضد الحكومة الشعبية والحكومة التى شكلتها. ويصاب الكثيرون بالخوف نتيجة مناخ العنف، وهو أمر منطقي خلال الثورة وهذا الشعور يحرك، أيضاً، الطبقات التى كانت حاكمة، فى وقت ما، وأزاحت من السلطة، وتستخدم الامبريالية هذا الوضع، بدهاء، مستغلة التعصب السابق المعادى للشيوعية، المنقول من جيل إلى جيل. بمعنى آخر، تبدأ باستخدام سياسة التهديد، أولاً ضد حلفائها، كوسيلة لتكثيف المشاعر الطبقية، فتسبب للمرجوازية عدم الاستقرار، فى البدء، ومن ثم تساعد على التماسك. ماذا يعنى ذلك؟ يعنى أن الغرض من سياسة التهديد فى مراحلها الأولى هو تطوير أشكال محددة للدفاع عن المصالح الطبقية، لدرجة يلقى فيها العدوان الصريح على الشيوعية قبولاً، فيما بعد، ومن ثم يتحول الخوف إلى كراهية.

واستخدمت سياسة التهريب، أيضاً، ضد الطبقة العاملة، وضد أكثر حلفائها ثقة وقرباً. ومع أن الامبريالية تعرف، تماماً، أن هذه السياسة لن تجعل الشريحة الناضجة سياسياً من الشعب تغير فى موقفها الأيديولوجى (كما كشف عن ذلك عديد من التجارب)، إلا أنها تركز على إجراءات توهم كفاحية العمال، وتنسف ثقتهم بالقيادة. وكان القهر السيكلوجى موجهاً لزرع النزاع، وتوليد الانشقاق بين العمال، وتقسيمهم، وتقزيتهم، وجرهم إلى الاستسلام. وكانت تستخدم أخطاء وضعف الحركة الشعبية ذاتها، بمهارة، كعامل موضوعى وكانت تستخدم أيضاً فى



الحرب السيكلوجية أعمال المتطرفين اليساريين ضد الملكيات الصغيرة والمتوسطة وضد الحكومة الشعبية ونداءاتهم العنيفة الموجهة للقوات المسلحة وأحاديثهم فوق اليسارية، (بغض النظر عن نوايا قادة هذه الجماعات فوق اليسارية).

ومع ذلك، كان الهدف الأساسي لسياسة التهريب، - من وجهة النظر الطبقة- هو الفئات الوسطى، وعلى وجه الخصوص الجماعات البرجوازية الصغيرة صاحبة عقلية المالك الصغير. فاستخدمت الإمبريالية سيكلوجية الإرهاب كوسيلة لخلق وضع اجتماعي غير سهل واستغلال مشاعر الناس الفطرية والأكثر سلفية.

ومورس القهر السيكلوجي، أيضاً، فى مثل تلك المؤسسات الاجتماعية التى لم «يُطخ» خيالها، حتى ذلك الحين، بالسياسة البرجوازية التقليدية مثلاً، كثير من الأسر. ولإثبات ذلك، طبق هذا على مجموعات السكان المترددة، التى رفضت تأييد برنامج الوحدة الشعبية، وكان من السهل إنحيازها إلى المعارضة. وعملوا هذا من أجل أن تصبح كل أسرة مركزاً معادياً للتحريض والتنظيم الشعبى، ومن أجل توحيدها جميعاً على أرضية العدا للشيوعية، وسياستها الطبقة. فالنساء ذوات الخلفية البرجوازية، كان عليهن أن يدفعن رجالهن إلى الاشتراك فى السياسة، وعدم ثنيهن عن ذلك، كما كان فى السابق، بل عليهن أن يشتركون أو يدافعوا، بحماس، ونشاط، عن السياسة البرجوازية.

وكانت النتيجة تغيراً مفاجئاً فى موقف شرائح معينة من البرجوازية والفئات الوسطى من الأسرة، والمرأة، والأطفال. فشكّلت منظمة تدعى «سلطة النساء» كنصير للسياسة الأنثوية المزعومة. فتجربة المرأة الكويتية البرجوازية، حيث تظاهرت النساء بملايس الحداد، احتجاجاً على الحكومة الثورية بقيادة فيديل كاسترو، وكذا، أيضاً، تجربة «مسيرات القدر والمقالى» التى قامت بها النساء البرجوازيات، ضد جواو جولارت Joao Goulart فى البرازيل، كل هذا قد صُدر إلى تشيلى، وأصبح تجلياً رئيسياً «للعصيان المدنى» ضد حكومة الليندى فجعلت الدعاية والإشاعات الرجعية النساء أكثر شجاعة وتصميماً من الرجال، ولذلك كن يهمنز الرجال بمهازن للمشاركة فى النشاط المحموم المعادى للشيوعية.

فأقصر الطرق إلى قلب الأم مرتبط برغبتها بتقديم التعليم لأطفالها والعناية بصحتهم وأمنهم. فقامت الرجعية بهذا، بشكل يندى له الجبين. فكانت تعرض صوراً لزعما الوحدة الشعبية والماركسيين، وتبينهم كأناس يحرضون الأبناء ضد آبائهم. فعرضت صحيفة AL-Mercurio<sup>(٣)</sup> صورة لطالب، وبجانها صورة لرجل مسلح بالزى المزركش «لرجل العصابت» .. وهناك سؤال هل هو ابنك- أم عدوك؟ ولتطبيق الفكرة على البيت، يقول الإعلان: «فى البلدان الاشتراكية يوجه الأطفال للتجسس على الوالدين». هذا ما يخبر به الكاتب القارئ. وطبع أسفل الصورة، بحروف كبيرة، الكلمات التالية: «هل تريدون ذلك لتشيلى؟» إنقذوا تشيلى من الشيوعية !! واذيع المذيع، ضارباً على هذا الوتر وينفس النغمة - تستمعون إلى لعلعة المدفع الرشاش، وصوت إمراة تنتحب «قتل الشيوعيون ولدى !!» ويقول صوت المذيع: «كان يمكن أن يحدث هذا إذا غدت تشيلى شيوعية». وكان يحث الوالدين على حماية أطفالهم: «لا تدعوهم يلعبون خارج البيت»، «اصطحبهم إلى المدرسة، ذهاباً وإياباً».

فدمجت الرجعية، صراحة، الإرهاب السيكلوجى مع التنظيم الطبقي الفعال، فى الوقت ذاته. وأصبح النداء: «أبها التشيليون اتحدوا، بغضب» كلمة متداولة، ترده بتكرار تافه. ودفعت شريحة كبيرة من الفئة الوسطى والبرجوازية الكبيرة لتشكيل منظمات واجبها إثارة الاضطراب الاقتصادى والرعب والفوضى الاجتماعية.

فاستخدمت لهذا الهدف الأساليب التى «ثبت جدواها». وكان الناس يشارون من خلال المكالمات الهاتفية، التى لا نهاية لها، والملاحظات المكتوبة، وإشاعات تُمر من أسرة إلى أخرى، لشراء كميات كبيرة من الطعام، واستخدام السوق السوداء، لأن البضائع «ستختفى»، حالاً و«سيرتفع سعرها». وبهذا دُفع الناس إلى تشكيل الطوابير أمام المخازن. وكان الناس يخزنون الضروريات والبضائع الاستهلاكية. ومضت الأمور أبعد من ذلك، لدرجة إلقاء كميات كبيرة من طعام الأطفال والحليب والدواء... إلخ، فى صناديق القمامة، وفى الأنهار. وبالطبع، هذا ما أثار استياء الناس، وبهذا يقع اللوم على الحكومة والشورة. فيقول كتيب «العمليات

النفسية»: «ضع اللوم على أولئك الذين فى السلطة ... وتنجح الدعاية بسهولة أكبر فى مناخ عدم الاستقرار الاجتماعى» لقد قيل بأن باحثين «مستجوبين» يأتون من الوحدة الشعبية، ويتوزعون بين الفئات الوسطى فى المدينة والريف. وقد ضمنوا أسلحتهم: كم غرفة نوم، وكم سرير عندك، وكم من الأثاث، والأواني لديك، وهل ترغب فى أن يشاركك فى منازلك وأملكك زملاؤك التشيليون؟! وحينما تملك الناس الخوف، اضطروا لتشكيل وحدات «الدفاع الذاتى»، على مستوى الشارع، والحى، والمنطقة. وكان يقوم بتنفيذ هذا العمل، فى الغالب، المستخدمون المتقاعدون، وضمن هذا العمل المنظمات البرلمانية الخاصة بالمستوى الأعلى، وأصبغ على «الدفاع الذاتى» إجراءات عسكرية ووطنية المظهر. وكانت تحمل المناطق الغنية على الخرائط، الخرائط المدنية أو العسكرية، ومكتوب على بعض المناطق، مثلاً، «سنتياغو محاصرة»، أو هذه المنطقة «محررة» أو «منقذة» من «قبضة» MIR (٤). وأعطى الأطفال مهمة إقامة نطاق للاتصالات، فابتدعت شفرة خاصة للهاتف، وصنعت صفارات تعطى إشارة خاصة. ونفذت مناورات لعمليات شاملة، لزرع الخوف والكراهية، وتفعيل النشاطات التأمرية داخل القطاعات الاجتماعية الأخرى، مثل النقابات، والمهن الحرة، والاتحادات الطلابية، والعسكريين شبه الفاشيين، واستخدم الاختصاصيون فى تأسيس الاتصالات وبناء الخنادق والمستشفيات الميدانية. ودعمت الحملة بأعمال، المقصود منها إثارة الاضطراب، مثل الانقطاعات فى عمليات الإمداد بالمياه، «والانقطاعات» المطولة فى الإضاءة فى الأحياء الغنية، وفى المحطات العسكرية أو الإذاعات التى تدعو المستمعين إلى «الهدوء وعدم الاستجابة إلى التحريض المتطرف».

فإجراءات «الدفاع الذاتى» كانت مصحوبة بأفعال عدوانية صريحة، أكثر فأكثر: محاولات إرهابية موجهة إلى حياة الناس (جرت ١٠٥ محاولات خطيرة، بين حزيران ١٩٧٢ وشباط ١٩٧٣، قتل خلالها ١٧ من نشطاء الوحدة الشعبية)، إضرابات مستخدمى المواصلات، وأصحاب الحوانيت وأعضاء المهن، إضرابات إدارة مناجم النحاس، التى حددها الامبرياليون الذين بقوا فى العمل،

وحركات التضامن البرجوازية مع الإضرابات، والسيطرة على المؤسسات التعليمية التي كانت تحت سيطرة النفوذ الرجعى، مظاهرات «القدور والمقالى» ومسيرات رجعية، وإذاعات بواسطة محطات تسيطر عليها البرجوازية لمهاجمة الحكومة، بناء المتاريس، وتنظيم عمليات الشغب فى الأحياء الغنية، ومناطق العاصمة السفلى والمدن الأخرى وهلم جرا.

ومع ذلك، يجب ملاحظة أنه رغم جميع جهود الامبريالية، بقى العمال الواعون طبقاً خارج الأعمال المعادية للحكومة.

دمجت حملة الدعاية الرجعية الشريرة كلاً من الخوف والكراهية والأوهام حول «إزاحة الطريق الديمقراطى»، زاعمة أن هذا يجعل من الممكن «إعادة بناء تشيلى»، وحرضت لذلك على الإطاحة بالرئيس الليندى. فقالت البيانات، بشكل خاص «نحن النساء التشيليات لا نستطيع الانتظار حتى سنة ١٩٧٦، لأنه، فى السنوات الأربع القادمة، سوف تقيم الشيوعية دكتاتورية الجوع، بشكل تام. لذا يجب استبدال الحكومة الماركسية، بدون تأخير».

فالدعاية الرجعية، كانت تشوه أولئك الذين فى السلطة، فروّجت الإشاعات حول النزاع داخل الوحدة الشعبية والحكومة، واصفة حكومة الليندى بأنها «مضطهدة» الشعب. ولتحقيق هذا الهدف، استغلوا كل خروج فوق يسارى وخصوصاً MIR. فصحيفة El-Mercurio لم تجر أية مقابلة مع الناطقين باسم الحكومة، ولكنها جعلت صفحاتها متيسرة ومفتوحة لقادة MIR، الذين لا يهاجمون الرجعية، بل يهاجمون إجراءات الحكومة، وينفثون سم غضبهم، قبل كل شئ، على الحزب الشيوعى.

لوضع الشعب فى معارضة الحكومة، كانت الرجعية، تلعب بمطالبي «المتطرفين اليساريين» الاقتصادية، التى لا يمكن تحقيقها، وأيضاً بنداياتهم حول «القطب الثورى» المعارض للحكومة. وحينما كانت تتم مناقشة أن البلاد تتجه إلى «الفوضى» بسبب نشاط الحكومة، كانت تدعى الرجعية بأن الرئيس الليندى يلقنه المتطرووفون اليساريون. وأما حينما تتهم الحكومة «بالاستبدادية»، فإنها كانت تلصق بالوحدة الشعبية جميع الخصال السلبية لـ MIR.

وتتقدم توصيات إدارة الحرب فى الولايات المتحدة فكرة واضحة عن كيفية تخطيط الامبريالية لتمزيق وحدة القوى الشعبية. فيقول كتيبها «حينما لا تستطيع الهجوم مباشرة، استخدم الدسائس. وزيادة الاحتكاكات ومحاولة إثارة الشقاق ... ومن ثم التحريض على الخلاف والصراعات الداخلية، وإثارة عدم الثقة والشك».

وبجانب هذا، كانت الدعاية الرجعية تسعى، دائماً، لزعزعة الثقة بأولئك الذين فى السلطة، وتشويه سماتهم الشخصية على طريقتها. فلم تتردد، أبداً، بقذف الرئيس اليندى بشتائم فاضحة، والدجوء إلى الابتزاز الصريح، باستخدام صور مزيفة .. وما إلى ذلك، فأسلوب الحرب النفسية هذا كان قد صُدر، أيضاً، بواسطة امبريالية الولايات المتحدة.

وكان للحرب النفسية ونتائجها تأثير مباشر على القوات المسلحة وعلى «النطاق» المدنى المحيط بها. فالحجوز فى إمداد الطعام، والاضطراب الاقتصادى، وحملة الرعب الماثرة فى الأحياء البرجوازية والمحطات العسكرية، وتشكيل وحدات «الدفاع الذاتى»، ومناخ عدم اليقين والتلاعب السيكلوجى بالأسر، أدى إلى ازدياد الهياج بين العسكريين ومحيطهم المدنى. مثل هذه العوامل، كالحرب المؤسساتية فى البرلمان والقضاء ووكالات الرقابة والإشراف والهجمات الهائلة بواسطة الدعاية الرجعية، تشكل «دليلاً» على عدم (شرعية) الحكومة، التى كانت بالمقابل مشحونة «بالفوضى» و «الاستبدادية». وهذا ما كان له أثر بالغ على القوات المسلحة. وكانت هناك أعمال للسياسيين الرجعيين وزوجات ضباط الجيش ذوات العقلية الفاشية اللواتى قمن «بهجمات سيكلوجية» على أزواجهن من الضباط الوطنيين باتهامهم بعدم الشجاعة ... إلخ. وفى ممارسة القهر النفسى على القوات المسلحة، استغلت الرجعية، أيضاً، النشاط التحريضى للمتطرفين اليساريين بتباهيهم المفرط، وعلى وجه الخصوص MIR.

وكانت الامبريالية ترى أن الغرض الأساسى لهذه النشاطات، كما قيل سابقاً، هو إبعاد القوات المسلحة عن الحكومة الشعبية، وعزل الضباط الوطنيين المخلصين للدستور من وحداتهم ومن هيئة الضباط، بينما يتم، فى الوقت ذاته، تحريض

العسكريين على القيام بانقلاب.

وبينما يجرى الصراع ضد الامبريالية، تحقّق العملية الثورية العالمية، ككل، تقدماً ثابتاً. فتطور البلدان الاشتراكية، وقوتها المتنامية، والنفوذ المتزايد لسياساتها الخارجية، جذب اهتمام فئات كبيرة من سكان البلدان الرأسمالية والنامية. ويتنامى تأثير الأفكار الاشتراكية وفعالية المثل الثوري للاشتراكية الواقعية، وخصوصاً في سياق الأزمة العميقة، التي تحدق بالنظام الرأسمالي، ككل. فاستخدمت الامبريالية والقوى المسيطرة على مصالح الاحتكارات المتعددة القوميات وركزتها الراحبة الأخيرة: الفاشية، وذلك في محاولتها اليائسة، وغير المشمرة لإيجاد مخرج من هذه الأزمة. ونحن هنا لا نقصد التطرق لتعقيدات الايديولوجيا الفاشية، ولكننا نود أن نوجه الإهتمام إلى ظروف معينة، طرحتها التجربة التشيلية من وجهة نظر القضايا التي تقوم بتحليلها.

فالشرط الضروري لكل تلاعب سيكولوجي للرجعية هو تشويه الواقع في أعين الناس. وكانت نتيجة ذلك أن فئات معينة من السكان أصبحت تعتقد بهذه التزييفات الامبريالية. وللاقتباس من كتيب العمليات السيكولوجية، كان من الضروري «خلق المصادقية والحفاظ عليها»، بدون اعتبار «المصادقية» «كرديف للحقيقة». فالحقيقة الشامة لم تكن ضرورية، ولا ينصح بها. بعض الحقائق يجب تحويرها «طبقاً للموضوع العام». ومع ذلك خفضت كل من الحرب السيكولوجية والإرهاب إلى تلاعب أوضح «بموضوعات عامة» تم الإعداد لوعيتها عبر عقود من العداء للشيوعية. فالنظام الاجتماعي التشيلي، وتطور العملية ذاته، في الفترة من ١٩٧٠-١٩٧٣، أدى إلى وضع أصبحت فيه سياسة الإرهاب مثل سياسة العداء للشيوعية السابقة التي انتشرت بالتدرج بين شرائح كبيرة من البرجوازية والبرجوازية الصغيرة، شكلاً للايديولوجية مترابط منطقياً ومصنفاً بشكل كاف. لن تستطيع طبقة كانت في الحكم، منذ زمن مبكر، ولأسباب طبقية، أن تملك أيديولوجية تقدمية. لأنها، من الناحية الأخرى، لم تعد في موقع تستخدم فيه ديمقراطية البرجوازية الليبرالية المأزومة، والتي عفا عليها الزمن، كوسيلة لتعبئة الجماهير. وكنتيجة لذلك فإن ملاءمة الفراغ الأيديولوجي بسياسة «غير عقلانية»

أصبح عاملاً فى تنظيم وتعبئة الجماهير، وأدى إلى ظهور الملامح البغيضة للفاشية التشيلية. إلا أن عقلانياتها هى التى مكنت الأيديولوجية الفاشية من تشكيل قوالب جامدة للوعى الاجتماعى، كما تشاء فتبدأ الدولة الفاشية فى العمل كتعبير عن إرادة الأمة، وتستبدل الصدامات الطبقيّة بالصدامات بين الأمم، التى هى، بالمقابل، تعتبر كائناً هياً بـسيكولوجيته ومزاجه المحدد الموروث من أسلافها، فينظم المجتمع ليس على أساس الدور الحاسم للموقع الموضوعى للناس فى نظام الإنتاج الاجتماعى، بل على أساس مثل هذه «التركيبات العضوية الحيوية»، مثل النقابات، والشركات، والأسرة، والدولة.

بينما لم تكن المفاهيم العرقية بعيدة عن الأيديولوجية الفاشية (وإن كان من الممكن إعادتها إلى طابعها التابع)، إلا أن كل النقاط المذكورة أعلاه موجودة، بالرغم من ذلك، من التعابير النظرية، والسياسية لأيديولوجية الرجعية التشيلية. فأدت الظروف التشيلية إلى ظهور هذه المفاهيم، وتبنتها الإمبريالية، لتحقيق أهدافها، من خلال خبراتها فى إدارة الإرهاب السيكلوجى. وهكذا، قدمت الإمبريالية مساهمة حاسمة فى صياغة استراتيجيّة وتكتيك القوى الرجعية، والافتتاح النظرى للسيكولوجيا الاجتماعية للفاشية.

كشفت الأحداث فى تشيلي، من وجهة نظرنا، أنه فى فترات الهبات الاجتماعية، يصبح العامل الذاتى أحد العوامل الأكثر أهمية. مثلاً «معنويات» الجماهير المنتفضة، وهو عامل تعول عليه الرجعية أهمية استراتيجية. إذ أن الرجعية، فى بحثها عن عوامل «عدم الاستقرار»، لا تميل إلى الأفكار الأيديولوجية والعملية للوعى الاجتماعى للجماهير، بل تؤثر مباشرة، على عواطفها. وبهذا يمكن أن يقال بأن الجماهير تُمنع بهذه الطريقة من تحقيق مصالحها، التى هى بدون شك، ستعمل على دفع جزء جوهري منها، لينحاز إلى الحكومة الشعبية.

وقد بينت التجربة أن الطبقة العاملة الثورية يجب أن تعتمد على عناصر أيديولوجية من الوعى الاجتماعى، متطابقة مع المعرفة العلمية للقوانين الاجتماعية إذ أن السيكلولوجيا الاجتماعية للجماهير تتطلب أساساً عقلانياً.

وبالمقابل فإن الحماس الثورى يقوى الصناعات الأيديولوجية للجماهير راديكالية. فكل ما استفعله الامبريالية هو التأثير على العواطف اللاعقلانية، ومن ثم سوف تصبح الأيديولوجية القائمة على هذا الأساس حتماً أيديولوجية لا عقلانية، ومدمرة وغير تاريخية.

ومع ذلك، يشكل كل هذا درساً للحركة الشعبية، لأننا فشلنا فى خوض معركة ضد العدو الطبقي، فى مجال السيكلوجيا الاجتماعية، ولم نستخدمها لحشد الجماهير الثورية. والآن، أصبحنا مدركين الأهمية البالغة لأن نأخذ فى الاعتبار السيكلوجية الاجتماعية للجماهير، حينما نحلل وضعاً ملموساً. وكان مؤسسو الماركسية اللينينية يشيرون، باستمرار، إلى هذه العوامل، كجزء أساسى دائم فى بنية السياسة العلمية. فكان كل تحليل لهم يعطى تحديداً دقيقاً لمزاج الجماهير كعامل حاسم فى توازن القوى فى اللحظة المعنية. «لم نكن نستطيع الاحتفاظ بالسلطة، لا من الناحية المادية، ولا السياسية»، (فى حالة الانتفاضة)، وكتب لينين، أيضاً «لم نكن نستطيع الاحتفاظ بها، مادياً، حتى مع أن بتروجراد كانت، لأوقات، فى أيدينا، لأنه لم يكن، فى ذلك الوقت، عمالنا وجنودنا على استعداد للقتال والموت من أجل بتروجراد. ولم تكن، فى ذلك الوقت، كراهية «خيارية» أو حاقدة على كل من اتباع كرنسكى، وتسيرتيل، وتشيرنوف. فمازال شعبنا غير مستوعب لتجربة اضطهاد البلاشفة، التى شارك فيها كل من الاشتراكيين الثوريين والمناشفة» (\*).

وما حدث فى حالتنا هو أننا فشلنا فى القيام بالتقييم المناسب لطاقة الجماهير ولكراهية العمال الطبقيّة المقدسة للامبريالية والفاشية.

وتضيف دروس النضال القاسية ضد الفاشية تدريباً شيوعياً لحزبنا، نؤثر مباشرة فى سيكلوجية شعبنا الاجتماعية، وترى وتنضج وعيهم الثورى، ومع ذلك، فإننا لا نرغب لأحد أن يدخل مثل هذه المدرسة الصعبة. وكان الشعب التشيلى يود لو سلك طريقاً آخر، ولكن شعبنا يغلى الحقد فى صدره ضد

---

(\*) لينين المجلد ٢٦، ص ٢٤.



الفاشية، وبهذا الحقد أصبح الناس على استعداد أن يضضحوا بحياتهم من أجل الحرية.

لم يتفحص منظرو الإرهاب والحرب السيكلوجية حقيقة أن الناس لم يفقدوا لا حسهم السياسى العام، أو روحهم الاقتصادية، التى لا تقهر. وأن الخوف الذى تملك بعضهم، يتحول ببطء، ولكن بعناد، إلى كراهية طبقية، لا تقاوم. لذلك ينتج رعب الحكم الفاشى فى الشعب؛ فتجرى المطاردات الوحشية للشوريين، فضلاً عن سياسته فى المذابح ومعسكرات الاعتقال.

فالشعب غير محب للانتقام، وسيكون الناس قادرين على التمييز، بشكل خاص، بين أعدائهم الحقيقيين أولئك الذين ضلوا أو فشلوا فى إيقاف القاتل، ونذائته- فوعى الناس الخاص سوف يكون قاضياً صارماً. ولكن علينا أن نقتبس من لويس كورثالان فى هذا المجال «أن قاتلى، وجلادى DINA، وبينوشيت وزمرته، التى تلطخت أيديهم بدماء الشعب، يجب أن يعاقبوا حسب ما يستحقون».

إن قوتنا تكمن فى تنظيم وتوعية وتصليب الشعب، الذى سوف يسعى لدوره التاريخى، وي طرح الحل الصحيح. والذى سوف يستخدم جميع أشكال النضال ضد الأعداء، ليغيب ليل الفاشية، ويبزغ فجر جديد، مثل الذى تحدث عنه الرئيس اللىندى.

\* \* \*

هوامش:-

(١) ٣١ آب ١٩٧٢، ص٦، El Siglo

(٢) جميع الاقتباسات من «العمليات النفسية» هنا فى الأماكن الأخرى أعيدت ترجمتها عن الأصل الأسبانى لهذه المقالة - المحرر.

(٣) جريدة يومية يملكها Edwards Clan، جماعة مالية تشيلية رئيسية، مرتبطة بدعم مالى مناسب من حملة احتكارات الولايات المتحدة ضد حكومة الوحدة الشعبية.

(٤) حركة الجناح اليسارى الثورى، منظمة يسارية متطرفة ارتكبت أعمالاً عديدة ضد برنامج الوحدة الشعبية، وحاولت إقامة «سلطة» موازية لسلطة الحكومة الشرعية.

\* \* \*

## دور وطابع العوامل الخارجية

### مونويل كانتيرو

عضو الهيئة السياسية

الحزب الشيوعي فى تشيلى

|||||

موجز

السياسة الخارجية لحكومة الوحدة الشعبية كلاً من التقاليد الغنية للنضال من أجل الاستقلال ومتطلبات عصرنا: فكانت سياسة عميقة فى وطنيتها، دائمة العداء للامبريالية.

فقررت الحكومة الشعبية، من أجل تحقيق الاستقلال الاقتصادى والسياسى، رفع مستوى التعاون والصداقة مع البلدان الاشتراكية، ونجحت، فعلاً، فى هذا المجال، بشكل كبير. ووسعت صلاتها، أيضاً، مع البلدان الأخرى على أساس حق تقرير المصير، وما يتطابق مع مصلحة الشعب التشيلى. وهذه السياسة الخارجية المعادية للامبريالية، والمعبّر عنها، بشكل واضح، أصبحت الأساس لثمتين العلاقة مع البلدان غير المنحازة، وتقوية الصداقة والتضامن مع الشعوب المستعمرة والمتابعة وعلى وجه الخصوص أولئك الذين يقاثلون من أجل التحرر. وأيدت الحكومة، بإخلاص عدم التدخل، وقاومت كل محاولات التمييز، والضغط والحصار، التى تقوم بها القوى الامبريالية، وخاضت نضالاً دؤوباً من أجل السلام. فدعا البرنامج الأساسى لحكومة الوحدة الشعبية إلى العمل من أجل التحرر الوطنى والاجتماعى، والنضال ضد الاحتكارات واللاتيفونديات (العزب الكبيرة)، التى كانت السبب الأساسى لتخلف البلاد وفقر الكادحين، وعبر البرنامج بوضوح، عن رغبة الشعب فى أن تكون تشيلى بلداً مستقلاً وقويا. فكانت سياسة الحكومة الشعبية مربوطة، عضواً، بنشاطات كل القوى التقدمية التى تشق طريقها من أجل الانفراج والسلام، والاستقلال الوطنى، والتقدم الاجتماعى، وتلقى تأييداً شعبياً فى العالم، كله وأتى اجتماع الرئيس اليندى مع رئيس

الأرجنتين، لانوسى Lanusse، كضربة لسياسة الامبريالية «فى حدودها الأيديولوجية». كانت زيارات الليندى لكل من بيرو، والمكسيك، وفنزويلا، وكولومبيا، والأكوادور، وكوبا، والجزائر، والاتحاد السوفيتى، تعبيراً عن عمق الصداقة والرغبة المخلصة فى التعاون. وكان الاستقبال اللائق للرئيس الليندى فى الجمعية العمومية للأمم المتحدة، كانون أول ١٩٧٠، والاستجابة الواسعة للخطاب الذى قدمه، دليلاً على مدى وفعالية السياسة الخارجية للحكومة الشعبية.

واستمراراً لأروع تقاليد النضال التاريخى الطويل لتشيلي من أجل الاستقلال والديمقراطية، رفعت الحكومة الشعبية علاقات تشيلي إلى مستوى أرقى وجديد، نوعياً وذلك فى علاقاتها السياسية والاقتصادية والثقافية مع البلدان الأخرى، وهذا ما يتطابق، تماماً، مع مصالحنا القومية ولم يسبق لبلادنا، من قبل، أن تمتعت بمثل هذه العلاقات الوثيقة، المتناسقة والشريفة مع بقية العالم. فالإجراءات المختلفة التى اتخذت لتقيد هذه السياسة عززت الاستقلال الوطنى لتشيلي وخلقت ظروفاً أكثر ملاءمة لتنفيذ إصلاحات سياسية، واقتصادية، واجتماعية، عميقة جداً.

صعدت الحكومة الشعبية إلى السلطة، ودشنت اصلاحاتها الأولية فى ظل نظام جديد للاستقطاب المتغير للقوى العالمية. فوجود وتنامى قوة البلدان الاشتراكية، والقوة الجذابة والنفوذ المتنامى للأفكار الاشتراكية على الشعوب على مستويات متطورة مختلفة، وبشكل واسع، والسياسة الخارجية للاتحاد السوفيتى، وخصوصاً نشاطها ومجهودها الفعال والدؤوب من أجل السلام، ومثال كوبا الاشتراكية، التى برهنت بأن انتصارات مشابهة، وتحولات مثيلة، يمكن أن تتحقق فى القارة كلها، والمدى المتنامى والمتعدد الأشكال لحركة العداء للامبريالية فى أمريكا اللاتينية، ونهوض حركة الاستقلال فى البلدان التى مازالت مستعمرة، الدور العظيم للطبقة العاملة الأوروبية والتأثير المتصاعد للأحزاب الشيوعية فى نضالها، وأخيراً نمو الحركة الديمقراطية فى قلعة الامبريالية - الولايات المتحدة -، كل هذه الخصائص كانت جزءاً من الوضع العالمى الجديد، وكان لها تأثير إيجابى على الأحداث فى تشيلي، وسهلت انتصار الشعب، وعمقت من العملية الثورية،

ورفعت من أهميتها العالمية.

وكان تطور العملية الثورية فى تشيلى سوف لن يكون مقبولاً، ما لم توجد قوى هائلة من العالم تعمل من أجل السلام والانفراج. ومن الناحية الأخرى فلن يكون معقولاً التعاطف والصداقة والآمال التى ولدتها أحداث تشيلى، فيما لو مازالت الامبريالية تحكم سيطرتها على كافة أرجاء العالم، وبدون منازع.

وانسجماً مع مبادئ الأمية البروليتارية، قدم الاتحاد السوفيتى ومعظم البلدان الاشتراكية مساعدة كبيرة لتشيلى من أجل تنفيذ محولاتها الاقتصادية والتحويلات الأخرى، ويقوم الشعب التشيلى غالباً، هذه المساعدة التى أصبحت بالنسبة للتشيلىين برهاناً ملموساً، باستمرار، إذ كانوا يستطيعون أن يروا كيف ساعدت الزوارق السوفيتية فى زيادة إنتاج الطعام الغنى بالبروتين، وكيف كانت العمليات التكنولوجية تحسن من صناعة النحاس، وكيف بدأت عملية البناء الواسعة لمساكن برىعية متدنية، وكيف بدأت المجمعات الزراعية الصناعية فى مساعدة الإصلاح الزراعى، وكيف كان يتم تدريب خبراء جدد. وبرهنت كوبا على تضامنها الأخرى الصادق بالمساعدة فى المجالات الاقتصادية والدبلوماسية والثقافية والخدمة الاجتماعية وتلقت الحكومة الشعبية، أيضاً مساعدة قيمة من المكسيك، ومن عدد من البلدان غير المنحازة. وكل هذا انعكس على المصالح الموضوعية المشتركة للشعوب فى استمرارية توسيع النضال ضد الامبريالية من أجل السلام والتقدم الاجتماعى.

هكذا أرسيت الأسس للتحسين المستمر لمستوى المعيشة المبنى على مجهودات عمل الشعب، والامكانيات الواقعية لإنهاء التبعية الاقتصادية والتكنولوجية للامبريالية بتضامن ودعم القوى التقدمية. ولهذا السبب حكمت الامبريالية على التجربة التشيلية بالموت.

فكل يوم يمر يجعل الأمور تزداد وضوحاً، كيف كان يتم التفاعل بين الامبريالية والرجعية المحلية، وهذا ما عمل على تقصير عمر العملية الثورية، بالرغم من النشاط الملائم للحركة الشعبية. إنها الامبريالية بالذات كانت تنفذ وتشرف على خطة الأعمال الثورية المضادة المنظمة ضد حكومة الوحدة الشعبية، حيث كان عملاء مجنونون ينفذون جزءاً من الخطة. وكانت الامبريالية هى التى

رسمت الاستراتيجية، ومراحل وأشكال الصراع، تاركة الـ CIA لتنفيذ خطتها الإرهابية.

فجميع جوانب نشاط الامبريالية كان محكوماً باستراتيجية وحيدة، وتحت إشراف إدارة وحيدة، تعمل بأموال غير محدودة تحت تصرفها. وكانت هذه الحقائق قد أثبتت في تقرير للجنة النواب في الولايات المتحدة، ترأسها السيناتور فرانك، شيرش Frank Church، وحقت هذه اللجنة في نشاط CIA في تشيلي، حينما كانت الوحدة الشعبية في السلطة. ما يلي هو الجزء النشط في صياغة وتجهيز السياسات التي وجهت ضد الحكومة الشعبية: إن مجلس الأمن القومي و«لجنة الأربعين»، التي تنسق نشاطات الإدارات الحكومية المعنية، ووكالات الاستخبارات والبتاجون، ووزارة الخارجية والقوات المسلحة (كان رئيس اللجنة هنري كيسنجر وكل حركة تقوم بها يجب أن تأخذ الموافقة المباشرة والعاجلة للرئيس نيكسون). إن جزءاً من هذه الآلية المدمرة عرضه الرئيس الليندي بإعلانه أسرار وثنائـ IT&T، والتي من بينها أعدت، بعناية، خطط منع الليندي من تسلم الرئاسة، سنة ١٩٧٠.

فالعمل ضد حكومة الوحدة الشعبية كان قد خطط، وأعد له على مدار سنوات عدة. وعلى سبيل المثال، ففي عام ١٩٦٥، صُدمت البلاد بفضح الحزب الشيوعي للأهداف الواقعية لخطة البحث الاجتماعي التي عرفت باسمها السري Camelot. فالفكرة التي كانت بالنسبة للجامعات التشيلية، بالاشتراك مع البتاجون والجامعة الأمريكية للمجتمع، هي تحليل الطاقة الثورية الكامنة لتشيلي (و بدون شك، لأخذ الإجراءات الضرورية المضادة). فعلى مدار هذه السنوات وظفت الامبريالية تقنيات واسعة المدى: فاستخدمت فرق السلام كمركز للمعلومات، والتوغل بين الجماهير، كانت تستخدم المنظمات النقابية الأمريكية للتغلغل في الحركة النقابية التشيلية لشقها، فبعض الأبحاث التي كانت تقوم بها الجامعات التشيلية كانت تمويلها الولايات المتحدة... إلخ. وبدأت لجنة الأربعين بالعمل في تشيلي قبيل انتخاب الليندي، وبعد ذلك توصلت الدعاية البرجوازية إلى نقطة خاصة في بث فكرة أن النشاط الامبريالي كان رداً على الإجراءات التي إتخذتها الحكومة

الشعبية ضد المصالح الأمريكية. وسجل تقرير شيرش Church بأن (الجنة أـ (٣٠٣ المتفرعة عن «لجنة الأربعين» قد ناقشت إجراءات عملية لمنع انتصار الشعب في انتخابات الرئاسة.

وكان أحد هذه الإجراءات، وأكثرها فعالية، هو التغلغل في القوات المسلحة، من خلال أساليب وتقنيات متنوعة. واستخدمت استراتيجيات «أمن نصف الكرة الأرضية» الرجعية من أجل التغلغل المنظم لسياسة العداء للشيوعية داخل الجيش ولإعداد الكادر لمقاومة «التخريب»، فكل شيء قد عمل لاستخدام الجيش خدمة لمصالح الامبريالية.

ففي عام ١٩٥٢ عقدت حكومة فيديلا (Videla) الخيانية اتفاقية دفاع ثنائية مع الولايات المتحدة، وبهذا وضعت بلادنا ضمن برنامج المساعدات الأمريكية العسكرية. وفي فترة لاحقة، بعد انتصار الثورة الكويتية، وجهت معظم المساعدات إلى تشيلي من أجل إعداد قواتها المسلحة لقمع «الانتفاضات»، وهذا يعني محاربة شعبهم. ففي الواقع كانت تشيلي تتلقى «مساعدات» أكثر من أي بلد آخر بالنسبة لكل فرد، وكذا من الناحية الإجمالية. ففي الفترة من ١٩٥٠-١٩٦٨ تلقى التدريب حوالي ٢٠٦٤ من رجال الخدمة السرية التشيليين في الولايات المتحدة وأكثر من ٥٤٩ منهم في منطقة قناة بنما. فطبقاً لوثائق الولايات المتحدة الرسمية ضوعف برنامج التدريب في بنما، سنة ١٩٦٨، وضوعف مرة أخرى، في الفترة من ١٩٧٠-١٩٧٣. واصطحب هذا بإمدادات ضخمة من المعدات العسكرية. وسجل تقرير Church بأنه في حزيران ١٩٦٩، «طلبت محطة الـ CIA في سنتياغو الإذن لمنحها إقامة برنامج سرى لتوسيع تنظيم شبكة الاستخبارات في القوات المسلحة التشيلية من أجل الإعداد لانقلاب. وكان العمل بالبرنامج مستمراً، لمدة أربع سنوات، ويضمن تجنيد عملاء في الأسلحة الثلاثة للجيش التشيلي (برية، بحرية، وطيران). فكانوا ينتقونهم ابتداء من قادة الأفواج حتى الملازمين، ومن الجنرالات المتقاعدين حتى ضباط الخدمات الإدارية والأفراد العاديين. واستمر هذا، حتى نهاية ١٩٧١، وفي بداية ١٩٧٢ كشفت أـ CIA برنامج تغلغلها في الجيش. وأشارت تقارير دوائر المخابرات حول تقدم

عملية تخطيط الانقلاب إلى فترتين محتملتين، بشكل حاسم، إحداهما فى الأسبوع الأخير من حزيران ١٩٧٣ (إضراب الدبابات) والثانية فى نهاية آب والأسبوعين الأولين من أيلول» (١).

وكانت الامبريالية تقول، بانتظام، القادة السياسيين والصحف الرجعية والنقابات ومنظمات الطلاب. فى القارة كلها. ويقول تقرير Church إن «لجنة الأربعين» خصصت مبالغ كبيرة لدعم وسائل الإعلام المعارضة فى حملاتها الدعائية «الفاشية». وكانت تقدم هذه «المعونة» تحت ذريعة مزيفة وهى أن حرية الصحافة أصبحت فى خطر، فى ظل الحكومة الشعبية. فقام اتحاد الصحافة الأمريكية الدولية بمغازلة وسائل الإعلام الأكثر رجعية فى القارة التى فعلت الكثير على نفس التوجهات. وطبقاً لوثائق CIA المدونة فى تقرير Church، لعب هذا دوراً كبيراً فى إعداد المناخ للانقلاب العسكرى، فى سنة ١٩٧٣.

وكانت الإطاحة بالحكومة الشعبية على رأس أولويات أهداف الامبريالية. ليس لأنها أرادت فقط، الحفاظ على مصالحها الاقتصادية فى تشيلى، بل لأنها كانت تتوق، بشكل أساسى، لمنع انتشار التجربة الثورية التشيلية فى بلدان أخرى، وخصوصاً، منع تأثيرها على مستقبل أمريكا اللاتينية. وهذا واضح وجلى من المذكرة التى تمت صياغتها بواسطة CIA، بعد أيام قليلة من انتخاب سلفادور الليندى للرئاسة.

وتقول المذكرة، توصلنا إلى الاستخلاصات التالية، بالنسبة لتهديد مصالح الولايات المتحدة:- (١) ليس للولايات المتحدة مصالح قومية حيوية فى تشيلى، إلا أن الخسائر الاقتصادية جديرة بالاهتمام، (٢) وسوف لن يختل توازن القوى العالمى كثيراً بوصول حكومة الليندى إلى السلطة، (٣) إلا أن انتصار الليندى سوف يتضمن خسائر سياسية وسيكولوجية كبيرة: (أ) بوصول حكومة الليندى إلى السلطة وردة الفعل التى سوف تثيرها فى البلدان الأخرى، والتحدى الذى سوف تجلبه إلى منظمة الدول الأمريكية OAS، حيث يمكن أن يشكل خطراً على نصف الكرة الأرضية ...، (ب) سوف يشمل انتصار الليندى هزيمة سيكولوجية خاصة بالنسبة للولايات المتحدة، وانتصاراً حاسماً بالنسبة



للأيدولوجية الماركسية، (٣) والصدى الدولى للعملية الثورية التشيلية دفع الإمبريالية للعزل، لأن هذه العملية برهنت على الإمكانية الواقعية لأخذ السلطة سلمياً، بواسطة الشعب، وطُرحت تفسيرات عميقة جداً فى بنية الآلة الحكومية البرجوازية.

بينما كانت الإمبريالية تجرى وراء هدفها الأساسى، إلا أنها كانت متلهفة، بالطبع، للدفاع عن مصالح الشركات المتعددة القوميات الكبيرة التى كانت تعمل فى تشيلى فى سنة ١٩٧٠ كانت تشيلى بلداً تابعاً يعتمد بشكل كبير، على تجارة تصديرية أحادية البضاعة. وكانت تشيلى بلداً مستورداً لكثير من البضائع، وخصوصاً الاستراتيجية منها، التى تأتى من الولايات المتحدة. وكان النظام المالى التشيلى ذليلاً للنظام المالى الأمريكى. فكان العجز فى التجارة التقليدية وميزان المدفوعات يغطى بقروض أجنبية أكثر، ويتدفق غير محدود أو محصور لرأس المال الأجنبى، وخصوصاً فى الصناعات الأساسية. فى الستينات كشفت الامبريالية تغلفها فى الصناعات الديناميكية التطور، وبذلك، حافظت احتكارات الولايات المتحدة، أيضاً، على مواقعها القوية التقليدية فى التعدين. فى سنة ١٩٦٨ كانت الشركات الأجنبية تسيطر على أكثر من سدس رأس المال المستثمر فى الصناعة: ٦١ مشروعاً من مائة مشروع ريادةى فى البلاد، كان يدخل فيه رأس المال الأجنبى، وأربعون مشروعاً منها تحت السيطرة الأجنبية التامة (٤). وكان هذا كله يعنى أرباحاً فاحشة للمستثمرين الأجانب. فقال الرئيس الليندى، فى اليوم الذى أُممت فيه شركات تعدين النحاس، بأن الأرباح التى حصلت عليها شركات الولايات المتحدة، فى الفترة بين سنة ١٩٣٠، وسنة ١٩٧٠، يزيد على ١٥٧٦ مليون دولار، والخسارة التى تسببت فى ريع التصدير الذى لم يعاد إلى تشيلى، فى الفترة ذاتها، بلغ ٢٦٧٣ مليون دولار، مع أن الاستثمارات الأولية لهذه الشركات كانت ما بين ٥٠-٨٠ مليون دولار (٥).

وهناك، أيضاً، شركات أخرى متعددة الجنسيات، على سبيل المثال IT&T، التى لعبت مثل هذا الدور المميز فى الهندسة للثقل، كانت تتمتع باستمرار بأرباح متزايدة. علاوة على أنه عينت لجنة للتحقيق فى عمليات IT&T فى

تشيلي، فوجد أن هذه الشركة، قبل صعود الحكومة الشعبية، كانت تعد للتغلغل فى عديد من فروع الاقتصاد الأخرى - السيليلولوز، والورق والالكترونيات والمعدات الأليكترونية، معالجة النحاس، الإطارات، الملح الصخري (نترات البوتاسيوم) وحتى الربيع المنخفض للمساكن، وكذا الملح.

وكانت الامبريالية تستخدم كل وسيلة متوافرة لنسف الإصلاحات البنى تنفذ فى تشيلي، بالإضافة إلى أنها كانت أكثر اهتماماً بمنع انتشار «مذهب الليندى» فى بلدان أخرى. ولن يكون لانتشار التجربة التشيلية فى تأميم شركات النحاس الضخمة عواقب حميدة، بالنسبة للشركات المتعددة الجنسيات، التى تعمل فى بلدان تابعة أخرى. وكانت الإمبريالية تعلم ذلك جيداً، أيضاً، فإذا ما نجح الإصلاح عن طريق التأميم، فلسوف يكون له صدى خارج حدود تشيلي. علاوة على ذلك، فى الوقت الذى كانت الإمبريالية تبذل فيه جهداً يائساً لمنع تأميم المصادر الأساسية فى البلدان التابعة، كانت شعوب وحكومات بلدان آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية تقاوم، بكل طاقتها، مثل هذه المحاولات، فانتشار التجربة التشيلية كان قادراً على أن يثبت أنه حاسم وكان تأميم الاستثمارات الأجنبية فى ثلث بلدان العالم يتحدث عن الضرر التى وجهت للشركات المتعددة الجنسيات، وما كان يشعرهم بألم أكثر نتيجة للتأميم ليس، فقط، خسارتهم لممتلكاتهم، بل، أيضاً، الأرباح الفاحشة التى كانوا يجنونها، والتى تعتبر أعلى من المستوى الطبيعى. ولهذا كان «مذهب الليندى، مبنياً، بالضبط، على ذلك المبدأ الذى سيقضى على نفس. أسس رأس مال الإمبريالية. وخول الإصلاح الدستورى، بتأميم شركات النحاس الكبرى الذى وافق عليه البرلمان بالإجماع، الرئيسى أن يحدد دفع التعويضات للشركات الأجنبية، بناء على الاستيلاء الكامل والجزئى على الأرباح الزائدة (وتشمل هذه الأرباح، الربح السنوى لاحتكار أمريكا الشمالية فى تشيلي منذ أيار ١٩٥٥). ولما كان الرئيس مخولاً فى تحديد مستويات الربح، فكل ما يزيد على هذه المستويات كان يعتبر ربحاً زائداً. وهذا ما مكن تشيلي من استعادة أرباح هائلة، تراكمت لدى احتكارات الولايات المتحدة، على مدى خمسة عشر عاماً.

كانت أرباح احتكارات أمريكا الشمالية «المحولة» إلى الولايات المتحدة تعادل عدة أضعاف استثماراتهما في تشيلي. علاوة على أن شركات Anaconda، Kennecott (أناكوندا، وكينى كوت). «هما الشركتان المستغلتان الأساسيتان لمناجم نحاسنا» كانتا ترباحان في تشيلي أكثر، بل في الحقيقة أكثر بكثير مما يرباحان في أى جزء من العالم. على سبيل المثال حصلت إحدى الشركات التشيلية التابعة لـ Anaconda في الفترة بين ١٩٥٥-١٩٧٠، على ربح سنوى، بمقدار ٢١٥٪ هذا بالمقارنة مع ٣٦٪ في بلدان أخرى. حتى شركة كينى كوت Kennecott كانت تعمل بشكل أفضل- كان متوسط ربحها السنوى ٥٢٨٪ وفى بعض السنوات ١٠٠٪. وفى الواقع صعدت، سنة ١٩٦٩، إلى نسبة ٢٠٠٪ هذا بالمقارنة مع ١٠٪، فقط، في بلدان أخرى. وللاقتباس من الرئيس الليندى «كان قد وصل، فى الحقيقة، ربح بعض الاستثمارات المؤممة، فى السنوات العشرة الماضية إلى أبعاد هائلة، لهذا بعد طرح تحديثات حديثة للربح، وصلت ١٢٪، سنوياً- كنا قادرين على استعادة مبالغ ضخمة» (٧). وكانت، بعد حسم هذه المبالغ من التعويضات، كل من (Anaconda Kennecott) الأناكوندا والكينى كوت مديونتين للحكومة التشيلية.

لهذا شنت احتكارات الولايات المتحدة وحكومتها حملة ضغط هائلة ضد تشيلي، حتى تمنع انتشار التجربة التشيلية إلى بلدان أخرى تابعة. فرضت الأناكوندا حجراً على موجودات الحكومة التشيلية فى الولايات المتحدة. وكانت الكينى كوت تصدر إرساليات النحاس التشيلي، وتبيعه فى فرنسا وهولندا والسويد. وكانت الفكرة بالطبع هى منع تشيلي من كسب عملة أجنبية، وذلك بإفساد نظام تصدير النحاس، وخنق البلاد، بالحصار المالى.

وعلقت مجلة تايم Time فى عددها رقم ٦ لسنة ١٩٧٢: «من الواضح أن هجوم كينى كوت يحدث بسهولة أضراراً بمبيعات النحاس المستقبلية إلى زبائن لا يرغبون المخاطرة. بالدخول فى مشاحنات قانونية، ليصبح بعدها التأخير فى التسليم مكلفاً».

وكان مطلوباً من موظفى Kennecott أن يبتقوا على اتصال بتشيلي.

فمكتب المجلس العام لمانهاتن Manhattan، تحت إمرة ماك كيرى Mc Creary، الذى يدير الحملة، حيث كان مكتبه يشبه غرفة عمليات عسكرية، فتقارير عن السفن منشورة على مكتبه، ومعلق على أحد حوائط الغرفة خارطة كبيرة من أجل تحديد أماكن السفن والطرق التى تسلكها ... وفى الوقت الحاضر يسيطر، على الأقل على حركة سدس السفن المتوجهة إلى أوروبا، والمحملة بمعدن الثنك، وحينما تصل يود أن يكون وكلاؤه هناك ليحيوها بأوامر المحكمة».

وكان من الواضح، تماماً، أن الاحتكارات المتعددة القوميات التى كانت مصالحها قد تأثرت أكثر لم تكن هى الأطراف الوحيدة المعنية بهذا الهجوم. إذ قد حاولت حكومة الولايات المتحدة أن تقوم بإعادة النظر فى ديون تشيلى الأجنبية المشروطة بدفع التعويضات لاحتكارات الولايات المتحدة، إلا أن هذا مخالف للقوانين الدستورية للتأميم. فجعلت واشنطن هذا شرطاً، أيضاً، بالنسبة لتشيلي، حتى تستطيع أن تأخذ قروضاً من المنظمات الدولية، مثل البنك الدولى، وصندوق النقد الدولى.

فلم يكن هذا الهجوم ضد تأميم النحاس «ومذهب اللينى» مفاجئاً جداً لنا؛ فحينما يجد الإمبرياليون أن مصالحهم فى خطر، فإنهم يستعدون لشن حرب بائسة دفاعاً عن خندقهم الأخير. فكان على تشيلى حتى تواجه ذلك، أن تتبع سياسة خارجية من نمط جديد، تلك السياسة التى تلائم مصالحها فى التجارة الخارجية، وحماية احتياطات عملتها الصعبة، وكل هذا كان مرتبطاً، مباشرة، بالإصلاحات التى نفذت بقصد تأكيد استقلالية السياسة الخارجية.

وكان يعنى تأميم النحاس والحديد والسماد الكيماوى، بأن جزءاً جوهرياً من تجارتنا التصديرية قد نقل ليصبح من اختصاص وكالات الدولة - فى عام ١٩٧١ قدر أن تصبح نسبة صادراتنا، سنة ١٩٧٣ ٨٤٪، حيث حققنا، بنجاح، نسبة ٤٩٪. وأما صوره الواردات فهى كما قدرت وكالات الدولة: بأن نسبة الواردات، سنة ١٩٧١، ٥٥٪، فوصلت لدرجة ٧٥٪، فى سنة ١٩٧٣، وكانت رقابة الدولة ذات أهمية خاصة بالنسبة لتخطيط وتطوير التجارة الخارجية فى تنقية بنيتها المشوهة (وذلك بتقليل حصة الولايات المتحدة، والتحول نحو إقامة علاقات تجارية

مع البلدان الأخرى)، وفي مواجهة السياسات الإمبريالية العدوانية، أيضاً. فمكشنا تأميم النحاس والبنوك، لنخطو خطوة واسعة في اتجاه مركزية إدارة احتياجاتنا من العملة الصعبة، التي كان معظمها موضوعاً في حسابات الأناكوندا والكيلى كوت، في البنوك الأجنبية. وبذلك نكون قد قمنا بتقدم مهم نحو مركزية إدارة التجارة الخارجية، وعمليات التبادل الخارجية. فكانت بنية تجارة الدولة الخارجية تأخذ شكلها، تدريجياً، ويرتبط هذا بإجراءات أخرى، تمكنت الحكومة من إعادة تكييف علاقاتها الدولية.

فإذا كانت الإمبريالية، في النهاية، قادرة على تنظيم مثل هذه الأعمال الفعالة، وذات المدى البعيد من الثورة المضادة ضد الحركة الشعبية ذلك لأن الإجراءات التي اتخذتها القوى الثورية وحلفاؤها لم تكن حازمة، بشكل كاف. وكان، في الحقيقة، سوء تقدير واضح للعدو الأساسى، ويرجع هذا إلى الفهم النظرى والعملى غير الملائم لدور وخطر الإمبريالية. وكان يجب رؤية هذا التقييم الخاطئ في سياق الافتقار النسبى للمعرفة الصحيحة للسمات الثورية الأساسية للمجتمع التشيلى. وبالمقابل يعود هذا إلى المبالغة في تقييم بعض خصوصيات المجتمع التشيلى؛ فكانت هناك، من ناحية، أفكار، مبالغ فيها حول التغيرات الثورية التي أجريت على أساس شرعية مشكوك فيها، وكان، من الناحية الأخرى، رأى يقول إن الطبقة العاملة تستطيع أن تؤمن، لوحدها، تقدماً ناجحاً للعملية الثورية، دون الحاجة إلى أى مساعدة خارجية. ففي التحليل النهائى، كان يعود وجود ودور وجهات نظر خاطئة كهذه إلى سوء تقدير أهمية اعتماد القوى الثورية الكامل على الجماهير.

وكان هناك، أيضاً، عامل سلبى آخر: موقف بعض الأوساط من أساس حل المشكلات الاقتصادية كعنصر أساسى في الصراع من أجل السلطة، وسوء التقدير في مثل هذا الوقت الحرج، لأهمية مساعدة البلدان الاشتراكية، وعملياً، خلق هذا ظرفاً مناسباً لنشاط الإمبريالية والاوليجاركية التخريبى، وخصوصاً، في الاقتصاد، وتنامى سياسة «زعزعة الاستقرار» في جميع مجالات حياتنا القومية (٨).

فسياسة «زعزعة الاستقرار» التي تنفذها الإمبريالية، باستمرار، كانت مبنية على معرفة صحيحة لبنية الاقتصاد التشيلي، وإمكانياته المحدودة، نتيجة تبعيته المكشوفة، لسنوات طويلة. فحينما قال نيكسون يجب أن نجعل الاقتصاد التشيلي «يبكى» لم تكن هذه عبارة جوفاء. إذا كانت روابط التبعية قوية جداً، وكان كسرهما عملاً صعباً ومعقداً. يكفي أن نقول إنه، فى الفترة من سنة ١٩٥٠ إلى سنة ١٩٧٠، كان ٣٧٪ من الواردات وحوالى ٥٠٪ من بضائع الإنتاج تأتى من الولايات المتحدة. ولكن هذه الأرقام لا تعطى صورة صحيحة حول قرار «منع وصول برغى أو صمولة إلى تشيلي». كان يعنى، فى الواقع، كثيراً بالنسبة لبلادنا. فيجب أن يتذكر المرء تركيبة وارداتنا حتى يدرك معنى نتائج هذا القرار، حيث تشتمل على مواد لا يمكن الحصول عليها فى بلدنا، إذ أن ٩٠٪ من تجهيزات صناعة النحاس و٨٧٪ من قطع الغيار لصناعة البترول يجب أن تستورد من الولايات المتحدة، وكان الوضع فى التعدين شديد الشبه.

وكانت التبعية المالية التقليدية للولايات المتحدة مرهقة لنا، بشكل خاص. إذ كانت، عملياً، جميع العمليات المالية قصيرة المدى تدار من خلال البنوك الأمريكية الكبيرة، وحسب شروطها. أما الاعتمادات ذات المدى البعيد فكانت تأتى، بشكل رئيسى، من حكومة الولايات المتحدة ومن المؤسسات المالية الدولية، التى تسيطر عليها، بشكل كبير، وقوى الولايات المتحدة. وعلاوة على ذلك، لم تكن تمنح القروض إلا إذا كانت تتلاءم مع مصالح وأهداف الإمبريالية فى تشيلي.

أوقفت بنوك الولايات المتحدة الدفع فى تمويل القروض ذات المدى القصير، وذلك تمشياً مع سياسة «زعزعة الاستقرار». فكان التقدير الإجمالى للقروض المطلوبة أكثر من ٣٠٠ مليون دولار، إلا أنه، فى أيلول ١٩٧٠، خفض الرقم إلى ٣٢ مليون دولار، فقط. وأوقفت فعلياً معظم المنظمات الدولية الدائنة منح القروض لنا، لأنها تأخذ تعليماتها من حكومة الولايات المتحدة. فأدى «عدم الاستقرار» فى مجال التجارة إلى صعوبات متنامية فى الواردات، حتى عن طريق بلد ثالث. ويضاف إلى هذا، أيضاً، الحظر على التجارة والإجراءات التى اتخذت لمنع صادرات تشيلي من النحاس والبضائع الأخرى.

وتسبب الحصار الاقتصادى فى خراب كبير، ولم يكن ثمة مجال للشك بأن هذه المشكلات، التى فرضها «عدم الاستقرار»، جعل الأمور أكثر سهولة للثقلين. فممكنهم من أن يعتمدوا على شرائع معينة من السكان. وبالرغم من هذا، فقد أحبط الحصار، بشكل رئيسى. وهذا مهم، لأنه يبين بأن الفرص متاحة، ضمن النظام الدولى الحالى، لبلدان مثل تشيلى لتتجه سياسة مستقلة فى حربها ضد العدوان الاقتصادى الإمبريالى. فنحننا، تدريجياً، فى التغيير الجذرى للنمط الجغرافى لتجارتنا الخارجية. فقطعت الولايات المتحدة الواردات لنا بشكل فقط ولكننا كنا نحصل على المواد الخام وقطع الغيار والآلات من بلدان أخرى.

واستمرت الصادرات فى مجراها الطبيعى، باستثناء الحصار التجارى، الذى فرضته Kennecott. وغيرنا نحن نظام التمويل القصير الأمد، جوهرياً وذلك بعقد اتفاقيات مع البنوك فى البلدان الاشتراكية وبعض بلدان أمريكا اللاتينية وبلدان أوروبا الرأسمالية.

وبرهن فشل الحصار الاقتصادى وقد تأكد ذلك، أيضاً، من خلال العملية الثورية فى كوبا وفى عدد من البلدان الأخرى بأن احتكارات الولايات المتحدة لم تعد متفائلة. والآن مع تغيير ميزان القوى العالمى، فأى بلد يقرر طريق مستقل وحطم أغلال التبعية الإمبريالية، يستطيع أن يعتمد على الدعم من أماكن عديدة فأولاً، يستطيع أن يأخذ فى الاعتبار دعم البلدان الاشتراكية. وبرهن مثال تشيلى، أيضاً، بأن هناك فرصاً عديدة لإقامة صلات اقتصادية أوسع مع بلدان أمريكا اللاتينية. حقيقة أنها لم تستخدم هذه الصلات بشكل كامل لأن علاقات هذه البلدان الاقتصادية بمعظمها مع الولايات المتحدة، وبينت تجريتنا، أيضاً، بسبب التناقضات ضمن المعسكر الإمبريالى، يمكن أن تقام علاقات اقتصادية مع بعض بلدانه. فعلاقات تشيلى مع عدد من البلدان الرأسمالية المتطورة تقدمت طبيعياً، وفى بعض الحالات توسعت، بشكل ملموس.

ويتجلى التضامن الأسمى مع حكومة الوحدة الشعبية، فى أشكال عديدة مختلفة: من تعبئة مكائد الإمبريالية، بمنع تجارة وتصدير النحاس التشيلى لبلد ثالث، وتنظيم «متحف التضامن» حيث تبرع أشهر فناني العالم بأعمالهم.

ولا يمكن فصل التضامن الأسمى مع شعبنا بعد الانقلاب الفاشى عن المفزى العالمى للحكم الشعبى فى تشيلى. فانخرطت فى هذا التضامن قطاعات واسعة من الرأى العام، دون التنازل عن أى من الأمور المبدئية من جانبنا، بل على العكس، كان هذا التضامن كنتيجة للسياسة الأثمية الحاسمة التى إتبعتها حكومة الليندى.

فالوحدة الشعبية، التى هى تحالف سياسى واجتماعى واسع، قد تشكل وفاز بالسلطة، وقام بتنفيذ تحولات عميقة، ووسع علاقاته، بثبات، مع الاتحاد السوفيتى، ولم يقدم أى تنازلات فى مسألة العداة للسوفييت. جاء وجود الحكومة الشعبية فى تشيلى ومحاجاتها كإلهام لجميع الشعوب، التى تخوض معاركها من أجل الاستقلال والتقدم الاجتماعى وبرهنت التجربة التشيلية، من جديد، وبطريقة عملية جداً، بأن الحصار والتخريب الامبريالى قد خلق مصاعب جمة، ولكن يمكن التغلب عليها، حينما يتكاثف وعى ومجهودات الشعب مع تضامن ومساعدة من كافة أرجاء العالم.

\* \* \*

هوامش:-

(1) Informe de la comision church. Boletin informativo comite chileno de Solidaridad - La tlabana - cuba, No 84,1976 PP 10.12.

(2) نفس المصدر

(3) نفس المصدر، عدد ٨٥، سنة ١٩٧٦، ص٦

(4) Boletin Mensual Banca Central de chile, No 518, April 1971.

(5) Salvador Allende Discursos, Editorial de Ciencias Sociales, La Habana 1975 P.131.

(6) Principios, No 146, Julio-agosto 1972, P.51.



(7) Salvador Allende Discursos, P.536.

(8) WMR انظر المقالة O Millas في مجلة الماركسية العالمية  
تشرين ثان ١٩٧٥.

\* \* \*



# طريق الثورة غير المسلح كيف تحقق في تشيلي

لويس كورفالان

الأمين العام للحزب الشيوعي في تشيلي

~~~~~

نقذت ثورة بواسطة الشعب التشيلي، الذي فاز بجزء من السلطة، بعد أحد عشر عاماً من انتصار الثورة الكوبية، التي أوصلت الشعب إلى السلطة وتم التمسك بهذه المواقع، مدة ثلاث سنوات، بواسطة حكومة الوحدة الشعبية، التي طرحت، من خلال التحولات البنوية المعادية للإمبريالية، والاوليجاركية ثورة ذات أفق اشتراكي. وكان هناك إهتمام في كافة أرجاء العالم بالتغييرات التي جرت، في تلك الفترة أو خصوصاً، حقيقة أن الثورة سلكت طريقاً سلمياً، نفضل أن ندعوها، نحن الشيوعيين التشيليين، بالطريق غير المسلح (لأنها، من الناحية العملية، ليست كلها سلمية). وازداد الاهتمام، أكثر، بحقيقة أن الحكومة التي ترأسها الرئيس الليندي، قد خلقتها الحركة الشعبية المؤلفة من عدة أحزاب واتجاهات ديمقراطية مختلفة، ملتفة حول برنامج مشترك.

وكان ماركس هو أول من تنبأ بإمكانية حدوث الثورة السلمية ففي عام ١٩١٧، طرح البلاشفة، تحت قيادة لينين، مرتين، مسألة التطور السلمي للثورة، وتصرفوا على هذا الأساس. وأعطى لينين هذه المسألة إهتماماً كبيراً، ومع ذلك كان يعتقد أن الظروف المواتية لمثل هذا الاحتمال ستكون نادرة جداً. وتعتقد الحركة الشيوعية العالمية، بسبب الظروف الجديدة التي تشكلت الآن، بأن هذه الإمكانية أصبحت أكثر احتمالاً اليوم، ففي تشيلي، بعد انتصار كتلة الوحدة الشعبية، في انتخابات سنة ١٩٧٠، أصبح هذا الإمكان واقعاً. وحيثما إتخذت الثورات أثناء مسيرتها طريقاً سلمياً، عاشت العملية الثورية، لفترة قصيرة، وتقدمت في ظل ظروف خاصة، مباشرة بعد القضاء على الفاشية، أما في بلادنا

فقد تولدت الإمكانية الواقعية لمثل هذا التطور بتجربة دامت ثلاث سنوات. قد عانت الثورة التشيلية من تراجع مؤقت، ولكن مثل هذه المحصلة لا تدحض الافتراض بأنه فى بلدان أخرى، ولربما حتى فى تشيلى ذاتها، ستكون الطبقة العاملة وحلفاؤها قادرين على كسب السلطة السياسية، وتنفيذ ثورتهم، دون اللجوء إلى استخدام السلاح.

ولهذا السبب قام الثوريون فى عديد من البلدان بعمل دراسة وثيقة للتجربة التشيلية. فنحن من جانبنا، نعتقد بأنه من واجبنا أن نستخلص استنتاجات جوهرية من تطور العملية الثورية التى عززناها بنجاح، عبر فترة طويلة، وعلينا، أيضاً، تحليل أسباب الهزيمة.

فقد كسب الشعب التشيلى جزءاً من سلطة الدولة، وأمن منصب رئيس الجمهورية، عوضاً عن «الأغلبية البرلمانية المتينة» كما طرح، مثلاً، فى البيان الصادر فى سنة ١٩٦٠، عن لقاء الأحزاب الشيوعية والعالمية، حينما صاغت هذه الأطروحة حول الطريق السلمى للثورة. ومع أننى ما زلت مقتنعاً، تماماً، بأهمية وملائمة ذلك البيان، إلا أننى أذكر بأن الواقع أغنى وأكثر تنوعاً من أية أطروحة، ومع ذلك يمكن تصويبها، والتأكيد على تنوع أشكال وأساليب وطرق الثورة، التى تحدث عنها لينين، حينما كان يشير إلى المجال الواسع للنظرية الماركسية.

ولكن تجربتنا تنسجم جوهرياً. مع شئ ما آخر. إذ أكدت أن الطبقة العاملة قادرة على تنفيذ الثورة، عبر أى طريق، وطرحت-تصعيد تطور الصراع الطبقي، وتركيز النار على الأعداء الأساسيين، والمساعدة على التعجيل بالتغييرات التى نضجت فى المجتمع. وبهذا تلف أغلبية الشعب، وتخلق توازناً قوياً يمكنها من هزيمة الرجعية، وتكبيد يديها.

ففى الاجتماع الموسع للجنة المركزية لحزبنا، فى آب ١٩٧٧، توصلنا إلى هذا الاستنتاج: تشهد التجربة التشيلية بأن مسألة «من يهزم الآخر» تعتمد، قبل كل شئ، على الذى ينجح فى عزل خصمه عن الجماهير، والذى يتحول، نهائياً، ليصبح الأقوى: الطبقة العاملة وحلفاؤها أم الرجعية وحلفاؤها؟ فجميع مشكلات الثورة التشيلية التى قامت بحلها، والتى لم تستطع حلها كانت مرتبطة بهذه المسألة.

فاتخذت الطبقة العاملة وحلفاؤها، كتلة الوحدة الوطنية، الخطوط الأولى نحو السلطة - بالفوز بمنصب رئيسى الجمهورية فى انتخابات سنة ١٩٧٠، حينما كسبت الأغلبية، إلا أنها كانت، فقط، أغلبية نسبية. إذ أن سلفادور الليندى لم يفز فى الحقيقة، إلا بـ ٣٦٣٪ من الأصوات، فقط، وكانت هذه أكبر نسبة مئوية يكسبها مرشح ولم يحصل عليها أى من المرشحين الآخرين لهذا المنصب. وهذا لم يسو الأمور لحلء منصب الرئاسة. والسبب الأول، هو أنه فى حالة عدم تمكن أى من المرشحين فى الحصول على الأغلبية المطلقة، يكون القرار النهائى فى يد البرلمان. وثانياً، وهذه هى النقطة الأكثر أهمية، وهو أن كسب ٣٦٣٪ من الأصوات بين الطبقة العاملة وحلفائها بأن عليهم كسب قطاعات اجتماعية جديدة، وتوسيع إطار تحالفهم لإنجاز ائتلاف من القوى التى ستجعل من الممكن أن يملأ مرشحهم للرئاسة هذا المنصب ليقوم بعمل التغييرات المخطط لها فى برنامج حكومة الوحدة الشعبية، وأصبح هذا الأمر حاجة ملحة، حينما إتضح أن الامبريالية والرجعية التشيلية كانت تخطط لمنع سلفادور الليندى من تولى منصبه على رأس الدولة.

وكان هذا واضحاً بالنسبة لجميع أحزاب الوحدة الشعبية، فأصبحوا يتصرفون بناء على هذا. فاحتشدت جماهير العمال والفئات الأخرى فى الشوارع. وبذلت الجهود فى كل مكان لإقامة اتصال وتفاهم متبادل مع الدوائر الديمقراطية، التى مع أنها لم تصوت لليندى إلا أنها ما زالت تميل للقبول بهذا النصر وتحركت هذه الدوائر لاعتبارات متعددة: فبعضها تمسك بتنفيذ تأييد الرجل الذى فاز بالأغلبية، وآخرون كانوا يخشون الشعب، الذى لا يميل للتخلى عن مكاسبه، ولكن معظمهم وجدوا أن برنامج الوحدة الشعبية متجانس، ففضلوا الليندى على مرشح الجناح اليمىنى، الذى أصبح الثانى، وبالتالي تحولت الأغلبية إلى أغلبية مطلقة. ومال ميزان القوى لصالح الوحدة الشعبية، ومنع الجناح اليمىنى المعزول من خنق الثورة فى مهدها. لقد فشلت هجماتهم فى تلك الفترة، بشكل أساسى، من الناحية العسكرية، لأن القوى اليمىنية قد هزمت، سياسياً.

فى تقدير لاجتماعنا الموسع، فى آب، جاء «إن النصر الذى سجل خلال الستين

يوماً بالخرجة، منذ الانتخابات حتى تولي اليندى منصب رئيس الجمهورية، وأيضاً النجاحات المسلحة، خلال فترة السنة الأولى، يرجع كل هذا إلى التأييد الواسع على مستوى الأمة للأهداف المباشرة للحركة الشعبية، ولف الجماهير لتحقيق هذه الأهداف، وتضامن والتزام الوحدة الشعبية فى تلك الفترة، بالمسألة الأساسية، إما من الناحية الأخرى، يرجع إلى أن الوحدة الشعبية، كانت تبحث وأوجدت اتفاقات ومساومات مع القوى الأخرى، التى ثبت أنها كانت ضرورية موضوعياً» (١) وقد تم التوصل إلى مثل هذه الاتفاقيات مع المسيحيين الديمقراطيين. وكان أولها اتفاقية الضمانات الدستورية. ومن ثم اتفاقية تضمنت الإصلاح الدستورى، بخصوص تأميم مناجم النحاس الأساسية.

واتخذت بعض الأجنحة اليسارية فى الوطن والخارج موقفاً عمائياً وحتى معادياً للشيوعية، فانكروا إمكانية فوز الشعب التشيلى دون اللجوء إلى السلاح، وآخرون طرحوا بأن نصرنا هذا كان نتيجة غلطة اليمين فى معالجته لقضية مرشحه للانتخابات الرئاسية سنة ١٩٧٠، وهذا ما لم يفعله سنة ١٩٦٤. والحقيقة أن النصر الشعبى سنة ١٩٧٠ نتج عن معركة سياسية طويلة ومكشفة من أجل وحدة الطبقة العاملة، ومن أجل التفاهم المتبادل بين الشيوعيين والاشتراكيين، ومن أجل وحدة الأحزاب الشعبية والعمل المشترك من أجل أوسع القوى الديمقراطية. ويرجع النصر، أيضاً، إلى الصراع السياسى والأيدىولوجى ضد الاتجاهات اليسارية واليمينية داخل الحركة الشعبية، ومن أجل الفهم والتحديد الصحيح لطابع الثورة التشيلية ومراحلها، والصياغة الدقيقة لأهداف البرنامج وتحديد الأعداء الأساسيين والتناقضات الرئيسية والثانوية فى المجتمع التشيلى.

وظهر التفسير فى ائتلاف القوى لصالح الوحدة الشعبية بعد انتخاب اليندى نتيجة للصراع الكثيف والمتواصل الذى لم يساعد، فقط الوحدة الشعبية، بل جعلها أقرب إلى قوى اجتماعية وسياسية متباينة فخلال الحملة الرئاسية، دافع المسيحيون الديمقراطيون، مثل الوحدة الشعبية، عن أهداف مهمة، مثل تأميم أغلبية مناجم النحاس وإكمال الإصلاح الزراعى. واعتقد كثير من المسيحيين الديمقراطيين، أيضاً، انطلاقاً من تجربتهم الخاصة، بأنه من الضرورى تعميق

التحولات للدرجة، أن مرشحهم رادوميرو تومك (Radomiro Tomic) قد أعلن أن الرأسمالية لم تعد قادرة على حل مشكلات البلاد. ولما كان الأمر كذلك. أصبح من الممكن، بعد الانتخابات، وصول كل من المسيحيين الديمقراطيين والوحدة الشعبية إلى اتفاقية وإقامة تفاهم مشترك مع قوى ديمقراطية أوسع، وبذلك مال توازن القوى لصالح الشعب.

فعملت الطبقة العاملة والشعب، بجهد، وطرحت مبادرات خلاقة، وشنوا نضالاً متفانياً من أجل نجاح الحكومة الشعبية، والحجاز برنامجها واجترح العمال والشباب والنساء والفنانون، آيات من البطولة، وبذلوا جهوداً متفانية من أجل تنظيم الحكم الجديد، في توزيع الطعام الذي ظهر نقص فيه، ومن مواجهة الهجمات الرجعية. وبينت الثورة مرة تلو الأخرى بأنها ساعدت على إطلاق كثير من الطاقات الخلاقة، وأن الناس قادرين على تضحيات كبيرة من أجل مستقبل أفضل. ولهذا الهدف، عمل ملايين الرجال والنساء في تشيلي ١

إنه لمن المعروف جيداً أن أى ثورة مشحونة بخطر الثورة المضادة، التي تنفجر حينما يفقد الثوريون المبادرة، وتبدأ الثورة في العد التنازلى، وتلجأ للدفاع، وأيضاً، حينما يتغير إئتلاف القوى، نهائياً، لصالح الأعداء وحدث هذا في تشيلي، بعد فترة صعود في الحركة الشعبية، والتحولات الديمقراطية الواسعة النطاق، وبعد فترة النجاحات والتقدم في الاتجاه الذى حازت فيه سياسة الحكومة على تأييد هائل بين الجماهير. وتغير الوضع، تحت تأثير عوامل مختلفة. بعضها كان، مثلاً، الارتفاع المذهل في أسعار البضائع المتوردة، والهبوط الجوهري في أسعار الصادرات، وهذه العوامل كانت بعيدة عن رقابة الحكومة والوحدة الشعبية، وخطط لها العدو، الذىبقى ينفث سمومه، وكانت هذه العوامل مهيمنة، موضوعياً. ولكن ما هو مهم لنا كثوريين هو تحليل الأسباب العميقة الجذور لهزيمة الشعب، ودراسة أخطائنا، التى مكنت الإمبريالية والرجعية من الوصول إلى مآربهم.

قد جمعت الوحدة الشعبية في صفوفها- وما زالت تفعل ذلك - قوى مختلفة في جوهرها الاجتماعى، وذات أيديولوجيات مختلفة: الماركسيين، العقلانيين،

المسيحيين، فكانت هذه، وما زالت، حقيقة إيجابية، تعكس مجال التحالف الذي أقيم حول الطبقة العاملة. وتكمن قوة الشعب فى وحدة مثل هذا الائتلاف. ولكن من أجل أن تصبح هذه الوحدة راسخة، يجب أن تعتمد على برنامج مشترك، وأن يكون لها قيادة موحدة سليمة، وتكون أكثر صلابة، حينما يكون للطبقة العاملة اليد العليا فى داخلها. فستمضى أمورها بشكل جيد، كلما طرحت مثل هذه القيادة، وكلما تم خوض نضال حاسم من أجل إنجاز البرنامج. وحينما كانت تقابل هذه المتطلبات بتردد كانت الأمور حينها فقط تبدأ فى الانهيار.

ولم تكن المشاركة فى الوحدة الشعبية تعنى الاتفاق على كل القضايا ولكن حينما بدأت الثورة تسير بصعوبة أكثر، أصبحت وحدة العمل والتخطيط ضرورة ملحة. وحدث هذا ، بالضبط، حينما بدأت التعارضات قتل لتصبح أكثر وحدة. واتجهت داخل الوحدة الشعبية تنمو خلافاً حول عدد من القضايا، وهذا ما وضع سياسة توحيد الشعب كله حول الطبقة العاملة فى خطر. وكنتيجة لذلك، تشتت القوى الفعلية للعملية. وفقد البرنامج أفضليته. بدلاً من استخدام كل القوى المتوافرة لتوجيه ضربة إلى الإمبريالية، وإلى أوليغاركية الاحتكارات ومالكي الأرض، وابتداء النضال، أيضاً، ضد الفئات الوسطى، فأصبح جزء منها بجانبنا، وتم تحييد الجزء الآخر، فى المراحل الأولى. وأصبحت الرجعية قادرة على شن هجومها، بعد تخلصها من عزلتها- بسبب أخطائنا فى القيادة - وتمكنت من إقامة جبهة مع الفئات الوسطى، ومدت نفوذها حتى إلى قطاعات من العمال. ولم يتأكد كل إنسان بأن قوة حكومة الوحدة الشعبية تكمن فى حقيقة أنه كان لها برنامجها الخاص، والأسس الاستراتيجية لقيادتها الصحيحة. وحينما انتصر هذا الخط الصحيح، وجدت لدى الشعب القوة لعزل وهزيمة الأعداء. ولكن حينما كان يتم الابتعاد عن البرنامج، فإنه كان يتحول، فعلاً، إلى برنامج ثان وهنا أعاقنا الاختلافات حول المسائل الأساسية بشكل كبير، نشاطات حكومة الوحدة الشعبية. وكان هذا فعلاً حينما ابتداء الوضع يتدهور بسرعة، حتى تتوج فى النهاية بانقلاب.

فمن وجهة نظرنا، كان الصراع من أجل الثورة، منذ اليوم الأول للانتخابات

الرئاسية، سنة ١٩٧٠، حتى اللحظة الأخيرة للحكومة الشعبية، هو صراع من أجل تغيير ميزان القوى لصالح الشعب. ولنلاحظ بأن مفهوم توازن القوى المفضل لا يتضمن كسب الأغلبية، عموماً، بل، قبل كل شيء، أغلبية نشطة. فالحاجة الملحة لكسب الأغلبية غالباً ما تكون ذات أهمية، ولكن مجرد الأغلبية ليس كافياً، ويمكن أن يكون حتى ناقصاً، في لحظة ما. ولهذا السبب كان هناك جهد كبير من أجل المفهوم، الأكثر تعقيداً، لتوازن القوى المفضل. فبجانب القوى الأخرى، نأخذ في الاعتبار الروح القتالية ومستوى التنظيم، ومقدرة الجماهير على حشد قوتها، وتجانس وجهات النظر داخل الائتلاف والتشكيلة العسكرية الملائمة.

ولم تكن محصلة ثورتنا مقدرة، بشكل حتمي، فالخلافات الموجودة بشكل واضح في أي ائتلاف ليس في حاجة لأن تسود، بالضرورة، بل يمكن التغلب عليها. وهذا يتطلب، بجانب البرنامج الصحيح، قيادة سياسة صحيحة مع استمرارية مشاركة الجماهير، لأن الثورة من إبداعها.

وكانت المسألة الأساسية للثورة تعتمد في الظروف التشيلية - الكسب التام للسلطة - على مقدرة الوحدة الشعبية في عزل العدو، وخلق تفوق يجعل من الممكن المضى في كسب منصب الرئاسة والاستيلاء على جهاز الدولة، ككل، وإجراء التحولات العميقة في كل مؤسساتها.

وتسعى الرجعية لتصوير هدف الثورة في كسب السلطة الكاملة، بواسطة الشعب، كخطيئة وطغيان معاد للديمقراطية. وفي الواقع فإن هذه المعارضة ذاتها حقيقية. فنتصرف، حينما نحدد لأنفسنا مثل هذه المهمة، كثوريين، من أجل تنفيذ الأهداف الأكثر نبلاً وديمقراطية. فمثل هذه المكونات المهمة للدولة البرجوازية، مثل، المحاكم والقوات المسلحة، والهيئات التنفيذية والأدوات الأساسية للتوجيه الاقتصادي، هي في الواقع بعيدة عن الرقابة الديمقراطية. إذ ليس للشعب رأي في تشكيلها أو نشاطها. وبالتالي، فإن النقطة الأساسية هنا هي تأمين مدخل للطبقة العاملة ولبنية الشعب للدخول في كل إدارات ومؤسسات الدولة، حتى تنتقل لاحقاً، إلى أيدي الشعب، نهائياً. وهذه ليست بعضاً من مؤامرة شريرة،

كما يدعى الرجعيون، بل هي استفادة الشعب من الأشكال والأساليب والطرق الديمقراطية، التي اختارها وأيدها الشعب بنفسه. ويستطيع الإنسان أن يقول إن الفوز بالسلطة الكاملة هو، وحده الطريق الحقيقي لتجسيد فكرة الديمقراطية، التي عبر عنها ابراهام لنكولن، بفصاحة في عبارته المشهورة: «حكومة الشعب، بالشعب، وللشعب».

وأصبح، في تشيلي، من الممكن عزل العدو، والتغلب على قواه، من أجل إنجاز عدد من الأهداف الثورية: تأمين المناجم الأساسية للنحاس والمشاريع الاحتكارية والبنوك، وإكمال الإصلاح الزراعي والسيطرة التامة على التجارة الخارجية، ولكن مثل هذا التفوق لم يتحقق أثناء معالجة المهام الثورية في كسب كامل السلطة، وحدث هذا لأن أغلبية الشعب قد علقت آمالها بشكل أساسي على مسألة السيطرة على الحكومة، أكثر من السيطرة التامة على السلطة، بأكملها.

ولم تكن الجماهير العريضة من الشعب مدركة الحاجة لكسب كامل السلطة ويرجع هذا إلى طبيعة التشقيف السياسي غير الملائم للجماهير، خلال فترة طويلة من السنوات، ولهذا السبب، نشعر نحن الشيوعيين بمسؤوليتنا تجاه هذا الوضع، بشكل خاص. وكانت النتيجة، أنه لم يكن تحت تصرفنا قوة نشطة واضحة، قادرة على حشد القوى من أجل الحل التام لهذه المشكلة. بمعنى أنه حينما اقترحنا إقامة المحاكم الشعبية، التي كانت إجراء محدوداً، ولكنه يخدم بالنتيجة في ديمقراطية الآلة القضائية، أو حينما توجهنا لإقامة نظام وطني موحد للتعليم، الذي كان عليه أن يساعد، أيضاً، على ديمقراطيته، ولهذا السبب استفاد العدو من غياب أي فكرة واضحة عند الجماهير عن ضرورة التحولات في المؤسسات لذلك كنا مضطرين للتراجع، والتخلي عن هذه المبادرات. وكان القصد من تشكيل هذه المبادرات جذيراً بالثناء، ولكن، إذا ما أصبحت واقعاً، والأغلبية تتفهم جوهرها. ففي هذا الوضع الملموس، كان من الخطأ طرح مهام متقدمة من الممكن أن تعمل على شق الجبهة المؤيدة للحكومة وظهرت الأحداث اللاحقة للجماهير، بوضوح، الطبيعة الطبقيّة للبرلمان، والقضاء، والمؤسسة العسكرية. وفيما بعد، تدهور ائتلاف القوى، وهذا ما جعل من المستحيل القيام بمجهودات مشمرة - مع أن الأغلبية

أصبحت تدرك الحاجة لها - لحل مسألة السلطة (وهذا يتضمن بالطبع، ديمقراطية المؤسسة العسكرية، التي كان في داخلها بعض المؤيدين للتغيير، ولو أنهم قلة). وكافحت الطبقة العاملة، ومعها القوى ذات النظرة المتقدمة، لخلق نط جديد من الدولة. فظهرت أشكال جديدة للسلطة: أقيمت لجان إدارية، وإنتاجية، وأمنية في المشاريع التي استولت عليها الدولة، وتوحدت النقابات في المجالات الصناعية، وأقام المستهلكون مجالس التمويل ومراقبة الأسعار - ولكن هذه الأجنة للسلطة الجديدة لم تتطور، بشكل صحيح، مع ذلك تقيم هذه التجربة، بشكل عال، وفي ذلك الوقت، تبدل تطور الوضع بواسطة التصعيد الرجعى. فأضعفت، أيضاً، السلطة الشعبية الفعلية، وأصبحت تحركات العدو أكثر سهولة، بسبب تصرفات المتطرفين اليساريين الذين كانوا يسعون إلى تحويل المنظمات المنبثقة إلى سلطة بديلة لحكومة الليندى.

وكان في نفس الوقت، النشاط الناجح للحكومة الشعبية، مهماً بشكل استثنائي بالنسبة لتطور العملية الثورية. وكانت هناك حاجة لبيان أن النظام الناشئ فتح بوابات تدفق القوى المنتجة، والنمو الاقتصادي، والتوزيع الأفضل للدخل القومى، ولرفع مستوى معيشة الشعب. وهذا يعنى تقدم البلاد على طريق العدالة الاجتماعية وتم توطيد هذا، بتشغيل المشاريع الصناعية بطاقاتها الكاملة، ونمو الانتاج على هذا الأساس، ورفع مداخيل الشغيلة ورجال الأعمال الصغار والمتوسطين، وكذلك التجار. ومع ذلك، وصلنا إلى النقطة التي أصبحت فيها أعلى انتاجية للعمل حاسمة. فقام العمال الذين يسترشدون بخط الحزب، بمبادرات قيمة، وبذلوا جهوداً هائلة، لكسب معركة الانتاج في المشاريع التي استولت عليها الدولة، وأيضاً، في الريف. وكان النصر التام لحكومة الوحدة الشعبية في معالجة القضايا الاقتصادية يعنى جذب معظم الشعب لجانها، بشكل أكثر اتساعاً ورسوخاً. والذي يعنى بالمقابل أيضاً المساعدة - بشكل هائل - على حل القضايا المرتبطة لكسب كامل السلطة، بنجاح. ولكن تخريب الإمبريالية للانتاج، وسياسة «زعزعة الاستقرار» التي اتبعتها إمبريالية الولايات المتحدة، وإهمال القضايا الاقتصادية، أيضاً، والافتقار إلى أى توجيه جدى للاقتصاد جعل

كفة الميزان ترجح، نهائياً، ضدنا.

وعلى ضوء هذا، ظهرت مسألة السلطة فى تشيلى.

وتظهر الثورة التشيلية بأنه مهما تلقت العملية الثورية من توجيه، إلا أن هيمنة الطبقة العاملة والدور القيادى لطبيعتها تبقى عوامل حاسمة.

ولا يمكن هيمنة الطبقة العاملة إلا فى النضال وباعتراف الطبقات والفئات الاجتماعية بذلك، وهذا لن يتم إلا إذا كان واقعاً، وتحقق الطبقة العاملة ذلك، إذا ما اتبعت سياسة متماسكة فى التحالف، وتكون ناجحة فى هذا المجال.

وأصبح كسب البرجوازية الصغيرة والفئات الوسطى وأشباه البروليتاريا أحد العوامل الرئيسية فى النضال من أجل بناء توازن قوى أفضل لصالح الثورة. وفى بلد مثل تشيلى فإن هذه القوى الاجتماعية عديدة ومهمة. وهى غير متجانسة، بأى شكل من الأشكال. فالعنصر الأساسى فيها هم الفلاحون، وكذلك الفئات التى أفقرت من السكان، وصغار التجار ورجال الأعمال، والحرفيين، والمهنيين، والمثقفين، والطلاب .. إلخ. ويمكن أن نضم اليهم العاملين بأجر، والذين لا نصنفهم كبروليتاريين. وفى زمن التفسير الثورى، يصبح تأرجح مثل هذه الفئات بين مواقع البروليتاريا والرجعية واضحاً، بشكل مذهل. فاصطف بعضهم بجانب الحركة الشعبية، من خلال العملية الثورية فى تشيلى، ومع ذلك كان يجرى صراع مستمر لكسب أغلبية هذه الفئات. وبالرغم من إعطائهم درجة معينة من الدعم للحكومة أو بقائهم على الحياد، كما كانت الحالة، خلال الفترة الأولى، فقد أيد معظمهم الثورة المضادة، فى الفترة الأخيرة. وطرح هذا استنتاجاً عاماً، وهو بأن مثل هذه التبدلات السلبية حتمية. وتم تبنى إدعاء خلاصته: بأنه حالماً تواجه الفئات الوسطى صعوبات فى الإمكانية الواقعية للتغييرات الجذرية، فإن معظمها يسقط فى أحضان الرجعية من أجل الحفاظ على «امتيازاتها النسبية». ولهذا يجرى مناقشة الأمر كالتالى، يجب ألا تحاول الوحدة الشعبية تحسين إنجازاتها السابقة، بل يجب أن تضع نفسها بتأييد أقلية هذه الفئات.

هذا الاستنتاج ليس صحيحاً فمن الواضح بأن ظروف حياة أغلبية الفلاحين،

وأيضاً السكان الذين أجبروا على الهجرة إلى المدن (وخصوصاً لأن الهجرة عملية كثيفة في تشيلي)، أجبروا على العيش اعتماداً على مكاسب طارئة، وفي ظروف حياة الفئات الأخرى، التي تعادل حياة البروليتاريا، أو حتى أسوأ منها. فقط، تستطيع هذه الفئات، في العمل المشترك مع الطبقة العاملة، كسب مكانة مناسبة لها في المجتمع، وتحسن من تطلعاتها. ولا يمكن حل قضاياها، نهائياً، إلا بانتصار الطبقة العاملة. ولهذا السبب، توجد، دائماً، إمكانية التحالف والتفاهم المشترك معها.

توجد تناقضات معينة بين البرجوازية الصغيرة والطبقة العاملة، ومع ذلك، فليس هناك شك بأن البرجوازية الصغيرة هي، أيضاً، ضحية سياسة الاحتكارات وتتركز رأس المال في أيدي الأوليغاركية المالية. وقبيل التناقضات بين البرجوازية الصغيرة والرأسمال الكبير إلى التعمق، وهذا ما يجعل إمكانية تفاهمها المتبادل مع البروليتاريا أكثر سهولة. ولهذا، أصبحت المسألة هي تحقيق هذا التفاهم.

وكان يجب أن يتحقق هذا، في مجرى الثورة التشيلية، مع الحفاظ الصارم على البرنامج، الذي أخذ في الاعتبار مصالح الفئات الوسيطة، وأشار إلى اتجاه الضربة الرئيسية للقوى الشعبية ضد الامبريالية والأوليغاركية. ففي الفترة الأولى للحكومة الشعبية، حينما حافظت على البرنامج، كان موقف هذه الفئات تجاه الثورة إيجابياً. وكانت تعنى الخطة السياسية في إقامة تفاهم مشترك هي إيجاد قنوات للاتفاق بين الوحدة الشعبية والمسيحيين الديمقراطيين، التي جاء مؤيديهم من الفئات الوسطى، بشكل أساسي وكان هذا مهماً، خصوصاً لأن، مثل هذه السياسة كان تميل إلى تقوية وحدة الطبقة العاملة، حيث كان المسيحيون الديمقراطيون ومازالوا يتمتعون بنفوذ كبير بين العمال. فمن وجهة نظرنا، إن خط البروليتاريا في عمل تحالف واسع بعيداً عن زيادة نفوذ البرجوازية على الطبقة العاملة، يحررها فعلياً من مثل هذا النفوذ.

ويتطلب التحقيق الناجح لهذا الخط عملاً صبوراً مع هذا الجزء من البروليتاريا ومنظماتها. ويجب أن تدرك الطبقة العاملة تعقيدات هذه المسألة ومقدرة الامبريالية والرجعية في التأثير على هذه الفئات.

وفى نفس الوقت، فإن تصرفات اليسار المتطرف ضد أصحاب الملكيات الصغيرة والمتوسطة، التصرفات التى لم تعارض من الوحدة الشعبية جميعها، أثارت رد فعل سلبى، كان أكبر بكثير من التصرفات ذاتها، أو الوزن الواقعى لمبررات المحرضين. ويرجع سبب هذا لأنه ليس لدى الوحدة الشعبية فهماً محدداً وواضحاً لطابع المرحلة المعنية من الثورة، واعتقد بعض الناس بأنها كانت، فى ذلك الحين ثورة اشتراكية كاملة الأبعاد. علاوة على ذلك، قد فشلوا فى تحقيق ذلك، مع أنه حتى فى الثورة الاشتراكية يجب على الانسان أن يتبع سياسة تجاه الفئات الوسطى، حتى يسمح لها بالمساهمة فى تطور العملية. ويجب أن تكون هذه السياسة واسعة ومرنة وفى نفس الوقت راسخة. ويجب تنفيذها بربط المصالح المادية لهذه الفئات، مع اتباع ضغط شعبى هائل فى الوقت ذاته، بواسطة الجماهير، لشل ذبذبة البرجوازية الصغيرة.

وأن نعلن صراحة عن أهدافنا الاشتراكية لا يحدُ بذاته مجال قدرة الطبقة العاملة فى إقامة التحالف. وفى الوقت الحاضر، وفى ظروف رأسمالية الدولة الاحتكارية، التى أطلت برأسها حتى فى البلدان غير المتطورة، تصبح التناقضات بين الامبريالية وهذه البلدان، وبين الطبقة المألوية وبين الشعوب، أكثر جدة، والقضية هى كشف هذه التناقضات، واستخدامها كما فعل لينين، فى تقييمه للمجتمع الروسى، فى ذلك الوقت. ويعنى هذا إيجاد صيغ التفاهم المشترك، ومحاولات كسب الفئات الوسطى، حتى إلى المرحلة الاشتراكية. وذلك بالاستجابة لمطالبها الشرعية، وتأمين مستوى من الدخل لها، وتطوير أشكال لمساهمتها فى المجتمع الجديد. وذلك ما سيفريها على أن تجعل خيارها تفضيل هذا المجتمع.

ساعدت جميع أحزاب الوحدة الشعبية فى تهديد الطريق لنصر سنة ١٩٧٠، وإقامة حكومة الرئيس الليندى. وفى هذا المجال هناك حقيقة لا نزاع حولها، وهى أن الحزب الشيوعى كان القوة الأساسية فى صنع الثورة التشيلية. فالحزب الشيوعى هو الذى كان قد رأى إمكانية إقامة حكومة شعبية، بدون اللجوء إلى السلاح، وبذلك كان طور إجراءات عملية للوصول إلى هذا البديل. فهو من أجل هذا يستحق الثقة إذ عمل حزينا، بدون كلل، لسنوات عديدة من أجل لف القوى

المعادية للامبريالية والاوليجاركية حول الطبقة العاملة، آخذاً في الحسبان الحاجة الملحة والضرورة لتغييرات فات أوانها، منذ زمن طويل في المجتمع التشيلي، وحدد الحزب، بشكل صحيح، طبيعة الثورة، وسياسة التحالف، وتوصل إلى استنتاج بأن الطريق السلمى لا يمحو أشكالاً معينة من الإكراه (مثل استيلاء الفلاحين على الأرض في المناطق الريفية، أو بواسطة ساكنى المستوطنات فى ضواحي المدن)، وإن وحدة التعبئة النشطة والمتواصلة للجماهير ضرورة أولية. وفى الحملة من أجل تحقيق هذه السياسة، التى برهن تطبيقها على أنها صحيحة، عارض الحزب الشيوعى، باستمرار، الفئوية اليسارية، التى تلقى بالشكوك على سياسته، وترفض القبول بسياسة التحالف الواسع. وعارض الحزب الشيوعى، أيضاً، اليمينيين، الذين اعتمدوا موقف استرضاء العدو.

حاز الحزب الشيوعى على نفوذ كبير جداً داخل قطاعات واسعة من الطبقة العاملة، وعلى وجه الخصوص البروليتاريا الصناعية، وعمال المناجم والبناء، أيضاً، وامتد نفوذه، فى تلك السنوات، بسرعة، ليصل إلى المناطق الريفية، وعلى وجه الخصوص بين العمال الزراعيين. وكان الحزب قوياً جداً بين الشباب لدرجة أن أكبر المنظمات الشبابية السياسية فى البلاد كانت شيوعية. وكان نفوذنا قوياً فى الأوساط الجامعية، وبين العاملين فى حقل الثقافة. وكان نفوذه أقل بكثير بين الفئات الوسطى الأخرى. فكان، من ناحية وضعه التنظيمى، هو الأكثر عدداً؛ فكان عدد أعضائه، وقت الانقلاب، ١٩٥ ألف عضو، بدرجات متنوعة من التدريب السياسى، وكانت منظمة الشبيبة الشيوعية تضم ٨٧ ألف عضو. لقد كنا قوة منيعة، استطعنا أن نقيم تفاهماً مشتركاً مع حلفائنا، وكنا قادرين، تماماً، على تحريك الجماهير العريضة، حتى ظهرت لنا حقيقة فى العملية الثورية، وهى أن الجماهير لا تعنى مئات الآلاف، بل ملايين الناس. الذين استطاعوا النهوض، قبل كل شئ، ليعالجوا القضايا الرئيسية للبلاد، التى كانت ناضجة للحل، من وجهة نظر الوعى الجماهيرى، فى ذلك الحين ومع ذلك، فحينما كانت تستجد أوضاع، يستحيل فيها التفاهم المشترك بين القوى الأخرى، كان مجال الحزب الشيوعى فى تعبئة الناس محدوداً، وكانت النتيجة تعبئة الفئات التى كانت تحت

نفوذه المباشر.

وكان هناك ميل صارخ للاصطفاف الطبقي، سياسياً فى فترة الحكومة الشعبية. فكان للأحزاب السياسية وزن كبير فى الحياة على المستوى الوطنى، وكانت قراراتها لا تقود تصرفات أعضائها، فقط، بل تقود تصرفات جزء كبير من الأوساط التى كانت تحت تأثيرها. ولهذا من المهم جداً تقييم إمكاناتنا خلال الانتخابات، حيث كان المعدل فى التصويت بالنسبة لكل عضو فى حزبنا أقل من حال الأحزاب الأخرى (فقط كان معدل التصويت صوتين مقابل صوت لعضو الحزب، وصوت واحد مقابل صوت عضو الشبيبة). هكذا لا يعتبر الحزب الشيوعى بأنه أنجز مهمته الطليعية، بتقوية صفوفه، أو بزيادة نفوذه بين الجماهير، بل، أيضاً، بإيجاده السبل للتفاهم المتبادل مع الاشتراكيين وأحزاب الوحدة الشعبية الأخرى. ومع ذلك، فقد حدثت بعض التغييرات فى ذلك الحين، بعضها كان متوقعاً، وما زلنا نبحث وسنبحث عن الوحدة مع جميع القوى الديمقراطية المعادية للفاشية. وهذا يعنى أن هدفنا الأول هو تحقيق تفاهم متبادل مع الحزب الاشتراكي وجميع أحزاب الوحدة الشعبية الأخرى.

وكنّا فى ذلك الوضع، كما لو كنّا فى زمن لا تعتمد فيه الأمور علينا. فكان مجال إنجاز الدور القيادى محدداً، بشكل موضوعى. إذ لم نكن قادرين، دائماً، على انتزاع الاعتراف بنا كطليعة للطبقة العاملة، وللشعب ككل.

وكما تعلمنا اللينينية، فإن الخط الثابت للحزب، وإرادته المرنة - وخصوصاً فى اللحظات الحرجة - هى، أيضاً، عوامل تحرك الجماهير. وكانت لنا سقطاتنا، أيضاً، فى هذا المجال. فعلى سبيل المثال، لم نبذل كل جهودنا، ونفعل كل شئ للدفاع عن وزارة الجنرال براتس Prats. فأتثرت استقالته، فى آذار ١٩٧٣، فى ذات اللحظة التى كانت تعد الرجعية فيها للانقلاب وكان يجب على الحكومة الشعبية أن تبقى على اتصالها بقطاعات القوات المسلحة، التى كانت على استعداد للتعاون معها. ففى الوضع الخاص، الذى كان سائداً فى العملية الثورية التشيلية، لم يكن كافياً على الحزب أن يلجأ للخروج بمرونة من هذا الوضع أو ذاك، بشرفه المصان. فالمبادرة والحسم الثورى جوهرين، وفى بعض الأحيان، ذات أهمية حيوية، ولكن حينما

تدرك، فقط، من خلال منظور الظروف الموضوعية الملموسة. وفي الناحية الأخرى، فإنه لمن الخطر السقوط في العضوية، والتفكير الإرادي، وحتى المغامرة.

ومهما كانت السمات الأساسية للثورة التشيلية - ولها الكثير كأي ثورة أخرى - إلا أنه لا يمكن وضع إحدى الأطروحات الأساسية في الماركسية اللينينية موضع الشك، على ضوء هذه التجربة على العكس، تؤكدنا تجربتنا. إذ يشير التحليل العميق والدقيق للعملية التشيلية، ككل، بأن القوانين العامة للثورة ما زالت صالحة حيث تعود النجاحات التي أحرزناها لمجرد تطبيقنا لهذه القوانين، وتعود اخفاقاتنا إلى سوء تقييمها. وهذه ترجع، أيضاً، أي نجاحات أو حسابات خاطئة، في تقييم السمات الخاصة التي يجب، بالطبع، ألا يساء تقديرها، أيضاً، وفي الوقت ذاته، لمن الواضح أنها سوف لن يتم تأكيدها جدياً، وعلى سبيل المثال، يرجع سقوط حكومة الوحدة الشعبية، ببساطة، إلى أن بعض القوانين لم تؤخذ في الحسبان وسوف لن يكون هذا تفسيراً علمياً، لمجرد أن نقول إننا لم نحل قضية كسب كامل السلطة، أولاً، لأننا لم نتحول، في الوقت المناسب، إلى العمل المسلح، أو نقوم بطرح تأكيدات مشابهة تتجاهل الصعوبات الفعلية أو المطبات الموجودة في أوضاع ذلك الوقت، وهذا لا يتعامل مع المسألة بشكل موضوعي كلياً. وهنا يجب علينا أن نتذكر ثانية كلمات لينين بأن الحقيقة دائماً ملموسة.

وكشف الاجتماع الموسع للجنة المركزية لحزبنا، في آب، أخطائنا، واخفاقاتنا الفعلية، وأشار إلى اثنتين منها، على وجه الخصوص: فأولاً، عمل الحزب، بشكل جيد، في رسم خطه السياسي، لكل الفترة التي أدت إلى كسب السلطة، جزئياً، وأيضاً أثناء الفترة الأولى من الحكومة الشعبية، ومع ذلك. فإنه لمن الواضح، اليوم أن خطنا من أجل كسب السلطة كلياً والانتقال إلى المرحلة التالية من الثورة، التي كانت ستمكننا من الوصول إلى الاشتراكية، لم يتم صياغتها بشكل كاف. فممنذ سنة ١٩٦٣ قدم الحزب لأعضائه تدريباً عسكرياً، وبذل جهوده للحصول على أسلحة كافية للدفاع عن حكومة كنا واثقين بأن الشعب سيقومها. ولكن لم يكن هذا كافياً، لأن نشاطنا في هذا الاتجاه لم يكن مصحوباً بشئ، وهو الدعاية المستمرة والمتواصلة، وطرح موقف صحيح من العمل العسكري بالنسبة

للحركة الشعبية، وكان هذا جوهرياً ينبذ المفاهيم العسكرية غير الصحيحة المنتشرة بشكل مشوه لدى الطبقة العاملة والوحدة الشعبية، وطرح المفاهيم الماركسية حول هذا الموضوع لتصل إلى عقول الناس، بشكل غير مشوه. وهنا يجب الاعتراف بأن العدو كان، على العكس منا، نشطاً باستمرار في القوات المسلحة.

تتعلم الشعوب من أخطائها، وحزبنا، كأحزاب الوحدة الشعبية الأخرى، تعلم الآن، دروساً عديدة. وتحليل هذه الدروس ليس كاملاً، الآن، إذ ما زال التحليل مستمراً، وهناك دروس كثيرة يجب استخلاصها وتعميمها. وما زال الشعب التشيلي والطبقة العاملة مستمراً في تعلم هذه الدروس، حتى يستوعب تجربته وتجربة الأحزاب والشعوب الأخرى وتجربة النضال والنظرية الثورية.

وأصبحت بعض الأمور واضحة، تماماً. فمن بين الأمور الأخرى، التي حازت عليها الوحدة الشعبية هي حقيقة صمودها أمام اختبار الهزيمة دون أن تفسح الطريق للاتساق. فشككت في الوقت الحالي أفكاراً أكثر وضوحاً وتحديداً عن طابع الثورة، والحاجة إلى التمييز بين مراحلها، دون وضع الحواجز بين مرحلة وأخرى، والحاجة، أيضاً، إلى تطوير سياسة التحالف الواسع، لتوحيد جميع القوى المعادية للفاشية والقوى غير الفاشية بمن فيهم المسيحيون الديمقراطيون والقطاعات الديمقراطية من الجيش - كل ذلك تحت شعار الإطاحة بالديكتاتورية وبناء ديمقراطية جديدة، وتشكيل حكومة شعبية مدنية عسكرية، تسلك الطريق، ثانية، من أجل التغيير نحو الاشتراكية.

في الوقت الحالي أصبح الشعب التشيلي أكثر اقتناعاً بأن الحرية لا يمكن أن توجد كشيء فوق الطبقات. وهذا مفهوم طبقي، حارب من أجله الشعب، منذ أيام الحروب ضد الفاتحين الأسبان (Araucian Wars). فلا تهدف الطبقة العاملة تحرير ذاتها، فقط، بل تسعى لتحرير المجتمع كله، فتحارب بشكل متواصل من أجل حرية الأغلبية الساحقة، وبشكل نهائي من أجل الجميع. وهنا لا يمكن أن يقال بأن هذه المسألة كانت تعالج، بشكل صحيح، بكافة الطرق، خلال فترة الحكومة الشعبية لفترة ثلاث سنوات. فكانت حكومتنا تعتبر تقدماً رئيسياً على

طريق الديمقراطية، فوسعت من حريات الشعب، وأعطت للعمال حقوقاً وفرصاً لم يعرفوها من قبل، مثل الحق في إدارة المشاريع التي يعملون فيها. وكان هذا، دون شك، من رصيد الحكومة الشعبية. ولكنها ارتكبت غلطة خطيرة، لسماعها لقوى الثورة المضادة بأن تتمتع بحرية غير محدودة تقريباً، ولهذا استطاعت هذه الثورة المضادة أن تضع حداً نهائياً للحرية.

دافعت الوحدة الشعبية، وما زالت تدافع عن الحكم التعددي (*)، الذي يعترف بالضمانات، أيضاً، للمعارضة، ما دامت قد بقيت ضمن إطار حدود القوانين المعتمدة شرعياً، بواسطة الشعب، طبقاً لمعايير الدولة الشرعية. فنندعم نحن الشيوعيين التشيليين هذا، بثبات وندافع عن مفهوم التعددية الذي لا مكان فيه للفاشية، ذلك الحكم الذي يرادف الجريمة، والذي يتناقض مع الحرية. أو كما أعلن اجتماع لجنتنا المركزية الموسع، فإنه يجب على الثورة أن تعطي الشعب حرية أكثر، ولا تعطي شيئاً لأعدائه. وعلمتنا تجربتنا المؤلمة هذا.

هناك مسألة واحدة أخيرة فقد كانت الثورة التشيلية، ولوقت طويل، قادرة على التطور، دون اللجوء إلى السلاح، ليس، فقط، بفضل مجهودات شعبنا، بل، أيضاً، بفضل الظروف الدولية الجديدة، والتغيرات في ميزان القوى العالمي، وحتى وقت قريب، تماماً، لم يكن الكثيرون يقدرّون الأهمية التاريخية لثورة أكتوبر، ودور اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، وبلدان المنظومة الاشتراكية وسياستها في التعايش السلمي. وأظهرت، أحياناً، الدفاعات عن الأعمال الحاسمة علامات العداوة للسوفييت، وطرحوا مفاهيم خاطئة، على سبيل المثال، سياسة الانفراج التي تعامل معها بعض الناس، على أساس أنها معيقة لنضال الشعوب. واليوم، أصبح هناك تطور هائل من وجهات نظرهم. فاقنعتوا بالحقائق. واليوم كما كنا في الماضي، نتمتع بالدعم القوي من الاتحاد السوفيتي والعالم الاشتراكي. فانتشرت حركة التضامن مع الشعب التشيلي في جميع أرجاء القارات. وتشارك في هذه الحملة قوى ديمقراطية واسعة، ولكن أبلدان الاشتراكية

(*) تعدد الأحزاب (المترجم).

هى الأكثر دعماً، دون شك، باستثناء الصين، مع الأسف، ومن الناحية الأخرى، فقد شهد العالم، خلال سنوات القمع الوحشى فى تشيلى، أحداثاً مهمة، مثل انتصارات شعوب فيتنام وأنجولا، والإطاحة بالحكم الدكتاتورى الفاشى فى البرتغال، وانهيار الامبراطورية الاستعمارية البرتغالية، وسقوط الدكتاتورية فى اليونان، وتفسخ الفاشية فى أسبانيا. ولم يقدم هذا الفرصة لبعض من الشعب التشيلى، بل لكافة الشعب، لتأمين أهمية الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية، وأهمية الأهمية البروليتارية والتضامن الأسمى. فأقنعت هذه الأحداث جماهير الشعب التشيلى بأن العالم يسير إلى الأمام، وليس إلى الوراء.

فبنى الشعب التشيلى ثقته بالنصر، اعتماداً على هذا وبالطبع اعتماداً على نضاله الخاص، قبل كل شئ، وسيسحق شعبنا الفاشية، ويبنى نظاماً ديمقراطياً جديداً، وسيسلك، ثانية، الطريق إلى الاشتراكية، التى كان قد سلكها سابقاً فى زمن الليندى.

* * *

هوامش:-

(1) Partido Comunista de Chile Boletin del Exterior.No 26,November-December, 1977,PP. 20-21.

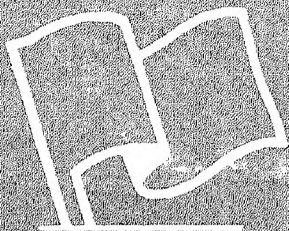
* * *

□ المحتويات □

١٥	(١) التحليل النقدي الأول رينه كاستيلو R.Castillo
٤٧	(٢) مرة أخرى حول الأحداث فولوديا تيتلبويم V.Teitelboim
٦٣	(٣) مراحل النضال أورلاندو ميلاس O.Millas
٧٩	(٤) طرق الثورة جورج أنسونزا J.Insunza
٩٥	(٥) الطبقة العاملة وسياستها في التحالف جلاديس مارين G.Marin
١١٣	(٦) الدفاع عن سلطة الشعب بدرودريجويز P.Rodriguez
١٢٧	(٧) الحرب السيكلوجية: سلاح سياسي للإمبريالية رودريجويز روجاس R. Rojas
١٤١	(٨) دور وطابع العوامل الخارجية مانويل كانتيرو M.Cantero
١٥٧	(٩) طريق الثورة غير المسلح كيف تحقق في تشيلي لويس كورفالان Luis Corvalan

رقم الإيداع ٧٥٠١ / ١٩٩١

طبعت بمطابع شركة الأمل للطباعة والنشر
إخوان مورفيتلى سابقا
تليفون : ٣٩٠٤٠٩٦



في عام ١٩٦٩، نجحت القوى التقدمية التشيلية في بناء ائتلاف يساري عريض، ضم سبعة أحزاب يسارية تشيلية، وحمل اسم الوحدة الشعبية، التي نجحت في حمل مرشحها «سلفادور ألييندي» إلى متعد رئيس الجمهورية في سبتمبر ١٩٧٠، من خلال انتخابات حرة، جرت في جو ديمقراطي..

واستمر هذا الائتلاف بحكم «شيلي» لمدة ثلاث سنوات، انتهت بانقلاب عسكري، أغرق البلاد في بحر من الدماء، وحكمها بالحديد والنار..

على أن تلك السنوات الثلاث، التي قضتها تحالف اليسار- التشيلي في مدة الحكم، لم تمر دون أن تخلف خبرات ودروس ثورية ثمينة، عمدت قيادة الحزب الشيوعي التشيلي - الذي كان في طليعة مؤسسي الوحدة الشعبية- إلى تسجيلها في تسع دراسات عميقة، تضمنت نقدا ذاتيا شجاعا للنفس، ونقدا مشولا للخصماء.

ويضم هذا الكتاب، تصويص هذه الدراسات التسع التي كتبها تسعة من قادة الحزب، وترجمها الناشط الفلسطيني «عمر عاشور».